العرب (الثقافي)

ص 11 » لطفية الدليمي: لعبة اقتناص الزمن

ص 11 » يسرى الجنابي: الثقافة في مواجهة مكارثية عربية وإسلامية

ص 14 » رشيد الخيون: إعدام التاريخ

ص 12 » جابر بكر: خريطة الانتهاكات الأثرية في سوريا والعراق

وجوه

ص 7 » أحمد العسيري: ناطق إعلامي عسكري ومؤرخ درس في السوربون

ص 8 » الملك المتوكل اليماني: لو عاصر الحوثيين لحاربهم

ص 9 » مصطفى حجازي: لبناني أرسى منهج إنسانية الإنسان

ص 10 » أليساندرو ديل بييرو: أليكس العجائب في كل الملاعب

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2015/04/26 – الموافق لـ 07 رجب 1436

السنة 37 العدد 9899

Sunday 26/04/2015

37th Year, Issue 9899

العرب الأسبوعي

alarab.co.uk

سقوط جسر الشغور.. عاصفة الحزم تضرب في سوريا

● الخطوة التالية للمعارضة.. اللاذقية معقل نظام الأسد

❑ **إسطنبول** – سيطرت فصائل سورية معارضة بشكل كامل أمس على مدينة جسر الشغور الاستراتيجية في شمال غرب سوريا، في ضربة موجعة للنظام شبهها مراقبون بنتائج عاصفة الحزم في اليمن التي غيرت موازين القوى على الأرض.

ويأتي هذا في ظل تساؤلات عن أسباب انهيار قوات الأسد في الشمال والجنوب وتقدم قوات المعارضة على أكثر من جبهة، خاصة أن السيطرة على جسر الشغور قد تكون مقدمة لتهديد معاقل أخرى أساسية له.

وقال مراقبون إن قوات النظام تعيش حالة من الارتباك بسبب تقارير عن تراجع أعداد الحرس الثوري الإيراني الداعمين للنظام، وخلافات بين الجنود السوريين وميليشيات لبنانية وعراقية حول قيادة العمليات.

ويتعرض عناصر قوات الأسد إلى إهانات واتهامات بالخيانة من عناصر حزب الله اللبناني وميليشيا عصائب أهل الحق العراقية الذين دخلوا إلى المعركة تحت ستار حماية المراقد الشيعية في سوريا ثم تحولوا سريعا إلى قادة ميدانيين للمعركة، وصار دور جنود الأسد تنفيذ أوامر الإيرانيين والميليشيات الأجنبية.

ورجح المراقبون أن تكون إيران قد قلصت من حجم الدعم الذي تقدمه للقوات الحكومية في سوريا، بسبب التكاليف الباهظة لتورط الإيرانيين في الملف اليمني، وأيضا بسبب وقع العقوبات الدولية على الاقتصاد الإيراني.

ووصف مسؤول سياسي في دمشق رفض الكشف عن اسمه الهجوم على جسر الشغور بأنه "هجوم كبير يحصل بناء على اتفاق بين السعودية وقطر وتركيا" الداعمة للمعارضة، مضيفا أن الهدف منه "أن يصل النظام في موقع ضعيف إلى مفاوضات جنيف".

وكانت مصادر دبلوماسية خليجية كشفت لـ"العرب" في عدد الخميس أن السعودية ستعمل على استثمار نجاحها في عاصفة الحزم باليمن لتحريك الجبهة السورية والضغط على الأسد للقبول بحل سياسي على قاعدة جنيف 2، وذلك عبر زيادة الدعم لمجموعات سورية معارضة مقربة منها.

وقال الخبير في الشؤون السورية تشارلز ليستر إن سقوط جسر الشغور "قد يمهد لهجوم على اللاذقية. وقد يكون ذلك أمرا خطيرا جدا بالنسبة إلى النظام".

وأضاف "لا يجب أن ينظر إلى هذه العملية على أنها هجوم بسيط، بل على أنها تندرج ضمن استراتيجية أكثر اتساعا".

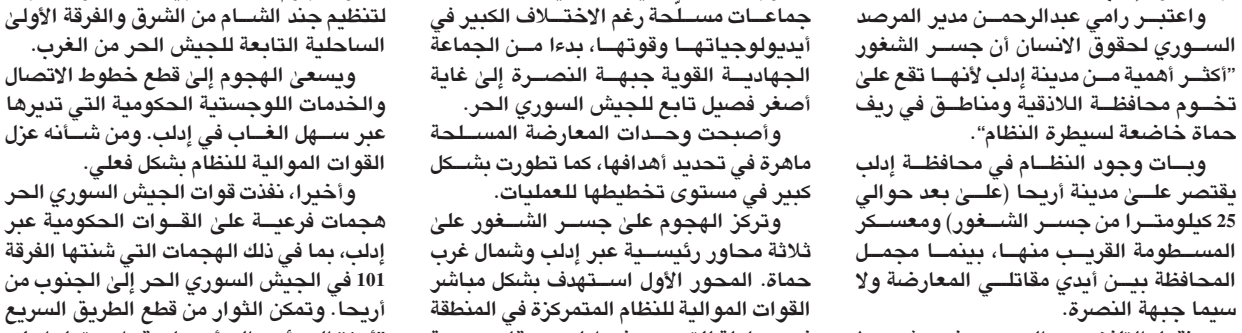

مقاتل من جبهة النصرة في نقطة سيطرة على مدخل بلدة جسر الشغور بعد ساعات من انسحاب القوات السورية النظامية منها

وكان "جيش الفتح"، وهو تحالف يضم جبهة النصرة ذراع القاعدة في سوريا وفصائل إسلامية مقاتلة أبرزها حركة أحرار الشام، أعلن الخميس بدء "معركة النصر" الهادفة إلى "تحرير جسر الشغور".

وتحولت جسر الشغور عمليا إلى مركز إداري للنظام السوري بعد انسحاب قواته في 28 مارس من مدينة إدلب، مركز المحافظة، إثر هجوم لـ"جيش الفتح" الذي أعلن تأسيسه قبل "غزوة إدلب" كما أسماها.

واعتبر رامي عبدالرحمن مدير المرصد السوري لحقوق الانسان أن جسر الشغور "أكثر أهمية من مدينة إدلب لأنها تقع على تخوم محافظة اللاذقية ومناطق في ريف حماة خاضعة لسيطرة النظام".

وبات وجود النظام في محافظة إدلب يقتصر على مدينة أريحا (على بعد حوالي 25 كيلومترا من جسر الشغور) ومعسكر المسطومة القريب منها، بينما مجمل المحافظة بين أيدي مقاتلي المعارضة ولا سيما جبهة النصرة.

ونقل التلفزيون الرسمي في شريط إخباري عاجل عن مصدر عسكري أن "وحدات من قواتنا الباسلة تعيد بنجاح انتشارها في محيط جسر الشغور تجنبا لوقوع ضحايا في صفوف المدنيين الأبرياء". وأشار إلى أن المسلحين "تدفقوا من تركيا" للمشاركة في معركة جسر الشغور.

وخسر النظام خلال الأسابيع الماضية العديد من مواقعه أبرزها مدينة إدلب، ومعبر نصيب الحدودي في الجنوب.

وشنت فصائل سورية مسلّحة واحدة من أكبر عملياتها في 22 أبريل الجاري على قوات الأسد بجسر الشغور. وتجمع حوالي 9 آلاف إلى 12 ألف مسلح من40 جماعة للمشاركة في هجوم واسع النطاق يمتد عبر المحافظات الشمالية الغربية وهي إدلب وحماة.

وجمعت العملية مقاتلين من عدة جماعات مسلّحة رغم الاختلاف الكبير في أيديولوجياتها وقوتها، بدءا من الجماعة الجهادية القوية جبهة النصرة إلى غاية أصغر فصيل تابع للجيش السوري الحر.

وأصبحت وحدات المعارضة المسلحة ماهرة في تحديد أهدافها، كما تطورت بشكل كبير في مستوى تخطيطها للعمليات.

وتركز الهجوم على جسر الشغور على ثلاثة محاور رئيسية عبر إدلب وشمال غرب حماة. المحور الأول استهدف بشكل مباشر القوات الموالية للنظام المتمركزة في المنطقة في محاولة للتوسع في إدلب. وقادت جبهة النصرة هذا الهجوم لضرب قوات النمر وبقايا الفرقة المدرعة الحادية عشرة المتمركزة في المخيمات المحصنة في مسطومة، وكذلك المجمع الكبير لمصنع الطوب في الجنوب الشرقي، باستخدام موجة أولى من العربات التي تحمل عبوات ناسفة.

وقادت جبهة النصرة الهجوم الرئيسي الثاني بدعم من قوات أحرار الشام. واستهدف هذا الهجوم بلدة جسر الشغور الجبلية غربي إدلب. وكان لجبهة النصرة الدور الأكبر في تحقيق التقدم. كما استطاعت القوات التابعة للكتائب الإسلامية والجيش السوري الحر من السيطرة على عديد المواقع التابعة للقوات الموالية للنظام في جميع أنحاء المدينة، ودخلت مدينة جسر الشغور من الشمال.

والهجوم الثالث الكبير، شنته قوات تابعة لتنظيم جند الشام من الشرق والفرقة الأولى الساحلية التابعة للجيش الحر من الغرب.

ويسعى الهجوم إلى قطع خطوط الاتصال والخدمات اللوجستية الحكومية التي تديرها عبر سهل الغاب في إدلب. ومن شأنه عزل القوات الموالية للنظام بشكل فعلي.

وأخيرا، نفذت قوات الجيش السوري الحر هجمات فرعية على القوات الحكومية عبر إدلب، بما في ذلك الهجمات التي شنتها الفرقة 101 في الجيش السوري الحر إلى الجنوب من أريحا. وتمكن الثوار من قطع الطريق السريع "أم 4" المؤدي إلى أريحا، وقد استولوا على تلة حماة التي تطل على الطريق.

وإذا تمكن الثوار من السيطرة على هذا الموقع، فسوف يتم عزل القوات الموالية للنظام في أقصى الشرق. وتشير التقارير إلى أن دمشق تعد لهجمة مرتدة لإعادة فتح الطريق.

السعي لاستمالة السعودية وراء تخلي صالح عن الحوثيين

❑ **صنعاء** – كشف مقربون من الرئيس اليمني السابق علي عبدالله صالح أنه يسعى لإذابة الجليد مع المملكة العربية السعودية، وأن هذا ما دفعه لإصدار بيانه الأخير الذي فك فيه الارتباط بالحوثيين وحثهم فيه على الالتزام بما جاء في القرار الأخير لمجلس الأمن.

وقال مصدر من محيط علي عبدالله صالح لـ"العرب" إن الرئيس السابق اتصل ببعض الجهات القريبة من المملكة لإعلامها باستعداده للتخلي عن الحوثيين، وفتح صفحة جديدة مع الرياض الغاضبة منه بسبب موقفه من المبادرة الخليجية في مرحلة أولى ثم التنسيق الحاصل بين بعض الألوية التابعة لقواته وبين الحوثيين.

وليس من الوارد أن تراهن السعودية تماما على الرئيس السابق، لكنها قد تقبل بدور فاعل لحزب المؤتمر الشعبي العام الذي يرأسه ولقيادات مقربة منه سواء من الحزب أو من محيطه العائلي.

وتبدو السعودية مقتنعة أن الرئيس الانتقالي عبدربه منصور هادي ليس الشخصية القادرة على مواجهة الحوثيين واستثمار النجاحات التي حققتها عاصفة الحزم، ولذلك ربما تفكر في الرهان على نائبه خالد بحاح وعلى إنشاء حزام داعم له من الأحزاب والقبائل، وبينهم حزب صالح وقيادات عسكرية وأمنية موالية له أو من محيطه العائلي.

وقبيل ساعات من انتهاء المهلة التي منحها مجلس الأمن للحوثيين لتنفيذ القرار رقم 2216، سارع صالح للإعلان عن قبوله بقرار مجلس الأمن داعيا في الوقت نفسه حلفاءه الحوثيين للانصياع للقرار، والانسحاب من كافة المدن التي سيطروا عليها وتسليمها للجيش.

وما يثير الانتباه في البيان أنه ساوى بين الحوثيين المصنفين كحلفاء له وبين تنظيم القاعدة.

الرئيس اليوناني لـ«العرب»:

مصر واليونان صمام أمان المنطقة

الحوار كاملا ص 4 »

الفيتوري عاشق أفريقيا يترجل عن حصان الرحلة بعيدا عن السودان

إبراهيم الجبين

❑ أكثر المقاطع الشعرية انتشاراً لمحمد الفيتوري بين الجيل العربي الذي عاصر مجمل أحداث النصف الثاني من القرن العشرين، كان إيقاعاً زاهداً بالزمان والمكان، وكانت كلماته تصيب السودانيين والليبيين والعراقيين والسوريين والفلسطينيين معاً تلك التي قالها في رثاء المعارض السوداني عبدالخالق محجوب الذي تم إعدامه لقتل الحراك المدني حينها "قتلوني، وأنكرني قاتلي، وهو يلتف بردان في كفني، وأنا من سوى رجل واقف خارج الزمن؟ كلما زيفوا بطلاً قلتُ قلبي على وطني".

خارج الزمن، اختار الشاعر السوداني محمد الفيتوري أن يعيش، وخارج بلاده، يختار اليوم أن تكون نهايته، نائياً عن أم درمان التي غنى لها طيلة حياته "كان اسمها أم درمان، كان اسمها الثورة وكان العرس عرس الشمال، كان جنوبيا هواها، وكانت ساعة النصر اكتمال الهلال، فدا لك العمر، ولولا الأسى لقلت تفديك الليالي الطوال".

عن 85 عاماً توفي الفيتوري في مستشفى الشيخ زايد في الرباط، بعد أن أسهم في صنع الحداثة الشعرية العربية، وحمل لقب " شا عر أفريقيا والعروبة"، فكان بشعره طريقاً واسعةً بقيت تربط القارة السوداء بالمشرق العربي وثقافته، مشاركاً في ما أسس له السياب والبياتي ونازك الملائكة، وما ارتفع به نزار قباني ومحمود درويش والجمهرة الشعرية التي حملت الثقافة العربية عبر تجديد الشعر ونقله من قالب العمود، إلى هندسة التفعيلة وصولا إلى فضاء قصيدة النثر عند الأجيال التي أتت لاحقاً. ديوانه" أغاني أفريقيا" الذي أصدره في العام 1955 كان إعلانه الأول، عن رفض جملة من التحديات الإنسانية التي واجهت إنسان تلك اللحظة "يا أخي في الشرق، في كل سكن، يا أخي في الأرض ، في كل وطن، أنا أدعوك، فهل تعرفني ؟ يا أخا أعرفه رغم المحن، إنني مزقت أكفان الدجى، إنني هدمت جدران الوهن، لم أعد مقبرة تحكي البلى، لم أعد ساقية تبكي الدمن، لم أعد عبد قيودي، لم أعد عبد ماض هرم عبد وثن". فكانت نداءات الفيتوري صوتا بين أصوات ربطت الهوية العربية المتقدمة بقوة حينها، دامجة إياها بقضايا كثيرة مثل تحرير العبيد، والنضال ضد العنصرية الذي كان في أوجه في تلك الفترة بحرب مارتن لوثر كينغ السلمية ضد العنصرية البيضاء، وكان على رأس تلك القضايا قضية فلسطين التي حضرت بقوة في شعر الفيتوري الذي لم ينس نبرة الصوفيّ في قصائده، ولم يسمح لغنائية العربي أن تغيب عن نصوصه.

ولد الفيتوري في 1936 غرب دارفور في أسرة صوفية شاذلية، وغادر إلى الإسكندرية، التي حفظ فيها القرآن لينتقل إلى القاهرة متابعاً دراسته في الأزهر، وبعد تخرجه عمل في الصحافة المصرية والسودانية، ومستشاراً في الجامعة العربية، ورغم التضاريس الصعبة في حياته، بين المنفى والتشرّد، إلا أنه استمر في أغانيه الأفريقية كتاباً إثر كتاب، "أذكريني يا أفريقيا 1956" و"عاشق من أفريقيا 1964"، وحتى كتابه الأخير "عريانا يرقص في الشمس ـ 2005"، مروراً بأعمال مسرحية تناولت سيرة يوسف بن تاشفين، وعمر المختار.

دفعه نظام جعفر النميري إلى الخروج من السودان لاجئاً إلى ليبيا، وسحب منه الجنسية السودانية، ولكن ليبيا منحته جنسيتها، وتم تعيينه سفيراً في بيروت، ولم يعد إلى السودان إلا بعد إسقاط النميري في 1985، ولكن مأساة الفيتوري لم تنته، فبعد انهيار نظام القذافي، سحبت منه السلطات الجديدة جواز السفر الليبي، فغادر مجدداً إلى المغرب، ليعيش في ضاحية سيدي العابد، جنوب الرباط، حينها قررت الخرطوم إعادة جواز سفره إليه. عاش حياته باحثاً عن حريته، وحمل انكساره معه دون أن يفقد أمله في أن الشعر وحده يحرّر الإنسان.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الامارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWETZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

جبهة البوليساريو تلوح بنسف الجهود الأممية بشأن الصحراء

طرد الانفصاليين من مؤتمر نزع السلاح النووي اعتراف دولي جديد بفشلهم

تلوّح جبهة البوليساريو بورقة نسف الجهود الأممية بشأن الصحراء المغربية كلما ضاقت دائرة المؤديين لها؛ ولم يكن طردها، يوم الجمعة الماضي، من أشغال المؤتمر الثالث للمناطق الخالية من الأسلحة النووية بالأمم المتحدة، إلا اعترافا دوليا جديدا بعدم شرعية "القضية" التي تروّج لها هذه الجبهة الانفصالية.

□ **نيويورك** – تسعى جبهة البوليساريو الانفصالية لاستغلال المؤتمرات الدولية للتسويق لنفسها، لكن غالبا ما يكون مصير محاولاتها الفشل، على غرار ما استجدّ يوم الجمعة الماضي بمقر الأمم المتحدة بنيويورك، خلال انعقاد المؤتمر الثالث للمناطق الخالية من الأسلحة النووية، حيث كان الطرد مصير ممثلي البوليساريو، الذين حاولت الجزائر فرضهم خلال المؤتمر، حسب مصدر دبلوماسي بالأمم المتحدة.

وأكد المصدر الأممي أنه "بالرغم من مناورات الجزائر وأصدقائها، تم طرد الانفصاليين من القاعة، حيث كانت تجري أشغال الدورة الثالثة للمناطق الخالية من الأسلحة النووية"، وفقا لوكالة أنباء المغرب العربي. وأشار المصدر أن "الجزائر سعت إلى استغلال انعقاد المؤتمر الدولي بمقر الأمم المتحدة لإقحام ممثلين عن الكيان الوهمي في هذا المؤتمر الدولي، الذي تشارك فيه دول أعضاء بالأمم المتحدة بعدة مناطق من العالم".

وأضاف أن "أشغال المؤتمر الدولي تواصلت دون مشاركة ممثلي صنيعة الجزائر، ما دفع هذه الأخيرة، أمام هذا الفشل الذريع، إلى عدم المشاركة في النقاش، وسحب ممثلها من لائحة المتدخلين".

ويهدف هذا المؤتمر، الذي ينعقد مرة كل خمس سنوات منذ 2005، إلى البحث عن السبل الكفيلة لتحسين التعاون والتنسيق بين الأعضاء في هذا المجال. واندلع الخلاف الدبلوماسي خلال اجتماع "للدول الأطراف في المعاهدات المنشئة للمناطق الخالية من الأسلحة النووية والدول الموقعة عليها ومنغوليا" قبل مؤتمر يستمر شهرا بشأن معاهدة منع الانتشار النووي يبدأ غدا الاثنين.

وفي تصريح له، شدد الوفد المغربي على ضرورة مواصلة السعي نحو تحقيق هدف قارة أفريقية خالية من الأسلحة النووية مع الاحترام الكامل للقانون الدولي، والسيادة والوحدة الترابية للدول. وللمغرب دور فاعل في مفاوضات معاهدة بيليندابا، التي تم التوقيع عليها سنة 1996، لإحداث منطقة خالية من الأسلحة النووية بأفريقيا.

ويفشل الموقف المتخذ خلال المؤتمر الثالث للمناطق الخالية من الأسلحة النووية، بنيويورك مناورات جبهة البوليساريو، التي تأتي في وقت يناقش فيه أعضاء مجلس الأمن الدولي مسودة مشروع قرار حول مستقبل مهمة بعثة الأمم المتحدة لحفظ السلام في الصحراء المغربية "مينورسو".

وستطرح هذه المسودة للتصويت، بعد غد الثلاثاء، وتنص بنودها على التمديد للمينورسو، سنة إضافية، دون أي تعديل على صلاحيات البعثة، كما تدعو إلى البحث عن حل سياسي لنزاع الصحراء. ويضيف نص المسودة أن مجلس الأمن الدولي يرحب بالمبادرات الأخيرة التي اتخذتها الرباط، لحل أزمة الصحراء المغربية.

وأعربت المملكة المغربية، في وقت سابق عن ارتياحها لمشروع القرار.

وقال الناطق الرسمي باسم الحكومة المغربية مصطفى الخلفي إن المشروع يتجاوب مع المحددات التي سبق الإعلان عنها وأهمها ضرورة توافر عنصري الحياد والموضوعية في عمل مسؤولي المنظمة الدولية المكلفين بهذا الملف.

وأكد الخلفي أن بلاده ستواصل سياستها الرامية إلى الدفع بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية في الأقاليم الصحراوية الجنوبية، وزيادة الانفتاح الحقوقي على الأمم المتحدة والمنظمات الدولية الأخرى المعنية.

وشدّد الخلفي على الثوابت التي تؤطر سياسة المملكة المغربية بخصوص قضية الصحراء؛ مؤكدا على أن الأمر يتعلق بمقترح الحكم الذاتي الذي يعد الإطار "الذي تعتبره الرباط كفيلا بتوفير حل سياسي ومقبول من قبل الأطراف".

في المقابل صعدت جبهة البوليساريو ومن خلفها الجزائر، من ضغوطها على الأمم المتحدة مهددة بنسف جهود الأخيرة، في حال بقي حصر مهام الـ"مينورسو" على مراقبة وقف إطلاق النار.

وتطالب الجبهة الانفصالية بتوسيع صلاحيات البعثة لتشمل مراقبة الأوضاع الإنسانية في الأقاليم الجنوبية، رغم الانتهاكات التي ترتكبها في مخيمات تندوف الواقعة على الحدود الجزائرية، وذلك باعتراف منظمات حقوقية دولية.

وفي رسالة له إلى الأمين العام للأمم المتحدة انتقد زعيم الجبهة الانفصالية محمد عبدالعزيز بشدة المنظمة الأممية، مهددا بنسف المسار الحالي من أساسه، إذا ما استمر اختزال دور البعثة في مراقبة التزام الأطراف بوقف إطلاق النّار دون تخطّيه إلى الاستفتاء. وأعرب عبدالعزيز عن استيائه مما أسماء تشجيعا للمغرب.

وأصر زعيم الانفصاليين على ضرورة إقحام الاتحاد الأفريقي في النزاع، قائلا "إن الجبهة تتشبث بكونه شريكا في خطة السلام، وإنّ من غير المنطقي تجاهله اليوم، سيما أنه متعاون مع الأمم المتحدة في مختلف القضايا والنزاعات التي تعتمل داخل القارة السمراء"، وفق نص الرسالة.

ويتخذ الاتحاد الأفريقي موقفا منحازا للجبهة الانفصالية، وقد بعث مؤخرا برسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة يطالب فيها بتوسيع مهام المينورسو في تماه واضح مع مطالب الانفصاليين. وهو مارد عليه بان كي مون الأمين العام للمنظمة الأممية بالقول إنه ليس في وارد القيام بهذه الخطوة، داعيا الاتحاد الأفريقي ضمنيا إلى اتخاذ موقف أكثر حيادية وشفافية.

وجدير بالذكر أن المغرب كان انسحب منذ الثمانينات من الاتحاد الذي كان يطلق عليه آنذاك المنظمة الأفريقية على خلفية موقفها من الصحراء المغربية وقيامها بإعطاء مقعد للبوليساريو رغم أن قانون المنظمة لا يخول ذلك.

ويرجح المتابعون أن يستمر تصعيد الجبهة والأطراف التي تقف خلفها، في ظل انحسار المؤيدين لهم على الصعيد الدولي والأفريقي، ووجود توجه لتبني الحل المغربي القائم على إعطاء الصحراويين إقليما ذاتيا مع الإبقاء على السيادة المغربية.

وكان محمد خداد، منسق البوليساريو مع قوة حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة، قد صرح مؤخرا "إننا سنعيد تقييم تعاوننا مع قوة حفظ السلام".

ويزعم خداد أن الأمين العام للأمم المتحدة، بان كي مون، ربما تخلى عن فكرة إجراء استفتاء تظن الجبهة الانفصالية أنه سيؤدي إلى انفصال الصحراء الغربية عن المغرب.

توجه دولي لدعم أطروحة المغرب لحل قضية الصحراء

> الجزائر سعت إلى استغلال انعقاد المؤتمر الدولي بمقر الأمم المتحدة لإقحام ممثلين عن الكيان الوهمي في هذا المؤتمر الدولي

إعلان فاس يدعم دور رجال الدين في مواجهة الإرهاب

□ **الرباط** – أقر أكثر من ثلاثين مسؤولا من أديان مختلفة خطة عمل وتوصيات لمكافحة التوتر الديني المؤدي إلى التطرف وارتكاب الجرائم.

وجاء ذلك في ختام منتدى دولي نظمته المفوضية السامية لحقوق الإنسان في مدينة فاس المغربية.

وضمن المسؤولون توصياتهم في "إعلان فاس الذي شدد على ضرورة دعم دور القيادات الدينية من مختلف الديانات والطوائف في نشر قيم التسامح والحوار، وصياغة خطابات بديلة عن تلك التي تدعو للعنف والكراهية.

وطالب الإعلان القيادات السياسية بالتنسيق مع الزعماء الدينيين من أجل محاربة التطرف وتشجيع الحوار بين الديانات، ومنع التوترات الدينية والعرقية.

وحث الحكومات والمؤسسات والقادة الدينيين، على ضرورة تسليط الضوء على المواضيع التي يستغلها المتطرفون في إذكاء خطابات التطرف والكراهية، والتي تسهم في التشويش على الرأي العام وإشعال فتيل النزاعات الدينية التي من شأنها أن تؤدي إلى جرائم قتل وإبادة جماعية.

كما نص على استخدام مختلف وسائل الإعلام لمكافحة التطرف والكراهية" عبر "الانخراط في حوار مع المسؤولين عن التحريض وكذلك الجمهور الذي يميل إلى الاستجابة للعنف".

ويهدف المنتدى إلى "التأكيد على أدوار القادة الدينيين بمختلف مشاربهم وأطيافهم في بناء خطاب ديني إيجابي قائم على أساس احترام حقوق الإنسان".

ومن المرتقب أن تلي هذا المنتدى الذي أقيم على مدار يومين سلسلة من اللقاءات الإقليمية في مختلف مناطق العالم خلال السنة الحالية، تختتم بعقد مؤتمر أممي دولي للقادة الدينيين السنة المقبلة.

واعتبر أداما ديانغ المستشار الأممي الخاص المعني بمنع الإبادة الجماعية، في ختام أشغال المنتدى، أن الملتقى يسهم في التأكيد على الدور المحوري الذي يلعبه القادة الدينيون في إشاعة ثقافة الحوار والقبول بالآخر، ومنع خطابات الكراهية، بالنظر للدور المهم الذي يلعبونه والمؤثر داخل مجتمعاتهم.

وشدد أداما على ضرورة عدم السماح لجماعات دينية باستغلال الدين لأغراض إجرامية وإرهابية، كتلك التي يرتكبها تنظيم داعش باسم الإسلام في كل من العراق وسوريا، أو جماعة بوكو حرام في نيجيريا، مستنكرا في ذات الآن الخطابات التحريضية التي يستعملها اليمين المتطرف في أوروبا ضد المهاجرين والأقليات الدينية.

ويبدأ تطبيق خطة العمل المتفق عليها بحسب "إعلان فاس"، اعتبارا من 2016. وكانت المفوضية السامية لحقوق الإنسان قد نظمت عام 2012 ملتقى دوليا بالعاصمة المغربية الرباط، شارك فيه عدد من المسؤولين الأمميين من أجل مناقشة خطاب التحريض على جرائم الإبادة الجماعية، فيما عقدت المفوضية عام 2013 بجنيف مؤتمرا دوليا حول ذات الموضوع.

تأييد دولي متزايد لحصول مصر على عضوية مجلس الأمن

□ **القاهرة** – أعرب أعضاء المجموعة اللاتينية والكاريبي في الأمم المتحدة، أمس السبت، عن دعمهم الكامل لعضوية مصر غير الدائمة في مجلس الأمن لعامي 2016–2017، آخذين في الاعتبار دور القاهرة التاريخي والمحوري في خدمة قضايا العالم النامي وما تقوم به حاليا من جهود لتسوية العديد من القضايا الإقليمية التي تهدد الأمن والسلم الدوليين ومحاربة الإرهاب.

وحسب ما ذكره المتحدث باسم وزارة الخارجية المصرية بدر عبدالعاطي، أكد وزير الخارجية المصري سامح شكري خلال لقائه بمندوبي دول المجموعة اللاتينية والكاريبي في الأمم المتحدة على أن قرار مصر الترشح للمقعد غير الدائم لمجلس الأمن يأتي في ضوء حرصها على مواصلة جهودها المكثفة لصون السلم والأمن الدوليين ودفع قضايا العالم الثالث والدول النامية إلى الإمام، خاصة القضايا المرتبطة بإصلاح الأمم المتحدة وتوسيع مجلس الأمن لتصبح أكثر ديمقراطية وتمثيلا للدول النامية ولمصالحها.

وأشار إلى أن القرار المصري ينطلق أيضا من الاهتمام بقضايا نزع السلاح ومنع الانتشار النووي، والتنمية وتمويل أهداف الألفية، وتسوية القضايا الإقليمية في إطار احترام القانون الدولي وعلى رأسها القضية الفلسطينية والأزمة الليبية والسورية والوضع في اليمن وغيرها بما يصون الأمن والسلم الدوليين.

وأضاف المتحدث أن الوزير شكري تناول بشكل مفصل جهود مصر المتصلة في محاربة الإرهاب باعتباره ظاهرة عالمية، معربا عن تطلع مصر للحصول على دعم دول أميركا اللاتينية والكاريبي الصديقة في الانتخابات المقررة في الجمعية العامة للأمم المتحدة في أكتوبر القادم لانتخاب أعضاء مجلس الأمن غير الدائمين.

ومصر من أول الدول التي دعت إلى ضع قضية مكافحة الإرهاب على جدول أعمال المنظمة الأممية باعتبارها ظاهرة عالمية تهدد السلم والأمن الإقليمي والدولي.

وشاركت القاهرة في37 بعثة حفظ سلام بأكثر من 30 ألف فرد قاموا بأداء مهامهم تجاه صون السلم والأمن الدوليين في 24 دولة بأفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية وأوروبا، كما أنها تواصل تفعيل آليات الدبلوماسية الوقائية وتعزيز التعاون المؤسسي بين الأمم المتحدة والمنظمات الإقليمية، بما فيها جامعة الدول العربية والاتحاد الأفريقي خلال فترة عضويتها غير الدائمة بمجلس الأمن.

ويوجد وزير الخارجية المصري سامح شكري منذ أيام بنيويورك لحشد الدعم لبلاده للحصول على عضوية غير دائمة بمجلس الأمن، وسط مؤشرات عن دعم متزايد للقاهرة للفوز بالمنصب. وفي وقت سابق، أعرب المندوبون الدائمون لمجموعة دول شرق أوروبا بالأمم المتحدة عن دعمهم لترشح مصر لشغل المقعد.

وأشار المندوبون، خلال لقائهم شكري الجمعة في نيويورك، إلى دور مصر المحوري في محاربة الإرهاب ومعالجة القضايا الإقليمية المختلفة وثقتهم الكاملة في قدرة الدبلوماسية المصرية على العمل بشكل متميز داخل مجلس الأمن.

كما أكد المندوبون الدائمون لدول مجموعة آسيا والباسيفيك في الأمم المتحدة دعمهم أيضا لترشح مصر للمقعد، معربين عن تطلعهم لتولي مصر هذه العضوية لما يمثله ذلك من دعم كامل للمواقف والقضايا التي تهم العالم الثالث والدول الآسيوية.

من جانبهم أوضح المندوبون الدائمون للدول الأفريقية بالأمم المتحدة، تأييدهم للقاهرة وذلك انطلاقا من مكانتها الكبيرة إقليميا ودوليا والدور الذي لعبته على مر التاريخ دعما للدول الأفريقية.

وأكدوا– خلال اللقاء الذي جمعهم مع وزير الخارجية سامح شكري الجمعة في نيويورك– على ضرورة دعم القاهرة في هذا الصدد، معبرين عن ثقتهم الكاملة في قدرتها لما لها من إمكانيات وخبرة كبيرة خاصة على الصعيد الدبلوماسي وعلى تبني القضايا الأفريقية وطرحها والدفاع عنها في المحافل الإقليمية والدولية وفي مجلس الأمن.

وتلقى القاهرة دعما كبيرا من الدول العربية التي ترى بأن وجود القاهرة سيمثل إثراء لعمل المجلس في ضوء مكانتها الإقليمية وإسهاماتها الكثيرة على الساحة الدولية، مؤكدين، وفق ممثليهم بمجلس الأمن على استعدادهم التام للمساعدة في الحملة الانتخابية التي تقوم بها القاهرة.

ويجدد مجلس الأمن كل سنة خمسة من أعضائه العشرة غير الدائمين، ينتخبون لسنتين. ويجرى الانتخاب على أساس مناطقي، بمعنى كل منطقة تختار مرشحا تصادق عليه مبدئيا الجمعية العامة للأمم المتحدة في الخريف (ليبدأ مهامه في الأول يناير).

ويتوجب أن يحصل المرشح على 129 صوتا على الأقل من الدول الأعضاء الـ193.

وتم انتخاب مصر كعضو غير دائم في مجلس الأمن أربع مرات: 1949–1950، 1961 – 1962، 1984–1985 و 1996–1997.

> مساندة عربية لترشيح مصر لعضوية مجلس الأمن الدولي لما يمثله ذلك من دعم كامل للمواقف والقضايا التي تهم المنطقة في المنظمة الأممية الدولية

مصر عضوة في مجلس الأمن.. ديمقراطية وتمثيل أشمل للدول النامية

«الدولة الإسلامية» تستهدف المعبر البري الوحيد بين الأردن والعراق

داعش يقتل ضابطين كبيرين بالجيش ومجلس الأنبار يحمل العبادي المسؤولية

تتواصل المواجهة المفتوحة بين القوات العراقية وعناصر تنظيم الدولة الإسلامية في محافظة الأنبار وسط تقدم لافت للأخير أثار تساؤلات كثيرة حول حقيقة استعدادات الجيش والعشائر لهذه المواجهة، خاصة بعد مقتل قائد الفرقة الأولى للجيش حسن عباس.

□ **بغداد** – أعلن، أمس السبت، مسؤول عراقي مقتل ضابطين أحدهما قائد فرقة وعشرة جنود آخرين خلال معارك مع تنظيم الدولة الإسلامية في محافظة الأنبار غرب البلاد.

وقال قائد عمليات الأنبار بالوكالة اللواء محمد خلف الدليمي إن "قائد الفرقة الأولى العميد الركن حسن عباس وآمر اللواء الأول بالفرقة الأولى العقيد الركن هلال مطر و10 جنود قتلوا جميعهم وأصيب 10 جنود آخرين في مواجهات مع تنظيم داعش الجمعة".

وأشار الدليمي إلى أن "التنظيم سيطر على أجزاء من منطقة ناظم الثرثار" الواقعة إلى الشرق من مدينة الرمادي مركز محافظة الأنبار، وتمركز عناصره وقناصة على تلال مرتفعة في المنطقة.

وأوضح أن القوات العراقية بدأت السبت عملية "يشارك فيها طيران التحالف الدولي (بقيادة واشنطن) والطيران العراقي" لاستعادة السيطرة على المنطقة.

وكان عضو مجلس محافظة الأنبار جاسم العسل قد أعلن في وقت سابق السبت أن قائد الفرقة الأولى في قوات التدخل السريع بالجيش قتل في معارك مع تنظيم الدولة الإسلامية شمال شرقي الفلوجة ثاني أكبر مدن المحافظة.

وأضاف العسل أن قائد الفرقة الأولى في قوات التدخل السريع بالجيش العراقي العميد الركن حسن عباس طوفان قتل خلال مواجهات اندلعت مع مقاتلي تنظيم الدولة الإسلامية في منطقة "ناظم الثرثار" شمال شرقي الفلوجة.

وأوضح أن العميد طوفان لقي مصرعه عقب انفجار قذيفة هاون بالقرب من قوة كان يقودها اثناء اشتباكات مع مسلحين من التنظيم الإرهابي، مؤكدا أن ثلاثة جنود قتلوا مع العميد فيما أصيب اثنان آخران بجروح متفاوتة.

وفي تعقيب له على مقتل الضابطين، وجه نائب رئيس الجمهورية أسامة النجيفي "دعوة إلى قيادة العمليات المشتركة لتوخي الحذر أمام غدر الدواعش، والدقة في وضع الخطط العسكرية ومتابعة تنفيذها، ومعالجة أيّ نقص في العدة والعدد، وعدم ترك أيّ فرصة للإرهابيين للوصول إلى مناطق مهمة وخاصة ناظم الثرثار والمناطق الاستراتيجية الأخرى وتجهيز القطعات المقاتلة بكل ما تحتاجه لضمان النصر على الإرهابيين".

أما عضو مجلس محافظة الأنبار راجع بركات فقد حمّل، رئيس الوزراء القائد العام للقوات المسلحة حيدر العبادي، ووزير الدفاع خالد العبيدي والمتحدث باسم وزارة الداخلية العميد سعد معن، مسؤولية "سقوط" ناظم الثرثار شمال الرمادي بيد داعش وقتله 150 ضابطاً وجنديا.

ويسيطر تنظيم الدولة الإسلامية على مساحات واسعة من الأنبار، كبرى محافظات العراق والتي تتشارك حدودا مع سوريا والأردن والسعودية.

ورغم العملية العسكرية التي بدأت بها القوات العراقية، هذا الشهر، مدعومة بمقاتلين من العشائر السنية بالمحافظة لطرد داعش، إلا أن التنظيم المتطرف لايزال يحقق تقدما لافتا الأمر الذي يثير كثيرا من الشكوك، وسط اتهامات للحكومة بعدم الاستعداد جيدا للعملية بغية الدفع بمشاركة عناصر الحشد الشعبي.

وترفض معظم القوى السنية، كما الولايات المتحدة الأميركية مشاركة ميليشيات الحشد الشعبي في معركة الأنبار، على خلفية الانتهاكات التي ارتكبتها في عدد من المناطق والمدن العراقية الأخرى وآخرها في مدينة تكريت مركز محافظة صلاح الدين (شمال بغداد) حينما قامت عناصره بحرق ممتلكات الأهالي.

وجدد رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي، أمس السبت، زعمه بأن السلاح محصور بيد الدولة، ولا توجد أيّ جهة تدعو لخلاف ذلك، مشددا على أن الحشد الشعبي هيئة رسمية تابعة للدولة، وأنه لا توجد ميليشيات في العراق.

وقال العبادي في كلمة له خلال احتفالية "الشهيد العراقي" في العاصمة بغداد إن "السلاح محصور بيد الدولة وليست هناك أيّ جهة تدعو لخلاف ذلك".

وأضاف أن "لدى الحشد الشعبي غطاء قانوني وتنفيذي لأنه هيئة ترتبط بالدولة وتشكلت بقرار من مجلس الوزراء"، مبديا استياءه من "الأصوات النشاز والصيحات التي تتكلم عن وجود ميليشيات في العراق"، في انتقاد واضح للعشائر السنية التي ترفض مشاركة الحشد في الأنبار.

> داعش يسعى لتطويع ورقة طريبيل لفائدته في مواجهته المفتوحة مع القوات العراقية، ومعاقبة الأردن

أحد عناصر الجيش العراقي خلال استعداده لقنص مقاتلين لداعش

وفي سياق متابعة التطورات المتلاحقة بالمحافظة الواقعة غرب العراق سجل أمس تطور لافت وخطير، وفق وصف المتابعين للمشهد بهذا البلد، تمثل في استهداف المعبر الوحيد بين الأردن والعراق وذلك للمرة الأولى منذ سيطرة تنظيم داعش على الأنبار، بسيارات مفخخة.

وتبنى تنظيم الدولة الإسلامية الهجمات الانتحارية بمعبر طريبيل، والتي أدت إلى مقتل أربعة من قوات الأمن العراقية.

وتداولت حسابات إلكترونية مؤيدة للتنظيم صورا تحمل توقيع "ولاية الأنبار" بتاريخ السبت، تظهر ثلاثة أشخاص قدموا على أنهم "أبو بكر الفرنسي" و"أبو عبدالله البلجيكي" و"أبو جعفر السنغالي".

وكتب في أسفل الصور أن كلاً من هؤلاء كان "الغائر على جموع المرتدين في طريبيل".

وكان رئيس مجلس محافظة الأنبار صباح كرحوت قد صرح في وقت سابق أن ثلاثة انتحاريين يقودون عربات مفخخة، هاجموا ثلاث نقاط تفتيش متتالية عند المعبر.

وأشار إلى أن الهجمات أدت إلى مقتل ضابط برتبة نقيب في الشرطة، وثلاثة جنود على الأقل، وإصابة ثمانية من عناصر الأمن.

وعلى وقع هذا التطور الخطير سارع الأردن إلى إغلاق المعبر، وقام بنشر مزيد من التعزيزات العسكرية على حدوده خشية تسلل عناصر من التنظيم المتطرف إلى داخل أراضيه، وقيامه باستهداف عناصره على شاكلة الهجوم على طريبيل.

وأكدت مصادر عسكرية وأمنية أردنية أن جميع كوادرها على حدود الكرامة مع العراق (طريبيل العراقية) بخير ولم يتعرضوا لأيّ أذى.

وأوضحت ذات المصادر أن الجيش الأردني المتواجد على كافة الحدود مع العراق لديه أوامر بالتعامل مباشرة وسحق أيّ شيء يقترب من حدود البلاد.

وأدت الإجراءات الاحترازية للأردن على الحدود العراقية إلى احتجاز مئات الشاحنات، الأمر الذي دفع مجلس محافظة الأنبار إلى مناشدة "الحكومة المركزية بالتدخل لدى الأردن وفتح منفذها بعدما أغلقته بسبب التفجيرات التي ضربت منفذ طريبيل الحدودي".

ويشكل معبر طريبيل أهمية كبرى للمبادلات التجارية بين العراق والأردن، ورغم سيطرة داعش منذ أشهر على المحافظة بقي المعبر خارج دائرة الاستهداف، ولكن يبدو، ووفقا للمتابعين، أن التنظيم يسعى لتطويع هذه الورقة لفائدته في مواجهته المفتوحة مع القوات العراقية، ومعاقبة الأردن التي تشارك ضمن التحالف الدولي في قصف معاقله وطرق إمداداته سواء في العراق أو سوريا.

الحوثيون يصرون على لغة الرصاص بديلا عن السلام في اليمن

❑ **صنعاء** – تواصلت الغارات والمعارك الدامية في اليمن أمس السبت، في ظل إصرار الحوثيين على السير قدما في تمددهم متحدّين بذلك قرار مجلس الأمن. يأتي ذلك وسط تزايد المطالبات الدولية بضرورة انسحاب الحوثيين من المدن اليمنية حتى يتسنى بدء العملية التفاوضية.

وأكد مسؤولون محليون أن 27 شخصا على الأقل قتلوا، أمس السبت في جنوب اليمن في معارك بين المتمردين الحوثيين وحلفائهم الموالين للرئيس السابق علي عبدالله صالح وأنصار الرئيس عبدربه منصور هادي.

وقال مسؤول إن أربعة مقاتلين موالين لهادي على الأقل وستة متمردين قتلوا في المواجهات التي جرت فجر أمس في الضالع الواقعة شمال مرفأ عدن، وتحدث كذلك عن ثمانية متمردين آخرين قتلوا في كمين.

وصرح مسؤول محلي آخر أن مقاتلين موالين للرئيس هادي قتلوا تسعة متمردين في هجوم بقذائف مضادة للدروع في مدينة لودر.

وجرت معارك في عدن أيضا ثاني مدن البلاد حيث استهدفت غارات جوية للتحالف العربي الذي تقوده السعودية مواقع للمتمردين.

وقصفت طائرات التحالف خصوصا القصر الرئاسي في المدينة التي انتقل إليها هادي قبل أن يلجأ إلى المملكة العربية السعودية في مارس، ويسيطر المتمردون على القصر حتى اليوم.

وفي محافظة لحج شمال عدن قصفت طائرات التحالف العربي قاعدة العند العسكرية التي كان يتمركز فيها عسكريون أميركيون قبل إجلائهم بسبب النزاع وسيطرة الحوثيين عليها.

وفي مأرب قال ضباط وشهود عيان ليل الجمعة السبت إن معارك وقعت في محافظة مأرب (شرق). وتشهد مدينة صرواح خصوصا معارك عنيفة، لكن لم تتوفر أيّ حصيلة لهذه المواجهات.

وقد قام التحالف العربي بقيادة المملكة العربية السعودية السبت بقصف نقاط تمركز الحوثيين بالمدينة.

وأعلن التحالف العربي يوم الثلاثاء انتهاء حملة القصف الرئيسية في اليمن لكن متحدثا سعوديا قال إن القوات ستواصل استهداف تحركات الحوثيين إذا اقتضت الضرورة.

ولا تبدو هناك أيّ نية للحوثيين للانسحاب من المدن اليمنية، بل على العكس، تسعى لتحقيق مزيد من التقدم في محاولة لتحسين شروط التفاوض السياسي، بعد أن بات الحل العسكري بعيد المنال إن لم يكن مستحيلا بالنسبة إليهم.

وقال محمد البخيتي عضو المكتب السياسي للميليشيا الحوثية التي تسمي نفسها أنصار الله، أمس، إن قرار مجلس الأمن منحاز وغير عملي خاصة ما يتعلق منه بإلقاء السلاح والانسحاب من المدن.

ونفى البخيتي أن يكون الحوثيون أطلقوا سراح وزير الدفاع اليمني محمود الصبيحي وناصر شقيق هادي اللذين قادا مقاتلين في عدن، وقال إنهما أسيرا حرب وإنهما سيطلق سراحهما عندما يتوقف القتال.

هذا التعنت الحوثي دفع بالإدارة الأميركية إلى الخروج مجددا ومطالبتهم بوقف القتال لبدء عملية التفاوض.

وقال وزير الخارجية الأميركي جون كيري إن على الحوثيين وقف القتال ليتسنى للسعودية وقف القصف وكذلك ليبدأ الحوار السياسي.

وأضاف في مؤتمر صحفي في كندا "هذا يتعين أن يكون شارعا ذا اتجاهين"، مشددا على أنه يجب ضمان أن يقبل الحوثيون ومن يمكن أن يكون لهم تأثير عليهم التحرك إلى مائدة المفاوضات، في إشارة إلى إيران.

وتدعم طهران المتمردين الحوثيين، ويرى المتابعون أنها ليست بوارد التخلي عن ذلك أو ممارسة الضغط عليهم لإنهاء الأزمة اليمنية، باعتبار أنها ترى فيهم خادما لمشروعها التوسعي بالمنطقة.

وقال متحدث باسم وزارة الدفاع الأميركية إن أسطولا إيرانيا يضم تسع سفن حربية وبضائع يخشى مسؤولون أميركيون أن تكون به أسلحة للحوثيين أبحر صوب الشمال الشرقي في اتجاه إيران، مضيفا أن من شأن ذلك تخفيف مخاوف الأميركيين.

ومع ذلك نقلت وكالة الأنباء الإيرانية الرسمية عن أحد قادة سلاح البحرية الإيراني الأميرال حبيب الله سياري قوله أمس السبت إن الأسطول الإيراني لا يزال يقوم بمهمته في خليج عدن.

> المتحدث باسم الحوثيين ينفي أن يكونوا أطلقوا سراح وزير الدفاع اليمني محمود الصبيحي وناصر شقيق هادي اللذين قادا مقاتلين في عدن، وقال إنهما أسيرا حرب وإنه سيطلق سراحهما عندما يتوقف القتال

معارك شرسة بين الحوثيين وأنصار هادي في الجنوب

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977

أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
Kensington Centre
66 Hammersmith Road
London W14 8UD, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk
www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

الرئيس اليوناني لـ«العرب»: مصر واليونان صمام أمان المنطقة

بروكوبيس بافلوبولوس: أوروبا تحتاج لسياسة موحدة تجاه قضايا الشرق الأوسط

قال الرئيس اليوناني بروكوبيس بافلوبولوس، في حوار خاص مع "العرب"، إن اليونان وقبرص ومصر تمثل مراكز استقرار في المنطقة، لذلك يجب أن يظل كل منها قويا، ويتصدّى لدول المنطقة التي تسعى إلى وضع العراقيل وإثارة المشكلات مثل تركيا. كما شدّد على ضرورة تبني دول الاتحاد الأوروبي سياسة موحدة بخصوص عديد الملفات بدءا بالهجرة غير الشرعية ووصولا إلى الخطر الإرهابي.

محمد وديع

❑ **القاهرة** – أكد رئيس اليونان، بروكوبيس بافلوبولوس، على أهمية القمة بين مصر واليونان وقبرص، والتي ستعقد في نيقوسيا في الـ29 من أبريل الجاري، للمساهمة في صياغة التعاون المشترك ودعم عوامل الاستقرار في المنطقة، خاصة أن الدول الثلاث تعد بمثابة صمامات أمان لأوروبا والعالم.

وقال الرئيس اليوناني، في حوار خاص مع "العرب"، خلال زيارته للقاهرة، إن انعقاد القمة يعزز دور الدول الثلاث في ضمان السلام في منطقة شرق المتوسط، ويمثل دعوة وتحديا وحافزا لقوى أخرى في المنطقة للعمل ضمن هذا الإطار، لتسهم في المسيرة من أجل التنمية، على أساس احترام القانون الدولي واتفاقية الأمم المتحدة للبحار.

وأضاف أنه يمكن استثمار العلاقات المتميزة التي تجمع بين بلاده وكلّ من مصر وقبرص لدفع التعاون المشترك بينهم بشكل وثيق، ومع دول المتوسط الأخرى، بما يساهم في تشكيل سياسة خارجية وأمنية متماسكة، وتعزيز البعد المتوسطي في سياسة الجوار الأوروبية.

وشدد على أن اليونان وقبرص ومصر تمثل مراكز استقرار في المنطقة، لذلك يجب أن يظل كلّ منها قويا، منوها إلى ضرورة الاستفادة من الفرص المتاحة، وجميعهم يقع في منطقة تمر من خلالها مسارات مختلفة للطاقة، وتوجد في قبرص حقول غاز طبيعي واعدة، وهناك احتمالات لوجود مخزونات أخرى جنوب جزيرة كريت، وقبالة الساحل الغربي لليونان في البحر الأيوني، ما يحتم وضع الاستراتيجيات المناسبة لاستغلالها بالشراكة مع مصر.

> لا بد من أفق سياسي للأزمة السورية للحفاظ على السلامة الإقليمية للدولة وإعادة الأمن والاستقرار للشعب

وقال بروكوبيس بافلوبولوس: اليونان تبحث إمكانية أن تصبح نقطة لمرور شبكات الطاقة، بما يتضمنه ذلك من نقل الغاز إلى أوروبا، واستغلال النفط والغاز في قبرص، وهي مجالات ذات أولوية بالنسبة إلى بلاده، لأنها يمكن أن تسهم في التنمية والأمن في المنطقة وتعزيز التعاون مع الدول المجاورة.

وأشاد بموقف مصر من ترسيم الحدود البحرية المشتركة، موضحا أنه يختلف عن مواقف دول أخرى تسعى إلى وضع العراقيل وإثارة المشكلات مثل تركيا، التي تقوم بإجراء عمليات بحث وتنقيب في المنطقة الاقتصادية الخالصة لقبرص، مطالبا باحترام القانون الدولي، وكذلك مسار المفاوضات بين الجانبين القبرصي والتركي للتوصل إلى حل دائم للمشكلة القبرصية.

وأعرب بافلوبولوس، الذي قام بتدشين البهو التاريخي لكنيسة مار جرجس، التابعة للبطريركية اليونانية، وافتتح متحف دير البطريركية المقدس بالقاهرة، عن رغبة بلاده في الاستفادة من إمكاناتها، موضحا أن اليونان فقدت الكثير من طاقتها الاقتصادية خلال الأزمة المالية، لكنها لم تفقد قوتها الجيوسياسية. وأضاف أن إنهاء المشكلة القبرصية والإعداد المناسب لإيجاد حل عادل لها، يمكن أن يمثل نقطة انطلاق تستفيد منها اليونان، وأن التسوية تسهم في خلق مناخ أفضل للأمن والاستقرار في أوروبا.

أزمة متفاقمة

حول الهجرة غير الشرعية ودور اليونان في حلها، باعتبارها إحدى البوابات الجنوبية، أكد الرئيس اليوناني أنه يجب على الاتحاد الأوروبي إعداد خطة عاجلة لمعالجة الأزمة الإنسانية المتفاقمة للمهاجرين غير الشرعيين في منطقة البحر المتوسط، مضيفا أن خطة الاتحاد يجب أن تقدم الدعم للدول الأعضاء، خاصة اليونان وإيطاليا في منطقة المتوسط، وهما تتحملان وطأة تدفق موجات المهاجرين واللاجئين القادمين من شمال أفريقيا والشرق الأوسط وغيرهما.

وأشار إلى أهمية تحقيق قدر أكبر من التعاون بين دول شمال وجنوب المتوسط، وتطبيق سياسة الهجرة التي أقرها الاتحاد الأوروبي عام 2008 بشكل كامل، من خلال تحقيق التنمية في دول جنوب المتوسط، وتنمية اقتصاد الدول المصدرة للهجرة، بما يساهم في القضاء على الأسباب الاقتصادية التي تدفع إلى الهجرة غير الشرعية، والتي تودي بحياتهم في النهاية، مطالبا المجتمع الدولي بالعمل على الحيلولة دون تكرار ذلك.

وقال الرئيس بافلوبولوس: يتعين على الاتحاد الأوروبي معاجلة هذه المشكلات، ومواجهة قضية الهجرة غير الشرعية بكل حسم، لأن لها جوانب إنسانية وأخرى أمنية، ومن المهم عدم تجاهل البعد الثاني، لأنه متصل بملفات على درجة من الأهمية،

> يجب تقديم الدعم الكامل للحكومة الليبية والبرلمان المنتخب والجيش الوطني ووقف تمويل الإرهاب ودعم القوى المتطرفة في ليبيا

لافتا إلى أن الاتحاد الأوروبي بدأ في منح اللجوء السياسي ومعاجلة موضوع الهجرة، مشيرا إلى أن هذه السياسة تدل على أن للاتحاد دورا في تأمين الحدود المشتركة مع دول الجوار، وهناك مجال كبير وواسع لمحاربة الهجرة غير الشرعية.

ونوه إلى أن هناك دولا ليست عضوة في الاتحاد الأوروبي تلعب دورا متميزا ورائدا في البحر المتوسط، على رأسها مصر، خاصة تحت الظروف السيئة الأخيرة التي كشفتها مأساة جزيرتا لمبادوزا ورودس.

وطالب بافلوبولوس الاتحاد الأوروبي بضرورة أن يصرف الدعم والمعونة للدول التي تواجه هذه المشاكل، والتي تتواجد في البحر المتوسط لكي تستطيع مواجهة المشكلة ذاتها، موضحا أن الاتحاد الأوروبي والمجتمع الدولي عليهما مسؤولية تقديم المساعدات اللازمة لحل مشكلات اللاجئين في الدول المستضيفة لهم أيضا.

عن كيفية مواجهة الخطر الإرهابي، أكد الرئيس اليوناني أن الخطر يتمثل في الأفكار الجهادية وفي تنظيم داعش، مشيرا إلى اهتمام بلاده بمواجهة التحديات الأمنية في المنطقة من خلال مراعاة الأبعاد الاقتصادية في سياسة الجوار الجنوبي، لا سيما في ضوء التحديات التي تواجهها الدول التي ينتشر فيها التنظيم الإرهابي.

وشدد الرئيس اليوناني على تطلع بلاده لتعزيز تعاونها مع مصر ودول المنطقة في مجال مكافحة الإرهاب، للحيلولة دون انتشاره، لافتا إلى أن التحولات التي تشهدها منطقة الشرق الأوسط خطيرة للغاية، وتتطلب تضافر الجهود لمواجهتها.

أزمات إقليمية وآفاق

أكد بافلوبولوس أن مواجهة الإرهاب، يجب أن تكون على مستويين، الأول على مستوى المحافل الدولية، من خلال تطبيق القانون الدولي، الذي يعطي فرص ووسائل كثيرة لإيجاد حلول وتطبيقها، شرط أن يعرف المجتمع الدولي أن تلك البنود التي وردت في القانون يجب تطبيقها، وقد حان وقت البدء في العمل.

أما الثاني، فهو مستوى الاتحاد الأوروبي، حيث يتم خلق سياسة موحدة لمواجهة المشكلات في شرق البحر المتوسط والشرق الأوسط، بطريقة تتناسب مع ظروف وحساسيات المنطقة، وحينها يصبح التعاون الآلية الأساسية لنجاح العملية. وأشار بافلوبولوس أيضا إلى ضرورة تقديم الدعم الكامل للحكومة الليبية والبرلمان المنتخب والجيش، ووقف تمويل الإرهاب ودعم القوى المتطرفة في ليبيا.

وطالب الرئيس اليوناني بإيجاد أفق سياسي للأزمة السورية، بما يحافظ على السلامة الإقليمية للدولة، ويعيد للشعب السوري أمنه واستقراره، محذرا من مغبة ترك الأوضاع دون تسوية، لأن ذلك ستكون له تداعيات سلبية على منطقتي الشرق الأوسط والمتوسط.

وأوضح أن القضية الفلسطينية ستظل محورية في المنطقة، وتسويتها سوف تساهم في تغيير الواقع الإقليمي إلى حد كبير، وشدد على أهمية تقديم ضمانات للجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، تساعد على استئناف المفاوضات، وصولا إلى صيغة حل الدولتين، موضحا أن موقف بلاده ثابت إزاء القضية الفلسطينية، وتؤيد الحل العادل لها، على أساس دولتين تتعايشان جنباً إلى جنب في أمن وأمان، وهو ما يساعد على استقرار المنطقة والعالم، في مثل هذه الفترة المضطربة.

وكشف عن أن اليونان خصصت للشعب الفلسطيني ما يزيد عن 26 مليون يورو في السنوات الخمس الماضية، بالرغم من الأزمة الاقتصادية التي تمر بها.

وبشأن سبل حل المشكلات التي تواجها المنطقة، قال الرئيس اليوناني بروكوبيس بافلوبولوس "نحن نؤمن ونعتقد بأن مواجهة المشكلات في الشرق الأوسط وشرق البحر المتوسط تتوقف على التنمية الاقتصادية، وتحقيق الأمن، ومواصلة مرحلة التحول الديمقراطي، وتوافر المزيد من التفهم داخل الاتحاد الأوروبي لطبيعة التحديات التي تنفرد بمواجهتها منطقة جنوب المتوسط".

> مواجهة المشكلات في الشرق الأوسط وشرق البحر المتوسط تتوقف على التنمية الاقتصادية وتحقيق الأمن، ومواصلة مرحلة التحول الديمقراطي

وبخصوص زيارته لمصر، قال بافلوبولوس "ليس غريبا أن تكون أول زيارة له بعد قبرص إلى مصر، حيث توجد بين الدولتين علاقات تعود إلى 40 قرنا من التاريخ والحضارة المشتركة، وثبت أن البحر المتوسط لم يفرّق بين البلدين، وكانا دائما متجاورين ومتعاونين، والآثار تشهد على ذلك".

وبين الرئيس اليوناني أن هناك العديد من الفرص السانحة لتعزيز العلاقات مع مصر، ومنوها بالدور الرائد الذي تقوم به القاهرة في منطقتي الشرق الأوسط وشرق المتوسط، ومتمسكا بأهمية تفعيل التعاون في الأطر الإقليمية والدولية، للتغلب على المشكلات التي تواجه المنطقة.

وأضاف بافلوبولوس أن هناك فرصا واعدة يوفرها الموقع الجغرافي المتميز لمصر، حيث تمثل بوابة لأفريقيا، ومعبرا نحو دول الخليج العربي، فضلا عن ترحيب القاهرة باستقبال المزيد من الاستثمارات اليونانية.

ولفت إلى أن افتتاح مشروع قناة السويس الجديدة وتنمية منطقة القناة سيكون من شأنه تيسير حركة الملاحة الدولية، وتوفير إمكانيات كبيرة للاستثمار، مؤكدا مشاركته في حفل افتتاح القناة، بعد أن وجه إليه الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي دعوة للحضور.

وأشار إلى أن بلاده تسعى لتعزيز وزيادة استثماراتها في مصر، آخذا في الاعتبار أن اليونان رابع أكبر الدول الأوروبية في السوق الاقتصادي المصري، باستثمارات تبلغ أربعة مليارات يورو، كما أن لديها 180 شركة عاملة في مصر، وبلاده تتطلع أيضا لتعزيز التعاون في مجالات العلوم والتكنولوجيا والتبادل الثقافي.

بافلوبولوس: اليونان فقدت الكثير من طاقتها الاقتصادية لكنها لم تفقد قوتها الجيوسياسية

❑ الرئيس اليوناني بروكوبيس بافلوبولوس والوفد المرافق له يشاركون في مراسم افتتاح كنيسة ومتحف القديس مار جرجس في مصر القديمة حيث تتجسد أفضل صور التعايش السلمي بين المسيحيين والمسلمين. ويعد دير مار جرجس بالنسبة إلى المجتمع اليوناني والقبطي في مصر من أهم المعالم الدينية المسيحية التي تلخص تاريخ حياة الرهبنة والمساهمة الاجتماعية لبطريركية الإسكندرية للروم الأرثوذكس في مصر.

أبو غريب مستقبل السنّة العرب في العراق!

خيرالله خيرالله

صورة كبيرة للمرشد الأعلى الإيراني علي خامنئي في قلب ساحة الفردوس وسط بغداد

❑ من الطبيعي أن ينفي مكتب رئيس الوزراء العراقي الدكتور حيدر العبادي طرحه سجن أبو غريب المهجور مكانا لإيواء النازحين العراقيين من محافظة الأنبار.

بغض النظر عن النفي، يشير مثل هذا الطرح العنصري، الذي يتردّد أنّه كان موضوع اتصال هاتفي بين العبادي ورئيس مجلس النواب سليم الجبوري، إلى ذهنية معيّنة سائدة في العراق الجديد. إنّه العراق الذي أراد جورج بوش الابن ونائبه ديك تشيني تحويله إلى نموذج للديموقراطية في المنطقة.

جاء النفي الصادر عن مكتب رئيس الوزراء ليؤكّد أن العراق مريض وأن شفاءه من المرض الخبيث لن يكون غدا. هناك من يتساءل حتّى هل يمكن أن يشفى يوما، خصوصا بعد منع أهل الأنبار من دخول بغداد واشتراط أن يكون لدى من يريد اللجوء إلى العاصمة "كفيل". فالمشكلة ليست في النفي بمقدار ما أنّها في طرح الموضوع المتعلّق بأهل الأنبار وكيفية إيوائهم في ظلّ الظروف العصيبة التي يمرّون بها.

نزح أهل الأنبار، وهم من السنّة العرب، في اتجاه بغداد لسبب وجيه عائد إلى سيطرة "داعش" على المحافظة وإلى استعدادات تقوم بها السلطات العراقية من أجل استعادة الأنبار.

لعلّ أوّل ما كان يُفترض بالحكومة العراقية عمله تأمين كلّ الأسباب التي توفّر نجاح العملية العسكرية المحتملة بدل التصرّف بما يؤكّد مخاوف أهل الأنبار. في الواقع، إنّها مخاوف كلّ السنّة العرب الذين يعانون الأمرّين منذ الاحتلال الأميركي للعراق وتحوّل البلد إلى شبه مستعمرة إيرانية تديرها ميليشيات مذهبية تنتمي إلى أحزاب معيّنة مرتبطة ارتباطا وثيقا بطهران. تعمل هذه الميليشيات حاليا تحت عنوان "الحشد الشعبي" وهي تقوم مقام الحكومة العراقية، كما بدا واضحا من خلال غزوة تكريت التي قادها اللواء قاسم سليماني قائد "فيلق القدس" في "الحرس الثوري" الإيراني.

ليس سرّا ما تحوّلت إليه الغزوة والمنحى الذي اتّخذته، خصوصا بعدما اتخذت طابعا انتقاميا من منطلق أن تكريت مسقط رأس صدّام حسين. سقط صدّام وأُعدم بالطريقة التي أُعدم بها. هل على كلّ سنّي عربي عراقي دفع ثمن ما ارتكبه صدّام، الذي لم يفرّق في القمع بين سنّي وغير سنّي، بين عربي وكردي؟

ليست مخاوف السنّة العرب في العراق وليدة البارحة. منذ اليوم الأوّل للدخول الأميركي للعراق وهناك نيّة واضحة بالانتقام من السنّة العرب. هذا لا يبني وطنا بكلّ تأكيد. هذا لا يضع الأسس لمؤسسات تابعة لدولة عصرية تكون مختلفة عن تلك التي أسّس لها حزب البعث بكلّ تخلّفه، خصوصا في مرحلة ما بعد تولّي صدّام حسين السلطة وتحوّل النظام إلى عائلي - بعثي.

يتجاوز الموضوع موضوع الأنبار وأهلها الممنوعين من دخول بغداد التي يعتبرها مسؤولون إيرانيون "عاصمة" الإمبراطورية الفارسية التي ما زالوا يحلمون بها.

الموضوع في نهاية المطاف مرتبط بالعاصمة العراقية المطلوب تغيير طبيعتها كلّيا. هناك، بكل وضوح، تركيز على تغيير طبيعة التركيبة الاجتماعية فيها. كانت بغداد في كلّ وقت عنوانا للعيش المشترك بين العراقيين بغض النظر عن المذهب والطائفة والقومية. كانت بغداد تتسع للجميع قبل أن تتعرّض لما تعرّضت له خصوصا بعد العام 2003. جاء الآن وقت حمايتها من السنّة العرب الآتين من الأنبار. هناك خوف من أن يمكث هؤلاء في العاصمة التي كان مفترضا أن تفتح لهم أبوابها، على مصراعيها، في انتظار العودة إلى بيوتهم وأرزاقهم...

من يمنع أهل الأنبار من دخول بغداد يخشى محو آثار التطهير العرقي الذي مورس منذ ما يزيد على عشر سنوات. من نتائج هذا التطهير، الذي شمل شراء أراض وبيوت في مناطق معيّنة، تحوّل بغداد من مدينة نصفها سنّي والنصف الآخر شيعي، إلى مدينة تفوق نسبة الشيعة فيها السبعين في المئة.

مثل هذا النوع من الممارسات لا يبشّر بالخير. لعلّ أخطر ما في الأمر أنّ رئيس الوزراء الحالي يكشف كلّ أوراقه، إذ يظهر أنّه ليس أفضل بكثير من سلفه نوري المالكي الذي ركّز طوال ثماني سنوات على زرع المذهبية في كلّ أرجاء العراق.. وصولا إلى توفير حاضنة لـ"داعش" التي استطاعت السيطرة على مناطق عراقية شاسعة، من بينها مدينة الموصل.

في نهاية المطاف، هل المطلوب التخلّص من "داعش"، أم كلّ ما في الأمر أن المطلوب استخدام "داعش" للتخلّص من السنّة العرب، أو أقلّه تهميشهم؟

يبدو أن الهدف التخلّص من السنّة العرب وليس من "داعش". هناك إصرار على نشر البؤس في الأنبار وعلى منع أهلها من دخول بغداد وعلى منعهم في الوقت ذاته من لعب دور أساسي في التصدّي لـ"داعش".

عاجلا أم آجلا، سيتبيّن أن في العراق أزمة نظام غير قابل للتطوير، على الرغم من أن الدستور يبدو، ظاهرا، دستورا عصريا يضمن، نظريا، المساواة بين جميع المواطنين.

تبيّن في ضوء تجربة السنوات الماضية أن الدستور استخدم لتحقيق مآرب معيّنة في مقدّمها تحويل مؤسسات الدولة العراقية إلى مؤسسات تابعة لإيران. من بين هذه المؤسسات وزارات مرتبطة بالتربية والتعليم. ليس منع أهل الأنبار من دخول بغداد سوى تفصيل صغير يعكس الخوف من أي مسّ بما حقّقته عمليات التطهير العرقي المستمرّة منذ سنوات عدّة وفق خطّة مدروسة.

أدرك الأكراد باكرا أنّهم أمام حالة مستعصية لن يغيّر فيها شيء حلول العبادي مكان المالكي. لذلك، سارعوا، عبر مسعود البارزاني، إلى التلويح باستفتاء على حقّ تقرير المصير. أدى ذلك إلى تحقيق المطلوب، أقلّه مؤقتا، فطوى الأكراد الورقة التي لوّحوا بها.

لدى الأكراد خياراتهم الكثيرة، خصوصا، أنّهم يمتلكون منطقة واضحة الحدود، نسبيا، يسيطرون عليها سيطرة كاملة. ولكن ليس ما يشير إلى أن أمام السنّة العرب مثل هذا الهامش. السنّة العرب الذين اجتاحت مناطقهم "داعش" في وضع لا يحسدون عليه. المستغرب وجود نيّة لدفعهم في اتجاه "داعش" بدل توفير الإمكانات التي تسمح لهم بمحاربتها. من يمنعهم من دخول بغداد، إنّما يسعى إلى تحقيق هذا الهدف. من يتصرّف بالطريقة التي تصرّف بها "الحشد الشعبي" بعد غزوة تكريت يجعلهم يفضّلون "داعش" على ميليشيات الأحزاب المذهبية التي يبدو أن ليس لديها ما تعد به السنّة العرب غير الإيواء في سجن أبو غريب... هل هذا مستقبل العراق الذي وُعدنا به؟

> أول ما كان يفترض بالحكومة العراقية عمله تأمين كل الأسباب التي توفر نجاح العملية العسكرية المحتملة بدل التصرف بما يؤكد مخاوف أهل الأنبار

> المستغرب وجود نية لدفع السنة العرب في اتجاه «داعش» بدل توفير الإمكانات التي تسمح لهم بمحاربتها. من يمنعهم من دخول بغداد، إنما يسعى إلى تحقيق هذا الهدف

* إعلامي لبناني

أرض ميعاد ملتبسة لمليون ونصف المليون قديس أرمني

شادي علاء الدين

❑ لا يظهر الأرمن في استعادتهم لذكرى المجازر التي حلت بهم رغبة في كشف الحقيقة، بل رغبة في الحلول مكان الجلاد. ليس أدل على ذلك أكثر من غرامهم ومن يشايعهم من الأقليات المتكاثرة بالقتلة. يريدون أن تكون المجزرة التي ارتكبت في حقهم هي وحدها "المجزرة"، وأن تتحول تاليا إلى قبر جماعي يدفن كل المجازر التي لم تتوقف للحظة بحق الجميع. يريدون أن يكونوا مديري أعمال المجزرة وهم بذلك يحرموننا من التعاطف معهم، كونهم يطلبون شرطا قاسيا للقبول به هو أن نكون مدافعين عن المجزرة التي ترتكب ضدنا حاليا، وعن ماضيها ومستقبلها كذلك.

أثار قرار وزير التربية اللبناني بتعطيل المدارس في ذكرى المجازر جدلا واسعا وردود أفعال تمثلت برفع الأعلام التركية في مناطق السنّة، واستنكارات عديدة كان أبرزها اعتبار مدير عام الأوقاف الإسلامية هشام خليفة هذه المسألة خلافا تاريخيا متنازعا عليه بين الأتراك والأرمن، ولا مصلحة للبنان في الدخول فيه وتهديد علاقاته بدولة إقليمية مهمة كتركيا.

كالعادة تم وضع مأساة كبرى بحجم المجازر التي حلت بالأرمن في سوق الاستهلاك الداخلي اللبناني وجعلها تاليا بلا سياق ولا اتجاه. باتت أضيق بكثير من أن تكون شأنا عاما، وغير صالحة للتحول إلى قضية إنسانية. باتت المجازر القاسية في الاستعمال اللبناني نوعا من الثرثرة التي تشبه منطق الاشتباك التلفزيوني بين الفريقين المتنازعين في لبنان. لم تعد آيلة للتاريخ ولا للذاكرة، ولم تعد صالحة حتى للأرشيف، بل أصابها ما أصاب الكمّ الهائل من الصور والمشاهد التي أفرزتها المجزرة الوحشية التي يرتكبها بشار الأسد ضد السوريين منذ أكثر من أربع سنوات.

لم يستطع كل هذا الفيض الهائل من الصور والفيديوهات الخارجة من جحيم المجازر البشارية فرض نفسه على العالم بوصفه "المجزرة" وذلك لأن أبناء البلاد وشعوب المنطقة لا يجمعون على تأويل موحّد لها. لذا باتت خاضعة للتشكيك أو لفقدان القدرة على التمركز في معنى واضح ومحدد ونهائي. صار وضوحها علامة على وجود إجرام ما ولكن دون مجرمين، وبات الفاعل المعروف قادرا على نسب هذا الإجرام لضحاياه دون أن يكون مثل هذا الفعل مستحيلا.

ما فعله الأرمن بمجزرتهم يكاد يبلغ حد التواطؤ مع القتلة فهم حرصوا في لبنان أن يكونوا أرمنا أكثر بكثير من حرصهم على أن يكونوا لبنانيين، ولكنهم يطالبون بأن تكون المأساة الأرمنية محل إجماع لبناني عام، وأن يأخذ جميع الأطراف في لبنان بالمعنى الذي ينسبونه لهذه المجازر دون نقاش.

لم يفرض أحد على الأرمن في لبنان تحويل مناطق عيشهم إلى محميات طبيعية ولكنهم فرضوا على أنفسهم ذلك، وهم يحظون بامتيازات حقوقية وسياسية غير متيسرة لغيرهم من الأقليات، ويشاركون في الحكم تحت لواء القوى المتصارعة في البلاد حيث يوزعون ولاءاتهم بينها. تاليا يمكن القول إن هناك أرمن السنة وأرمن الشيعة قياسا على طبيعة الصراع المندلع حاليا. ولكن المشكلة أن الأرمن يريدون أن يكون السنة والشيعة، والمسيحيون هم أرمن الأرمن في مواقفهم ضد الأتراك وذلك على الرغم من انحيازهم العام للطرف القاتل في المنطقة.

كان من اللافت مؤخرا أن الكنيسة الأرمنية أصدرت قرارا يقضي بإعلان قداسة كل ضحايا المجازر التي ارتكبت منذ قرن والبالغ عددهم المليون ونصف المليون، وهو ما يعد أكبر عملية إعلان قداسة في تاريخ الكنيسة المسيحية.

هكذا سيصبح الشعب الأرمني كله شعبا من القديسين، وتاليا سيصبح المكان الذي يقيمون فيه عبارة عن مكان مقدس يحوّل كل ما حوله إلى سديم. ميرسيا إلياد يعرض لطبيعة المكان المقدس، حيث يرى أن الإنسان المتدين يعيش تجربة انعدام التجانس المجالي ما يترجم بـ"تجربة تعارض بين المكان المقدس الذي هو وحده الحقيقي، في حين أن كل الباقي يشكل محيطا بلا شكل محدد."

إن شعبا كاملا من أبناء القديسين الشهداء بصدد التشكل بعد قرار الكنيسة الأرمنية ما يعني ببساطة أن هناك مشكلة كبيرة في الجغرافيا بصدد الانفجار والكشف عن معاني جديدة للصراعات المندلعة في المنطقة. سنكون أمام حشد من حاملي القداسة الباحثين عن أرض الميعاد، والساعين إلى استردادها أو استعادتها، أو خلقها.

يبدو الأرمن اللبنانيون جزءا من سياق وراثة القداسة هذا، حيث تبدو المجزرة التي يستعملونها نوعا من أضحية رخيصة للقداسة الناجمة عنها، وهي قداسة تسمح بتحويل كل أرمني إلى وليّ دم لمليون ونصف المليون ضحية.

هكذا لا يعود فهم القضية ممكنا عبر مفردات الانتقام والغفران والمساءلة ودفع التعويضات، فهذه كلها مفاهيم تعتمد على فكرة الحدود التي لا يعترف بها المقدس. تاليا تصبح كل المجازر التي لا تزالت تتناسل في المنطقة والتي يتحالف جلّ الأرمن مع منفذيها نوعا من سياق يدخل تحت توصيف العادي والطبيعي.

من يسقطون في هذه المجازر هم عاديون ولا يمكن لموتهم منافسة شهادة القديسين ولا المثول أمامها ولو على هيئة ألم غير محدد المعنى. شهادة القديسين تحوّل الموتى إلى أرقام بائسة لا محل لها في الذاكرة ولا في التأويل، وطبعا لا مجال لإدانة منفذيها.

يفتح الجميع حروب القداسة ضد الضحايا. يفتح الأرمن حرب القداسة ضد المجازر التي حلت بهم وضد الضحايا الذين لازالوا يسقطون حتى هذه اللحظة، ويفتح من يرفضون الاعتراف بمجازر الأرمن الحرب نفسها ضد الضحايا الذين لازالوا يتكاثرون.

القديسون خفيفون ولديهم أجنحة يعبرون بها من موتهم إلى السماوات حيث السكينة والأمل، أما الضحايا العاديون الذين نعرفهم والذين هم الأهل، والأبناء، والأصدقاء والجيران، فهم يذهبون إلى الموت مكبّلين بأثقال رصاصية تشدهم إلى أعماق البحار أو إلى الطبقات السفلى من التراب.

> أرمن لبنان الذين حرصوا على أن يكونوا أرمنا أكثر من حرصهم على أن يكونوا لبنانيين يطالبون بأن تكون المأساة الأرمنية محل إجماع لبناني عام

* كاتب لبناني

لا تنتهي مرثيتي في سنّة العراق

أسعد البصري

طائفية حكومة بغداد تدفع الموصليات إلى تفضيل داعش على الحشد الشعبي!

❑ كيف يمكن لفتاة طالبة ماجستير أن تقول لك "أرجوك نحن مرتاحون بالموصل، لا نريد شيئا سوى ابتعاد الطائرات والحشد الشعبي عن مدينتنا؟"، أنا أذكر مثلا أن الفتيات الشيعيات المتعلمات رفضن التمرد الشيعي عام 1991 لأنه كان دينيا، فهن يفضلن الثورات التي تكفل لهن الحقوق المدنية والحرية الشخصية. كيف يمكن أن نتجاهل حقائق صادمة من هذا النوع؟ ما هو نوع الممارسات الطائفية بالموصل خلال السنوات العشر الماضية حتى أصبحت فتيات موصليات على درجة عالية من الثقافة، يفضلن الدواعش على العودة إلى حكومة بغداد الطائفية؟

ألا تحب الفتاة الموصلية الحرية؟ ألا ترغب بإكمال دراستها في لندن؟ ألا يعجبها الذهاب مع خطيبها إلى مقهى مفتوح كمقاهي الخليج مثلا؟ كيف رضيت بحكم داعشي متطرف من القرون الوسطى؟ أليس ذلك لأن هناك شيئا ما قد حدث خلال تلك السنوات الماضية؟ أليس لأن الإذلال قد وصل حدودا لا تُطاق؟ فما جدوى كلام صحفية فرنسية رشيقة عن مكافحة الإرهاب بالموصل بعد هذا؟ هل نبيد المدينة عن بكرة أبيها، لمجرد أننا لا نمتلك شجاعة الكشف عن الحقيقة؟ لا مفر من الدعوة إلى تغيير الحكم الطائفي ببغداد. أليس التحرير الأسهل للموصل هو بتحرير بغداد من الطائفيين والصفويين؟ أليس هذا أكثر منطقية من هدم واحدة من أعظم مدن الشرق العربية وتشريد أهلها؟

يقول الأستاذ وليد الراوي كان الجيش يهين السكان بكل الطرق، يعتدون بالضرب، يعتقلون على الشبهة، يشتمون مقدسات أهل الموصل، يتحرشون بالنساء، يسرقون، يقتلون، يسلطون المتخلفين من بعض شرق الموصل على سكانها، يرتشون، ويرتكبون كل الموبقات. جيش طائفي بمعنى الكلمة، لذلك هبّ أهل الموصل ضدهم حتى الذي ليس له علاقة صار ضدهم، نتيجة تصرفات غير طبيعية من الجيش. حقد وكره وخبث على السكان، واسألوا وزير الدفاع شخصيا؟ فهو على علم بذلك. وشاب من الموصل يقول "كانوا يتعمدون إهانة والد الفتاة أمامها، لأنهم يريدون اعتقاله والفتاة معه لغرض التحرش".

الانسحاق يؤدي إلى تطرف

مشكلة الشباب السنة اليوم هي أنهم قد تحولوا إلى غضب مطلق ودموع، فالبلد يحترق، والظلم في تصاعد. لا نستطيع حتى أن نطالبهم بهامش صغير من التسامح. كيف نجحوا في دفعنا إلى هذه الهاوية المميتة؟ نحن تركنا العراق حين كان عراقا حقيقيا، لا نعرف تماما ما الذي حدث حقا بعد ذلك، وحتى لو عرفنا لا نستطيع تقمص ذلك الشعور تماما بالظلم. أعتقد أن تصاعد القمع الديني والجسدي والرمزي هو سبب انعدام وجود عدد كاف من الكتّاب السنة، لأن الانسحاق إلى هذه الدرجة يؤدي إلى تطرف شامل، لا يسمح بتطور فكر معتدل يكون مقبولا للصحف والإعلام العربي.

نحن حتى لا نتساءل من هؤلاء الفتيان الذين يحاربون؟ نقول هناك 500 قتيل داعشي و20 قتيلا، من هؤلاء القتلى الدواعش؟ ما هي أسماؤهم؟ وما هي ملامحهم؟ لا بد عندهم أمهات وأخوات. هؤلاء الطالعون كالأناشيد الجنائزية على الدنيا، المتدفقون من الفك المكسور للوطن والتاريخ والرحمة. نتحدث عن التوحش، ولا نعرف كيف يتوحش البشر؟ ألا يحب هؤلاء الفتيان خطيبات جميلات، وسفرا حول العالم؟ نعم كانوا يحبون الحياة، إلا أن الحياة لم تبادلهم الحب. لقد تم نبذهم هكذا تحت تأثير الظلم النهائي، فوهبوا حياتهم للأناشيد المتصاعدة.

> المثقف العربي بالمقابل أخذنا في كتابة جيمس بوندية مخابراتية تنجيمية تدويخية، وقراءة فنجان سياسي عن التطرف، وزاد الأمر عزلة ولا جدوى

المطلوب الآن ليس ذبحهم فقط، بل حرق بيوتهم، واغتصاب أخواتهم، وتشريد آبائهم، وهدم مدنهم، حتى تصبح جميع المدن "إلا طحين". أحاول أن أساعد غير أن هذا الظلم أكبر من الحياة والعالم. إنه ضمير منكَس في عالم مقلوب، ومنطق مشابه للشيخ حميد الهايس الذي يحمل العجائز النازحة من الأنبار مسؤولية الحرب. ليس هناك محبة في هذا العالم كله تكفي لإنقاذ الفتيان الذين ضاعوا بالتطرف.

العالم كله يشحذ سكاكينه لذبح الموصل الجميلة الرشيقة، ولا يسمون ذبح المدينة القديمة سوى حرب على داعش. ولا يمكننا حتى تبريد قلوب الفتيان بكلمة عقلانية، إنهم مصرون على الانتقام لقتلاهم وكرامتهم، لا يفهمون بأن الحياة نادرة، والشباب أغنى من الملوك. غليان أسطوري للدمع والغضب في كل مكان.

هؤلاء الفتيان ينفجرون حتى عليّ أنا المدافع عن دمعة المدينة وأطفالها، وحين أقسو عليهم يبكون، ويقولون إنهم يعانون القهر الطائفي، ولا يحلمون بغير الانتقام، لا يتحملون كلاما عن العدل والاعتدال. لقد نجح الأعداء في دفعنا إلى هذا المذبح الصفوي النائي.

الخطاب ينحدر شيئا فشيئا نحو الرثاء. فما علاقة الشباب بالجدل الفقهي التاريخي، وما ذنبهم ليتحملوا وزر صراعات عقائدية ثقيلة، لا يطيقها سوى الكبار أمثال ابن حنبل وأبي حنيفة. هؤلاء أولادنا الصغار، أبناء الحياة، وفتحة عيوننا على المستقبل، جدير بهم أن يتعلموا القصائد الغزلية لمراسلة حبيباتهم. وليس هكذا ينغمرون بتفسير النصوص الصعبة والتاريخ. ما جدوى هذا الهدر العراقي للحب، والمدن، والشباب، والطاقات. إنها سياسة إيران التوسعية القبيحة بفقهاء الأقبية المليئين بالمكر، تمكنت في النهاية من أفئدة أولادنا، ودقات قلوب بناتنا.

نحن كمسلمين عندنا "سفرٌ" قاس، لا معنى له في الظروف العادية. أئمتنا الكبار "فقهاء الحياة" هم المعتدلون العباقرة كأبي حنيفة والشافعي ومالك وابن حنبل، إلا أننا حين يتم هتك أعراضنا وسلب أموالنا وقتلنا بالطرقات على الهوية، وحين يكون الدين في خطر والمساجد تنهدم على المصلين. نذهب عندها بصمت إلى ذلك المكان المظلم من المكتبة، ونمسح الدم عن عيوننا لنفتح القوس القاسي كتاب شيخ الاسلام ابن تيمية، الذي لا يضيء إلا في الظروف الصعبة "فقيه موت" وهو القائل "أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة". فقيه مخصص للمسلمين الذين تحاصر مدنهم وتُغتَصب حقوقهم، وفي حالات البكاء دما.

وهذا يفسر لنا لقاء بعض العرب مع العراقيين في الموصل، فهو لقاء "قارئ لكتاب بمكابدٍ لعذاب" فالمسلم الذي قرأ

> ما هو نوع الممارسات الطائفية بالموصل خلال السنوات العشر الماضية حتى أصبحت فتيات موصليات على درجة عالية من الثقافة، يفضلن الدواعش على العودة إلى حكومة بغداد الطائفية

ابن تيمية، وجد في عذاب سنّة العراق مصداقا لما قرأ. والعراقي الذي تعذب وأُذِلّ واغتصب عرضه، وجد في شيخ الإسلام أبا وحيدا لخلاصه. هذا هو التفسير المنطقي الوحيد لما يجري. إلا أننا نطمح بعودة السلام و"فقيه الحياة" العراقي أبو حنيفة مرة أخرى، وعودة السفر القاسي إلى الركن النائي من المكتبة الإسلامية.

تفوق الخطاب

الإعلام هو الآخر يبدو مخصصا لتأجيج التطرف وليس إلى معالجته. الـ"سي أن أن" تلتقي بصبيات شقراوات مترفات يتحدثن عن الإرهاب في العراق وسبل القضاء عليه، هكذا يحركن ألسنتهن بسرعة لضيق الوقت الإعلامي، وهي عجلة مفتعلة تسبب انعدام الدقة والحقيقة. كذلك الإعلام العربي معظم مقالاته تبدو وكأنها مقالات أجنبية مترجمة، فهي لا تكتفي بحصر الكلام بتصريحات المسؤولين الأجانب، بل تفتقر إلى الوجدان والمصداقية. فلو عثرت دابة في الموصل، نذهب إلى واشنطن لنكتب وجهة نظر خبير أميركي "بالدواب العاثرة" وهذا ما يؤدي باستمرار إلى تفوق الخطاب الإيراني علينا في هذه النقطة بالذات.

لا أحد يبدو منتبها إلى صمت المفكرين الكبار في جميع أنحاء العالم العربي، وكأنهم انتحروا جماعيا ولم يعد لهم وجود. هذا ربما لأنهم يرون بأن معظم الإعلام أصبح خارج اختصاصهم. كاتب عراقي عجوز يعيش في أوروبا، لا يستطيع كتابة كلمة عن الطائفية في العراق خوفا من اتهامه بها، لهذا يلجأ إلى نشر مقالات أجنبية باللغة الإنكليزية، وكأنه يقول إن الأجانب يقولون هذه الأشياء ولست أنا.

حتى أن النقد الذي وجه للاحتلال الأميركي للعراق كتبه أميركان وأوروبيون، وبتأثير منهم بدأ بعض العرب يكتبون. الفتيان المحتجزون اليوم بالقهر، والمضيعون بالطائفية العراقية شعروا بأن العالم كله مزيف، وأن التطرف يبدو أكثر مصداقية في التعبير عن آلامهم وطموحاتهم. ونحن دائما نوجه خطابنا من العراق إلى العرب لأننا نطمع بنظرة عطف ومساعدة، فلا جدوى من الحوار العراقي الداخلي، لأن العراقيين أصبحوا اليوم مجرد مسافرين في حافلة قديمة، لا فائدة من وجهة نظرهم بالرحلة والطرقات لأن السائق في النهاية إيراني.

الدول العربية هي الحافلات التي ما زالت بقيادات عربية. لا نستطيع الكف عن توقع الأمل والتوسل بأشقائنا، فلا يوجد بديل آخر. إيران تنجح في تصدير ثورتها أحيانا لأننا لا ننتبه في معظم الأحيان إلى العزلة التي يعاني منها خطابنا إلى الناس.

لقد دعا الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم إلى دراسة التطرف فكريا وتشخيص أسبابه، كما صرّح أكثر من مسؤول سعودي بأن معظم المتطرفين هم فتيان متحمسون وضحايا عواطفهم، هذا شيء كان يمكن للمثقف استثماره والتأسيس عليه بالاتجاه المفيد. لقد استمعت بنفسي إلى مكالمة هاتفية أجراها وليّ وليّ العهد السعودي مع متطرف باليمن وحدثه كولد ضائع من أولاده، وبرنامج المناصحة السعودي من أرقى المشاريع الإنسانية في إعادة تأهيل المتطرفين.

المثقف العربي بالمقابل أخذنا في كتابة جيمس بوندية مخابراتية تنجيمية تدويخية، وقراءة فنجان سياسي عن التطرف، وزاد الأمر عزلة ولا جدوى، بدلا من الكشف عن تأثير العزل، والقمع الرمزي الطائفي على مزاج الشباب مما يزيد من تصاعد جاذبية التطرف الديني.

ثم لماذا أشعر بوجود خطأ إنساني كبير في كل ما يجري؟ لماذا لا يوجد آخرون يشاركونني هذه القناعة؟ هذا الأمر وحده يجعلني أشعر بالخوف. ثم كيف نتهم شيوخ التطرف بتضليل الشباب، وتسميم عقولهم، ونحن كمثقفين من جهة أخرى، نقوم بالشيء ذاته تماما.

السؤال هو لماذا أنا لست متطرفا؟ ربما لأن عندي بنات، وجوازا أجنبيا، وعملا، وأصحابا. ربما لأن هناك مقهى على بعد خمس دقائق أشرب فيه الشاي، وأكتب بحرية. فلو اغتصبت ابنتي، وطردتني من عملي، وسجنت أصحابي، وأحرقت المقهى الذي أكتب فيه، ومنعتني من السفر إلى أيّ مكان، ربما أصبح متطرفا عندها، ويصبح اسمي أبو قتادة.

الخميس الماضي خرجت الأمم المتحدة للاطلاع على أحوال نازحي الرمادي، كانت محطتهم الأولى مخيم النازحين في حي الجامعة بجانب جامع برهان الدين. قدم الشيخ محسن -مسؤول المخيم- إيجازا للمنظمة الإنسانية متحدثا عن تبرعات ومساهمات الأهالي، فاقترب منه شخص يرتدي بدلة بلون رمادي وقميص أبيض دون ربطة عنق مع لحية خفيفة زاجرا الشيخ محسن لعدم إشارته لمساعدة بعثها السيد عمار الحكيم، فاستجاب الشيخ محسن لهذا الشخص، وبعد انتهائه استدار نحو الشخص المنوه عنه وسأله "هل أرضاكم كلامي؟".

المحطة الثانية في الزيارة الإنسانية كانت مع قائم مقام أبو غريب الذي انطلق بهم إلى موقعين للنازحين أحدهما ميدان رماية أولمبي يقع في حي الرسالة، وأثناء تقديم القائم مقام الشرح للزوار أشار إلى أن المخيم نتاج جهد جماعي من الأهالي، فصرخ بوجهه أحد الحضور من نفس مواصفات الشخص الأول "يعني قصدك الحكومة كل شي ما قدمت". قالها بصوت عال أمام جميع الضيوف فتلعثم القائم مقام وتبعثرت كلماته فأنقذت السيدة ليز -مسؤولة تنسيق العمليات الإنسانية- الموقف وأخذت زمام الكلام لإنهاء الحرج. هذا هو حالنا حتى ونحن نازحون متسولون، فما عساه يكون حالنا لو كنا أسرى محاربين؟

> أليس التحرير الأسهل للموصل هو بتحرير بغداد من الطائفيين والصفويين؟ أليس هذا أكثر منطقية من هدم واحدة من أعظم مدن الشرق العربية وتشريد أهلها

هذا الصباح رسالة من بغداد "أستاذ بداخلنا نار أحرقت قلوبنا، العام الماضي في مثل هكذا أيام احتفلنا بعيد ميلاد رفيقي 'عبدالله' طالب هندسة كهرباء مرحلة ثانية، لنتلقى خبر اختطافه وقتله (خنقا) رابع أيام عيد الإضحى". ورسالة أخرى من بغداد "اليوم في صلاة الجمعة، تطرق الخطيب إلى قصة عام الرمادة وبالذات إلى قول سيدنا عمر 'اللهم لا تجعل هلاك أمة محمد على يد عمر'. فأجهش الشباب بالبكاء قبل كبار السن. وقفزت إلى ذاكرتي صورة المنشور الذي كتبته أنت قبل عدة أيام عن سر هذه الدموع .

لا تنتهي أغنيتي في رثائك يا شعبي.

* كاتب عراقي

جيل سعودي جديد يتقدم متسلحا بالثقافات والخبرات

أحمد العسيري ناطق إعلامي عسكري ومؤرخ درس في السوربون

عبدالله مكسور

❑ الحادي والعشرون من أبريل الجاري إعلانُ مرحلة جديدة في مسيرة التحالف العربي الذي يدير الأزمة اليمنيّة، فبعدَ أن أتت عاصفة الحزم أُكلَها تمَّ الإعلانُ عن طيٍّ صفحتها وبدء عاصفة الأمل وبعدَ أن أزالت القوَّاتُ العسكريَّةُ العربيَّةُ كل الأخطار التي تشكل تهديداً لأمن دول مجلس التعاون أتت عاصفةُ الأمل لمنعَ ميليشيا الحوثي من التحرُّك داخل البلاد وضماناً لاستمرار فرض الحظر الجوي في الفضاء اليمني، ولكنَّ نهايةَ عاصفة الحزم التي أعلنها العميدُ أحمد العسيري لمَ تكن إلا نهايةَ مشهد وبدايةَ مشهد جديد في مسرح عمليّات عاصفة الأمل، وهنا سنحاول قراءة المقطع العرضيّ للأحداث من لحظتِها الأولى.

الحزم والعزيمة

لم تكن الساعةُ الثانيةُ فجراً من يوم الخميس الموافق للسادس والعشرين من شهر مارس لهذا العام في المملكة العربية السعودية، ساعةً عاديَّةً، ففي تلك اللحظة الفاصلة كان التحرُّك الفوري في إعلان انطلاق عاصفة الحزم التي بدأت تُحقّق أهدافها المرجوَّة في أيامها الأولى، عاصفةُ الحزم التي حملَت معاني مقولةَ مؤسس المملكة الراحل عبدالعزيز آل سعود بأنَّ "الحزم أبو العزم، أبو الظفرات، والترك أبو الفرك، أبو الحسرات"، والتي أتت استجابةً لطلب الرئيس اليمني عبدربُّه منصورَ هادي في الرابع والعشرين من ذات الشهر من قادة مجلس التعاون الخليجي التدخل الفوري في بلاده فكانت المرحلة البدء بقصف جويٍّ مكثف لمسلّحي الحوثي والقوَّاتُ العسكريَّةُ التابعةُ للمخلوع علي عبدالله صالح، تلك الضربات المركّزةُ التي استطاعت فرضَ سيطرة التحالف العربي على الأجواء اليمنيَّةِ وتدمير الدفاعات الجويَّة فيه وردعَ المنقلبينَ على شرعية هادي فضلاً عن إيقاف التغلغل الإيرانيّ المفضوح و المكشوف علناً في الملف اليمني من خلال دعم عبدالملك الحوثي للانقلاب والسيطرة على العاصمة صنعاء، تطوُّرُ الملف العسكريّ رافقَهُ إصرارٌ عسكري من قوات التحالف العربي على إعادة فرض المبادرَة الخليجيَّة وترتيب البيت اليمني من جديد بما يضمن الاستقرار لجار الخليج العربي، وهذا ما كفلَهُ قرار العاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز بحماية حدود بلاده وذلك ما ترجَمَهُ على أرض الواقع وزير الدفاع السعودي الأمير محمد بن سلمان عبر خطة عسكريَّةٍ محكمَة.

مشهد بانورامي

الطلعاتُ الجويَّةُ العسكريةُ رافقَها أداءٌ سياسيٌّ عالي المستوى للدبلوماسيَّة السعودية التي قادت الجهود لتأسيس التحالف العربي لردع الحوثيين وإعادة الشرعيَّة الدستوريَّة لليمن، وكما كل الحروب الحديثة أدركَ قادةُ التحالف أهميَّة الإعلام كسلاح فعَّال في المعركة فرأينا- كمراقبين- عملاً حثيثاً لا يقل أهميَّةً عن العمل العسكري في الترويج الشعبي لضرورة استمرار عاصفة الحزم، الاستراتيجيَّةُ الإعلاميَّةُ السعوديَّةُ تقدَّمت إلى العالم أجمَع من خلال ظهور العميد أحمد العسيري الذي برز اسمهُ بشكلٍ واسعٍ مع انطلاق الغارات الأولى ليحتلَّ الشاشات راسما المشهدَ من جديدٍ في خط موازٍ للمسار العسكري لا يقلّ عنه أهميَّة، ومع بروز اسم العسيري كمتحدِّث يوميٍّ في الإيجاز الصحفي من غرفة قيادة العمليات العسكرية لقوَّات التحالف، برزَ الحديثُ عن جيل سعوديٍّ جديد أهمُّ ميزاته الديناميكيَّة والقدرة الفائقة على مجاراة التطوُّرات السريعة فضلاً عن اصرار واضح في تحمُّل المسؤوليات الكبيرة والمصيريَّة في آن معاً، ففشل العسيري فيما لو وقعَ في ظهوره الأوَّل كان يعني فشلاً ذريعاً للحملة العالميّة التي قادتها السعودية عالمياً وعربيّاً ممَّا كان من شأنه ربَّما الإطاحةُ بكلِّ المنجز العسكري، ولكن هذا الطرح غير واقعي فالعميد أحمد العسيري استطاع ومنذ لحظة ظهوره الأوَّل أن يكون محطَّ أنظار الجميع، وعندما نقول الجميع فإنَّنا نعني أعداءَ المملكة قبلَ حلفائها ولا بدَّ أن نتذكر خطاب أمين عام حزب الله حسن نصرالله الأخير الذي تطرَّقَ فيه للحديث عن العميد العسيري محاولاً إخراجَ المثالب من إيجازه العسكري فظهرَ ارتباك الأمين العام لحزبَ الله دون خفاءٍ لمن يستطيعُ قراءة لغة الجسد.

نحنُ أمام شابٍّ استطاع بجهوده الجبَّارة وبإصرار المملكة العربيّة

> عاصفة الحزم أريد لها أن تحمل معاني مبدأ مؤسس السعودية الراحل الملك عبدالعزيز آل سعود الذي قال إن «الحزم أبو العزم، أبو الظفرات، والترك أبو الفرك، أبو الحسرات»، فجاءت الحملة استجابة لطلب الرئيس اليمني عبدربه منصور هادي

السعودية على إظهار هذا الجيل أن يأخذَ مكانَهُ الذي يستحقه في قيادة الخطاب الإعلامي العسكري السعوديَ بعد أن مرَّ بمراحلَ عديدةً كانت كفيلة بصقل تجربَته الطويلة ليكون كما هو اليوم، فالعميد أحمد بن حسن محمد العسيري وُلدَ في السعودية في محافظة محايل عسير تلك التي تبعدُ عن ساحل البحر الأحمر ما يقارب السبعين كيلومترا إلى الشمال الغربي منَ مدينة أبها السياحيَّة، تلك الجغرافية المتنوِّعة في مسقط رأسه التي تطل على سلسلة جبالَ عسيرَ وتقتربُ من ساحل البحر وتمتدُّ عمقاً في صحراء العرب الذهبيَّة أعطت لشخصيته تلك المرونة والقدرة على التعامُل مع أقسى الظروف وأكثرُها سهولة، فجغرافية الفكر عند العسيري واضحةُ التنوُّع من خلال قدراته اللغويَّة المتعدِّدة فهو يتحدَّثُ الإنكليزية والفرنسية بطلاقة شديدة إلى جانب لغته العربية السليمة، بينما منحَهُ الموروثُ الشعبيُّ لتلك الجغرافية قدرةً على المناورة مع البقاء متوشحاً سلاحَهُ ضمن الصف المرصوص الواحد.

الضابط المثقف

من تلكَ الخلفيَّة الثقافيَّة و الاجتماعية انطلقَ الجندي أحمد العسيري في ميدان الحياة، فكانت المعركةُ العسكريَّةُ الأولى التي خاضها العسكري منذُ خمسة وعشرين عاماً وتحديداً خلال حرب تحرير الكويت حيث كان مترجماً في قيادة القوَّات المشتركة للتحالف العالمي، ذلك التحالف الذي شاركت فيه ثلاث وأربعون دولة كان العسيري فيه ضابطاً برتبة صغيرة يعكف على ترجمة مُتقنة بين العربية والفرنسية، تلك الحربُ كانت الأولى ولكنَّ البداية العسكرية كانت حينَ تخرَّجَ الطالبُ أحمد العسيري متفوِّقاً على كل أقرانه في كليَّة سان سير الفرنسية عام 1989م وهي إحدى أشهر وأهم كليَّات العلوم العسكرية في العالم، ليتبعها بدرجة الماجستير في العلوم العسكرية من كليَّة القيادة والأركان للقوَّات المسلَّحة السعوديَّة ودرجة في الماجستير أيضاً في دراسات الدفاع الوطني و أخرى في العلوم الإستراتيجية من فرنسا، وقبل كل هذا حصلَ على درجة البكالوريوس في التاريخ من جامعة السوربون العريقة وأنهى دراسة جامعيَّةً أيضاً في العلاقات الدولية، فضلاً عن العشرات من الدورات العسكرية التي أتمَّها بتفوُّقٍ ملحوظ، تلك المسيرة الأكاديميَّة، نراها اليوم مترجَمَةً في الدِّقة بالطرح والوضوح في الفكرة، فالمعرفةُ عند العسيري عمليَّةٌ تراكمية تعتمد البساطة والعمق في الطرح والقدرة على إدارة المواقف كما رأيناهُ في إيجازه الصحفي الذي وصلَ إلى منبَره بعد رحلة طويلة في العمل الميداني على أرض السعودية بمراكز قيادية بوزارة الدفاع السعوديَّة أهمُّها دورُهُ في إنشاء كليَّة الحرب قبلَ أن يضطلعَ بإدارة الاستشارات العسكريَّة بمكتب وزير الدفاع السعودي الأمير محمد بن سلمان الذي تداول المغرِّدون السعوديون صورةً للعسيري برفقته في قلب مروحيَّة عسكريَّة خلال جولة استطلاعيَّة قبيل انطلاق عاصفة الحزم، حيثُ تابعَ العسيري منذ سنوات الملف اليمني ضمنَ وزارة الدفاع السعودية لذلك ربَّما لم يكن مفاجئاً الدفعُ بالعميد النشط تحت الأضواء خلال الأزمة الأخيرة التي أدارت ملفَّها الدبلوماسيَّةُ السعودية على ذات النسق مع الآليَّة العسكرية لتحقق النجاحات العديدة التي تتداولُها وسائل الإعلام عبر بياناتٍ يُطلقُها العميد العسيري.

الحرب الإعلامية

العميد أحمد العسيري استعادَ به السعوديّون ومعهُم من تابعوا عاصفة الصحراء عام 1991 صورة العميد السعودي أحمد الربيعان الذي أدارَ البيانات العسكرية التي صدرَت عن مسرح العمليّات في التحالف الدولي، العسيري غير المعروف شعبيّاً قبل عاصفة الحزم كانَ حاضراً بقوَّة في الملف اليمني منذ عام 2009 حيث تولَّى مهمَّةَ إطلاع الصحفيين على مستجدّات الحالة العسكرية خلال وجوده في السرب السادس من القوَّات الجويَّة الملكيَّة التي يُطلَقُ على منتسبيها نمورُ القوَّات الجويَّة، هذا الاطّلاع التام على تطوُّرات الملف اليمني وتفاصيله جعلت العسيري عليماً هادئاً رصيناً في لَغته ومُفرَداته قادراً على الردِّ بلغات عدَّة على كل التفاصيل العسكريَّة والسِّياسيَّة الخاصَّة بذاك المسار وليسَ غريباً أن نقرأ عن أنواط عسكريّة عدَّة محليَّة وعربيَّة وعالميَّة حازَها، ربّما يختلفُ العسيري عن سابقيه من المتحدِّثين العسكريين بحيازته صورةَ القائد العسكريّ المتسلح بالعلم والمعرفة والانفتاح على الجميع والقدرة على الاستماع لكل الأسئلة والردِّ عليها بتعامل دقيق مع سير الحرب التي قادَها التحالفُ العربي ليكونَ العسيري صانعَ الخطوط الرئيسة في عناوين الأخبار العربية والعالمية.

فلسفةُ الحرب الإعلاميَّة لا تقلُّ أهميَّةً عن الحرب العسكريَّة التي تدورُ رحاها بين فريقين يسعى كل منهما للانتصار على الآخر، تلك الحربُ تنتهي باتفاق أو استسلام جهة للأخرى بينما الحربُ الإعلامية العسكرية تعتمدُ في أسلحتها على الصدق والدِّقة والوضوح والقدرة على الوصول إلى لبِّ المتابع لكل التفاصيل وذلك الجمهور الذي يكتفي بقراءة العناوين الرئيسة، فإن كان التحالف العربي انتصر في الحرب العسكريّة على الحوثي ونظام المخلوع علي عبدالله صالح فإنَّ العميد أحمد العسيري استطاع النفاذ إلى كل البيوت العربية ليكون نجماً في المجالس التي اعترَفَت بقدرته الفذَّة على القيام بالمهمَّة المُوكَلة إليه.

> العسيري غير المعروف شعبيا قبل عاصفة الحزم كان حاضرا بقوة في الملف اليمني منذ عام 2009 حيث تولى مهمة إطلاع الصحفيين على مستجدات الحالة العسكرية خلال وجوده في السرب السادس من القوات الجوية الملكية التي يطلق على منتسبيها نمور القوات الجوية

> حضور العميد عسيري يبرز الحديث عن جيل سعودي جديد أهم ميزاته الديناميكية والقدرة الفائقة على مجاراة التطورات السريعة فضلا عن إصرار واضح في تحمل المسؤوليات الكبيرة والمصيرية في آن معا

مؤسسُ لآخر ممالك الزيدية العربية في جنوب الجزيرة العربية

الملك المتوكل اليماني الذي لو عاصر الحوثيين لحاربهم

جابر بكر

❑ "اليمن السعيد"، تهمة سقطت على تلك البلاد من سماء حالمة. الملكة بلقيس، ومملكة سبأ، وسد مأرب، والبن اليماني، والبحر من كل جانب، جبال ووديان وإبداع طبيعي خلاب، كل ما سبق ليس إلا كلاماً يصح لكتابة موضوع تعبير سياحي عن تلك البلاد. بلاد ما مرت عليها سنة كاملة دون حرب أو تمرد أو ثورة. أرض قتل أهلها من أهلها الآلاف. كغيرها من بلاد العرب، حكمتها الدكتاتوريات العسكرية ومن قبلها الملكية، وقبلها الإمامية الزيدية.

الزيدية سنة شيعة معتزلة

عاصفة الحزم، جعلت من الزيدية حديث الناس. وللدقة فإن الحوثيين هم من أصبحوا حديث الناس، ولكن الخلط أصاب تلك الجماعة من المسلمين، أي الزيدية، كما أصاب غيرهم من قبل، رغم أنهم جماعة ذات ميول سياسية ودينية واضحة. اغتصبتها عصبة تابعة لمشروع إقليمي، الحوثيون، وألبستها لبوساً دينيا مخالفاً مغايراً. قالوا عنهم شيعة، وهم بالفعل انشقوا عنهم. قالوا عنهم أقرباء السنة، وهم في تدينهم متشاركون. قالوا عنهم معتزلة، وإمامهم المؤسس في اليمن تتلمذ على يد شيخ معتزلي.

> السعوديون كانوا ضد الانقلاب على المملكة المتوكلية الذي أدى إلى اغتيال الملك، وهنا تتضح العلاقة السياسة بين السعودية واليمن والتي لا تبنى على مسألة المذهبية وبأنها حرب ضد الشيعة أو الزيدية أو غيرهم من الجماعات الدينية بل هي اليوم حرب ضد النفوذ الفارسي في المنطقة والذي يهدد أمن الدول العربية

ولكنهم في الحقيقة لا هم سنة ولا هم شيعة ولا معتزلة أيضاً، بل هم كما قالت الأخيرة، في لاهوتها الديني، منزلة بين المنزلتين. يؤمنون بالإمامة لآل البيت، وحق علي بن أبي طالب في الخلافة بعد الرسول فوراً بدلا ممن سبقوه ولا يلعنونهم، لا يقيمون الاحتفالات الدينية الشيعية المتعارف عليها ولا يلطمون ولا يبكون في مقتل الحسين، لكنهم يحتفلون بإمامهم، خامس الأئمة عند الإثني عشرية، أي زيد بن علي صاحب نظرية الخروج على الحاكم الجائر.

الزيدية التي ظهرت في إيران هاجرت إلى اليمن، على يد يحيى بن الحسين بن القاسم الرسّي، الذي قدم إليها من الحجاز سنة (284هـ/897 م)، وأعلن نفسه إماماً بلقب الهادي، واعترف له الجميع بأنه كان عالماً مجتهداً كبيراً، أخذ علم الكلام عن شيخه أبي القاسم البلخي المعتزلي، بالطبع كغيره من المؤسسين السياسيين الدينيين عدّل في المذهب الذي اختاره لنفسه، لكنه بقي في الأصول متابعاً لشيخه أبي القاسم، ووصل الباحثون إلى أنه لم يبق من أقوال زيد بن علي التي جمعت في "مجموع الفقه الكبير"، و"الجامع الكافي"، ضمن سياق مذهبه إلا ما ندر، لكن الهادي وأتباع مذهبه أكدوا على إمامة زيد بن علي، ووجوب الخروج على الظلمة، ويعتقدون بفضله وزعامته، ويحصرون الإمامة في من قام ودعا من أولاد الحسنين، هذا المعتقد السياسي الديني أبقى على اسم الزيدية لهذه الجماعة رغم خلافها الديني مع زيد بن علي.

ومختصر القول فيهم جاء على لسان الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى بقوله "فالزيدية منسوبة إلى زيد بن علي لقولهم جميعاً بإمامته، وإن لم يكونوا على مذهبه في مسائل الفروع، وهي تخالف الشافعية والحنفية في ذلك، لأنهم إنما نسبوا إلى أبي حنيفة والشافعي، لمتابعتهم لهما في الفروع"، إذن يجمع مذهبهم تفضيل علي على سائر الصحابة، وأوّليته بالإمامة، وقصرها من بعد الحسنين في البطنين، أي في ذريتهما، واستحقاقها إنما يثبت بالفضل والطلب لا بالوراثة كما تقوله العباسية، ويعتقدون بوجوب الخروج على الجائرين، ويرون القول بالتوحيد والعدل والوعد والوعيد كالمعتزلة، وبعد هذا القول تصبح الزيدية مجموعة تيارات في قلب جماعة واحدة، ويختلفون بينهم بل يخطّئ بعضهم بعضاً.

الإمامة الزيدية المتوكلية

استمرت مسيرة الزيدية بعد الإمام الهادي، وكانت المملكة المتوكلية، أبرز ملامح الحكم الزيدي في اليمن الحديث، مملكة لم تعمر طويلا لأسباب سياسية معقدة وتفاصيل كانت بدايتها صراعاً بين الحكم العثماني المترهل في اليمن الشمالي، وبين الإمام الشاب الذي خلف والده لاكتمال شروط الإمامة فيه بحسب علماء الزيدية في عصره، فلم تعترف الخلافة بإمامته على اليمن لتنشب الحرب بين قواته وقوات العثمانيين عام 1904 وحتى العام 1911، حيث اعترفت السلطة العثمانية بإمامة يحيى محمد حميد الدين محمد المتوكل، الذي قال عنه أمين الريحاني في كتابه ملوك العرب "إنك لا تجد في ملوك العرب من هو أعلم من الإمام يحيى في الأصول الثلاثة، الدين والفقه واللغة، ولا من هو أكبر اجتهادا وأغزر مادة منه، وله ذوق في الشعر والأدب فيقضي بعض أوقاته في المطالعة بل هو الشاعر الوحيد في حكام العرب جميعاً، وما ذلك إلا بسبب إعداده إعداداً علمياً مميزاً لأكثر من ثلاثين عاماً قبل تبوّئه منصب الإمامة فمنذ أن بلغ السادسة من عمره وهو يداوم على حضور حلقات الدرس والقراءة على يد أكابر علماء عصره في صنعاء وفي جبل الأهنوم والمدان وشهارة بالطريقة التي كانت متبعة في العصور الإسلامية القديمة"، هذا العالم الشاعر أسس لمملكة معزولة عن العالم، ديكتاتورية عائلية عقب سقوط السلطنة العثمانية عام 1918.

المملكة المتوكلية التي أسسها الإمام يحيى لتستمر حتى العام 1962، لم تكن إلا امتداداً لوجهاء الزيدية في صنعاء وما حولها، في فلسفة حافظت على الوفاق والعلاقات الحميدة بين قبائل حاشد وبكيل واللتين تمثلان جناحي الأئمة الزيدية ومن ثمة الحكم الزيدي القائم على ولاء هاتين القبيلتين، لكن مؤسس المملكة لم يحافظ على العلاقات الودية فقط بل عمل على إخضاع جميع القبائل بالقوة لسلطته التي استغلت الدين في قمع أيّ بوادر تمرد مستعيناً بقبال صعدة أقوى مراكز الزيدية قديماً وإلى سنوات قليلة مضت.

الملك وأهل اليمن

لكم يشبه عمل المتوكل هذا أعمال الرئيس اليمني المخلوع علي عبد الله صالح، الذي ضرب الجميع بالجميع واستثمر القبائل اليمنية في حروبه ولعب لعبة الطرابيش بينها فمرة دفع هذه على تلك ومرة تلك على غيرها واستثمر الدين بالطول والعرض فضرب السنة ذوي الميل السلفي بالحوثيين والزيديين الذين سرقهم أبناء جلدتهم وحوّلوهم مؤخراً وبالتعاون مع صالح إلى ذراع للقوة الفارسية في المنطقة. تلك القوة التي استثمرت التشيع كواجهة دينية تستغبي بها الجموع والحشود المتعاطفة، وصرخت بنداء يحمله الحوثيون إلى اليوم "الله أكبر، الموت لأميركا، الموت لإسرائيل، اللعنة على اليهود، النصر للإسلام"، ما أشبه اليوم بالأمس، بفارق أن المتوكل كان عربياً قبائلياً سعى ومن خلفه لأجل حكم عربي في اليمن ودافع عنه بالتجهيل والبطش، فأقام مملكة إقطاعية تفتقر لأبسط البنى التحتية فلا كهرباء ولا مستشفيات وعزل اليمن عن العالم الخارجي تماماً، باستثناء وجود بعض الأطباء الإيطاليين والفرنسيين لمعالجة أفراد الأسرة الحاكمة إذا ما تطلب علاجهم، وطمس كغيره من الحكام الدكتاتوريين القدرة على التفكير وعمل على نشر فكر تقديس الإمام عقائدياً ودينياً.

الحديث عن تفاصيل الحكم في عصر المملكة المتوكلية معقد وبوسعه أن يضع القارئ في تيه، فتلك الفترة كانت شديدة التراكب تشوبها الصراعات بين السعوديين في الشمال والأدارسة والبريطانيين في الجنوب والقبائل المقسومة بين هؤلاء وهؤلاء، ولكن اليمن الشمالي خضع في النهاية وبالقوة لحكم المملكة المتوكلية، ولم تواجهه عقبة داخلية كبرى إلا ثورة الدستور التي قامت

> المملكة المتوكلية التي أسسها الإمام يحيى تعيش حتى العام 1962، ولم تكن إلا امتدادا لوجهاء الزيدية في صنعاء وما حولها، في فلسفة حافظت على الوفاق والعلاقات الحميدة بين قبائل حاشد وبكيل واللتين تمثلان جناحي الأئمة الزيدية ومن ثمة الحكم الزيدي القائم على ولاء هاتين القبيلتين

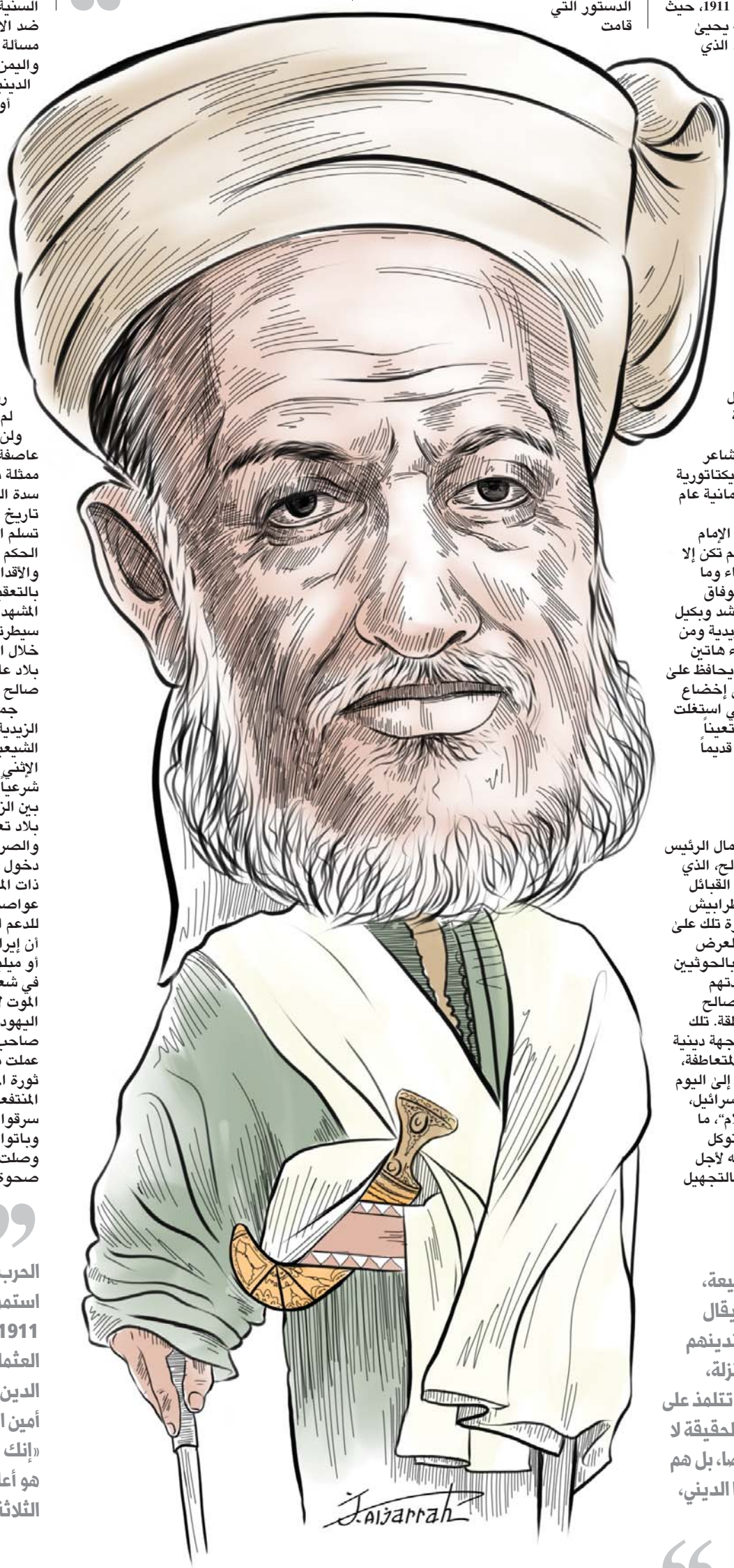

في 17 فبراير عام 1948، والتي أشعلها عدد من ضباط الجيش ومشايخ القبائل وأبرزهم شيخ قبيلة مراد المذحجية علي بن ناصر القردعي والذي كان على علاقة سيئة بالإمام يحيى، وكان معه الضابط عبدالله الوزير قائد جيوش الملك، وكان معهم في الانقلاب أيضاً نجل الملك يحيى، إبراهيم يحيى حميد الدين.

هذه الثورة أو الانقلاب قُتل فيه الملك برصاصة أصابت رأسه أطلقت عليه في منطقة حزيز جنوبي صنعاء، فدفع آل حميد الدين خارج الحكم وأنشئت حكومة دستورية تسلم فيها عبدالله الوزير الإمامة الدستورية وتلقى دعما من الأحرار اليمنيين، ولكن الإمام أحمد حميد الدين الذي نجا من العائلة الملكية أجهض الثورة بدعم سعودي، ويعتقد أنه بسبب طبيعة الانقلاب، رغم أن الانقلاب كان مدعوماً من قبائل تعرف اليوم بالقبائل السنية في اليمن، ولكن السعوديين كانوا ضد الانقلاب على المملكة، وهذا ربما يوضح مسألة العلاقة السياسة بين السعودية واليمن والتي لا تبنى على مسألة العلاقة الدينية وبأنها حرب ضد الشيعة أو الزيدية أو غيرهم من الجماعات الدينية بل هي اليوم حرب ضد النفوذ الفارسي في المنطقة والذي يهدد أمن الممالك والدول العربية، وبالأمس كانت حربا ضد فكرة الدستورية الملكية التي تؤسس لما حدث لاحقا أي الجمهورية.

ما بعد المتوكل

نجاح الإمام أحمد في استعادة الحكم إلى يوم وفاته عام 1962، وقيام ثورة 26 سبتمبر من ذات العام، التي استمرت حتى العام 1970، عام إعلان الجمهورية العربية اليمنية رسمياً، وهذا النجاح المدعوم عربياً لم يكن الأول من نوعه في تاريخ اليمن ولن يكون الأخير، فاليوم السعودية ودول عاصفة الحزم تدعم عودة الحكومة الشرعية ممثلة بالرئيس عبدربه منصور هادي إلى سدة الحكم، وبالتحليل لكل ما يجري في تاريخ اليمن الحديث أو على أقل تقدير عقب تسلم الرئيس المخلوع علي عبدالله صالح الحكم إلى اليوم، وتلاعبه في المقدرات والأقدار السياسية في تلك البلاد المحكومة بالتعقيد، يبرر ما دفع الحوثيين إلى تصدر المشهد اليمني وفتح الباب أمامهم لفرض سيطرتهم على اليمن الشمالي، وذلك من خلال الدعم الإيراني لهم كذراع طويلة في بلاد عانت سنوات عجاف طويلة منذ تسلم صالح للحكم.

جماعة الحوثي تظهر كمحاولة لخطف الزيدية العربية ذات الطبيعة الدينية الشيعية الخاصة، إلى حضن الشيعية الإثني عشرية وبالطبع الهدف لم ولن يكون شرعياً إنما هدف سياسي لتعميق الشق بين الزيدية وقبائلهم والسنة وقبائلهم، في بلاد تعوم على بحر من السلاح والخلافات والصراعات، فبذلك تفتح الطريق واسعاً أمام دخول القوى الأجنبية وعلى رأسها إيران ذات المطامع المعلنة بالسيطرة على أربع عواصم في العالم العربي، والإنكار الحوثي للدعم الفارسي لا يمكن تصديقه إلا بتصديق أن إيران لا تدعم ميليشيات الأسد في سوريا أو ميليشيا حزب الله في لبنان، لنتأمل قليلا في شعار الصرخة الحوثية "الله وأكبر، الموت لأميركا، الموت لإسرائيل، اللعنة على اليهود، النصر للإسلام" والإسلام هنا إسلام صاحب الشعار أي الثورة الإيرانية التي عملت منذ اليوم الأول وعلانية على تصدير ثورة الملالي تلك والتي حظيت بدعم بعض المنتفعين منها كحال الحوثين اليوم الذين سرقوا ميراث الزيدية اليمنية العربية، وباتوا ذراعاً عسكرية لتلك الثورة التي وصلت إلى آخرها عقب ما نأمل أن يكون صحوة عربية.

> الزيديون يقال عنهم إنهم شيعة، وهم بالفعل انشقوا عنهم. ويقال عنهم أقرباء السنة، وهم في تدينهم متشاركون، ويقال عنهم معتزلة، وإمامهم المؤسس في اليمن تتلمذ على يد شيخ معتزلي. لكنهم في الحقيقة لا سنة ولا شيعة ولا معتزلة أيضا، بل هم كما قالت الأخيرة في لاهوتها الديني، منزلة بين المنازل

> الحرب بين قوات الإمام والعثمانيين استمرت من العام 1904 وحتى العام 1911، بعدها اعترفت السلطنة العثمانية بإمامة يحيى محمد حميد الدين محمد المتوكل، الذي قال عنه أمين الريحاني في كتابه ملوك العرب «إنك لا تجد في ملوك العرب من هو أعلم من الإمام يحيى في الأصول الثلاثة، الدين والفقه واللغة»

لبناني طالب بـ«نظرية للتخلف» في المجتمعات العربية

مصطفى حجازي الذي أرسى منهج إنسانية الإنسان

د.هنادي الشوا

❏ عالم نفس وأكاديمي لبناني يكاد يكون من أهم المفكرين العرب الذين لهم إسهام كبير في التنمية المجتمعية الشاملة، وتعتبر مؤلفاته من أهم الكتابات التي قرأت وحللت المأزق التي وقع فيها الإنسان العربي. ولعل ما جعل أعماله العلمية تتميز عن غيرها هو تسخيره لمعارفه النفسية في فهم أسباب قهر الإنسان العربي، وتفنيد العوائق التي تضعها الأنظمة المستبدة في وجه الشعوب لكي تجبرها على العيش بمناخ اجتماعي وثقافي معين تنعدم فيه الحرية والعدالة، ويصبح فيه إرضاء الحاجة البيولوجية الهم الشاغل. لغته العلمية الرشيقة والبسيطة غير المتكلفة جعلت أعماله سهلة الفهم للجميع حتى لغير المختصين بعلم النفس. حينما تقرأ أعمال مصطفى حجازي فإن ثمة محرضاً داخلياً يدعوك لتكتب وأنت تتابع القراءة، وتحلل وتعدّل وتنتقد وهذا هو الهدف الحقيقي الذي يسعى إليه، أن نعمل على تحسين واقعنا الاجتماعي وننخرط جميعنا بعملية تنمية شاملة.

كيف يفهم العرب علم النفس

لعل أبرز ما يميز دراسات ومؤلفات مصطفى حجازي هو اهتمامها بتوظيف علم النفس في خدمة قضايا التنمية البشرية، وينطلق من رؤيته في أن علم النفس في العالم العربي لازال مقصّرا -بشكل وصفه بالفادح- في تناول القضايا الكبرى في المجتمعات العربية. وهو هنا لا ينكر أن علم النفس قدم خدمات جلية في القطاعات كافة إلا أنه لازال في المقاعد الخلفية في تناول موضوعات مثل الاستبداد والفقر والقهر والهدر.

ويرى حجازي أن من أبرز مشكلات علم النفس في العالم العربي الاستيراد لمعطيات تكوين الإنسان الغربي ودراسة قواه وديناميات وتوجهاته ليتم تطبيقها بشكل آلي على الإنسان العربي وهذا خطأ فادح لأنه يهمل أهم عناصر تكوين الشخصية وهو الظروف التاريخية والثقافية والاجتماعية لكل مجتمع.

> الكل من حول الإنسان المقهور ذئاب، فإما أن يكون فريسة أو ذئبا، وكي يكون الفرد ذئبا في مجتمع الهدر عليه أن يتقرب من السلطة ويتذلل لها كي يتسلط باسمها، أما حينما يريد معاقبتها فإنه لن يتوانى حتى عن تخريب الممتلكات العامة لأن الإنسان المقهور في المجتمع المتخلف يحس بالغربة في بلده ويشعر بأنه لا يملك شيئا

الأمر الآخر هو نأي كثير من علماء النفس أنفسهم عن تناول مواضيع تنموية حساسة تعتبر حلقة في حل مجمل المشاكل التي يعاني منها الإنسان العربي، والسبب هو سيطرة المحظورات التي تجعل من أيّ علم رهينة الحكم بالتحريم لمجرد اقترابه من كَشف عورة التخلف. مما يجعل الكثيرين يؤثرون السلامة الشخصية على تناول هذه القضايا.

كان همّ حجازي كما أشار بنفسه في مؤلفيه "الإنسان المقهور" و"الإنسان المهدور" يتمركز حول ضرورة خروج علم النفس من المخابر إلى المجتمع من خلال الالتحام بالعلوم الأخرى مثل علم الاجتماع والأنثروبولوجيا والسياسة والإعلام ليتمكن لاحقاً من المشاركة في رسم السياسات الاجتماعية، ويقول حجازي بشيء من الأسى "أمام علم النفس خيار آخر مطروح هو أن يبقى في موقع هامشي مفيد بالطبع، ولكنه غير مؤثر ولا فاعل استراتيجيا".

التخلف وسيكولوجية الإنسان

في "سيكولوجية الإنسان المقهور" يقدم حجازي رؤية تحدت الجمود والسكون الذي كان سببا في انزلاق معظم باحثي علم الاجتماع حينما وحدوا بين التخلف والتقليد. في حين يرى هو أنه ما من مجتمع ساكن بغالبيته حتى وإن بدا لنا مُغرقاً في التقليد، والسبب يعود إلى أنه لا وجود لمجتمع لم يشهد انتفاضات حتى في أقل البنى دينامية. وبناء على هذا نرى أن حجازي اتخذ منحى مغايراً كلياً في ربطه بين السكون والتخلف.

فنحن حينما نتحدث عن بلدان العالم الثالث فإن الكلمة الأكثر تواتراً إلى الأذهان هي كلمة "تخلف"، فتلك الكلمة يعتبر حجازي أنه على الرغم من ورودها في آلاف المقالات والأبحاث فإن العرب لم يفلحوا في وضع نظرية عامة تولف كل هذه التعريفات لها. ويُرجح أن يكون السبب عائدا إلى كون هذه الدراسات كانت حكراً على علم الاقتصاد ثم تبعها سيل من التخصصات وسط غياب مُقلق لعلماء النفس في وضع نظرية للتخلف الاجتماعي، ومن هنا فإن نظريته تقوم على وضع سيكولوجية خاصة بالتخلف تكمل اقتصاده واجتماعه.

فلا الطريقة السطحية الأقدم لدراسة التخلف التي تربط متوسط دخل الفرد بنوع تغذيته وتعليمه باتت مقنعة لتفسير مظاهر التخلف المجتمعي، ولا الطريقة الاقتصادية كذلك والسبب يعود إلى أن مؤشر الدخل القومي مقسماً على عدد السكان مُضلل جداً عدا عن كون الطريقة السطحية في تشخيص التخلف تنظر للمجتمع المتخلف نظرة دونية أساساً.

على الرغم من أن المنطلقات الاقتصادية والاجتماعية والتقنية ركزت على نوعية البُنى المتخلفة إلا أنها أهملت البُنى الفوقية النفسية والعقلية المُوجهة للوجود والتي تترافق عادة مع البُنى الاجتماعية والاقتصادية وتكملها، ولا يمكن أن تستقيم نظرية عن التخلف إلا إذا أعطيت البُنى الفوقية أهميتها. ويعطي حجازي مثالا عن البنى الفوقية وهو واقع المرأة في البلدان النامية، فهذا الكائن المسلوب الوجود والمُستلب اقتصادياً وجنسياً لازال يعاني من استلاب أخطر وهو الاستلاب العقائدي، أي تبَنّي المرأة لقيم سلوكية تتماشى مع القهر المفروض عليها. هذا القهر لاحقا تنقله عبر التربية لأولادها وبناتها خاصة وتفرض عليهن عملية تشريط من أجل الرضوخ للرجل.

فما التخلف بنظر الدكتور حجازي في المحصلة إلا استلاب اقتصادي واجتماعي يولد استلاباً نفسياً على المستوى الذاتي للأفراد، ولذلك فهو يرى أن أيّ عملية تغيير لا تنطلق من الخوض في الاستلاب الفردي لا يعُول عليها لأننا إن نجحنا في السيطرة على الاستلاب الفردي فإننا سنُحقق أول شروط التغيير. ولكن السؤال الذي سيطرحه كُل منا هل بالفعل إن استطعتُ أن أستكشف جوانب الاستلاب النفسي في ذاتي يمكنني أن أصبح جزءاً من عملية تغيير كبيرة؟ هذه العملية ليست بهذه السهولة لأن استجلاء التخلف الوجودي ليس بالأمر السهل على الإطلاق. فكيف يمكن التعرف على التخلف الوجودي؟

التخلف الوجودي هو نمط من الوجود يتمثل بكل أشكال سلوكياتنا ونشاطاتنا، ميولنا، توجهاتنا، منظومة القيم التي نحملها، العقائد، نظرتنا إلى أنفسنا، إنه باختصار موقفنا من العالم المادي وظواهره.

ولا بد من التنويه إلى أن الوجود المتخلف يُولد آلاماً معنوية تهدد التوازن النفسي، ومن أجل تسكين هذه الآلام تنشط بعض الميكانيزمات الدفاعية. للأسف بعض هذه الميكانيزمات تعتمد على آليات نفسية تجعل تَحمُّل الاستلاب ممكناً. وهذا الاستلاب بدوره ينقل الإنسان إلى مرحلة العدمية مما يولد هدراً نفسياً كبيراً.

يعيدنا حجازي في قراءته لأسباب الاستكانة للاستلاب إلى ما ذكره لوبون حينما حمّل المسؤولية لعملية التعليم التلقيني، حيث أكد الدكتور حجازي بدوره على النقطة ذاتها معتبراً أن هذا النوع من التعليم يساهم بجعل الاستلاب أمراً مقبولاً لأنه لن يمُكّن الفرد من استثمار معارفه لحل مشكلاته.

مجتمعات الهدر

قبل فترة انتشر فيديو قصير جداً يصور حياة رجل منذ لحظة استيقاظه حتى خروجه إلى عمله، ونرى في هذا الفيديو أدق تفاصيل المنزل تحولت إلى أشخاص مهمتهم لعب دور قطع أثاث معينة، على سبيل المثال يقف شخص متخذاً وضعية علاقة الملابس. وآخر يحمل إبريق الشاي وثلاثة يركعون ليشكلوا ما يشبه طاولة الطعام، آخر يتخذ وضعية علاقة المناشف بجانب الحمام، وهكذا. باختصار فإن كل ما يقوم به الرجل هو استخدام هؤلاء الأشخاص كأدوات إلى أن يخرج من بيته دون اكتراث بالآخر. نرى في نهاية الفيديو كيف أن الرجل حينما يصل إلى عمله ينزع عنه معطفه وينبطح أرضاً أمام باب مكتب متخذاً وضعية السجادة الصغيرة التي تُوضع أمام مدخل البيت ليتم تنظيف الأحذية عليها. نرى أخيراً رئيسه في

> كلمة «التخلف» يعتبر حجازي أنها على الرغم من ورودها في آلاف المقالات والأبحاث فإن العرب لم يفلحوا في وضع نظرية عامة تولف كل هذه التعريفات لها. ويرجح أن يكون السبب عائدا إلى كون هذه الدراسات كانت حكرا على علم الاقتصاد

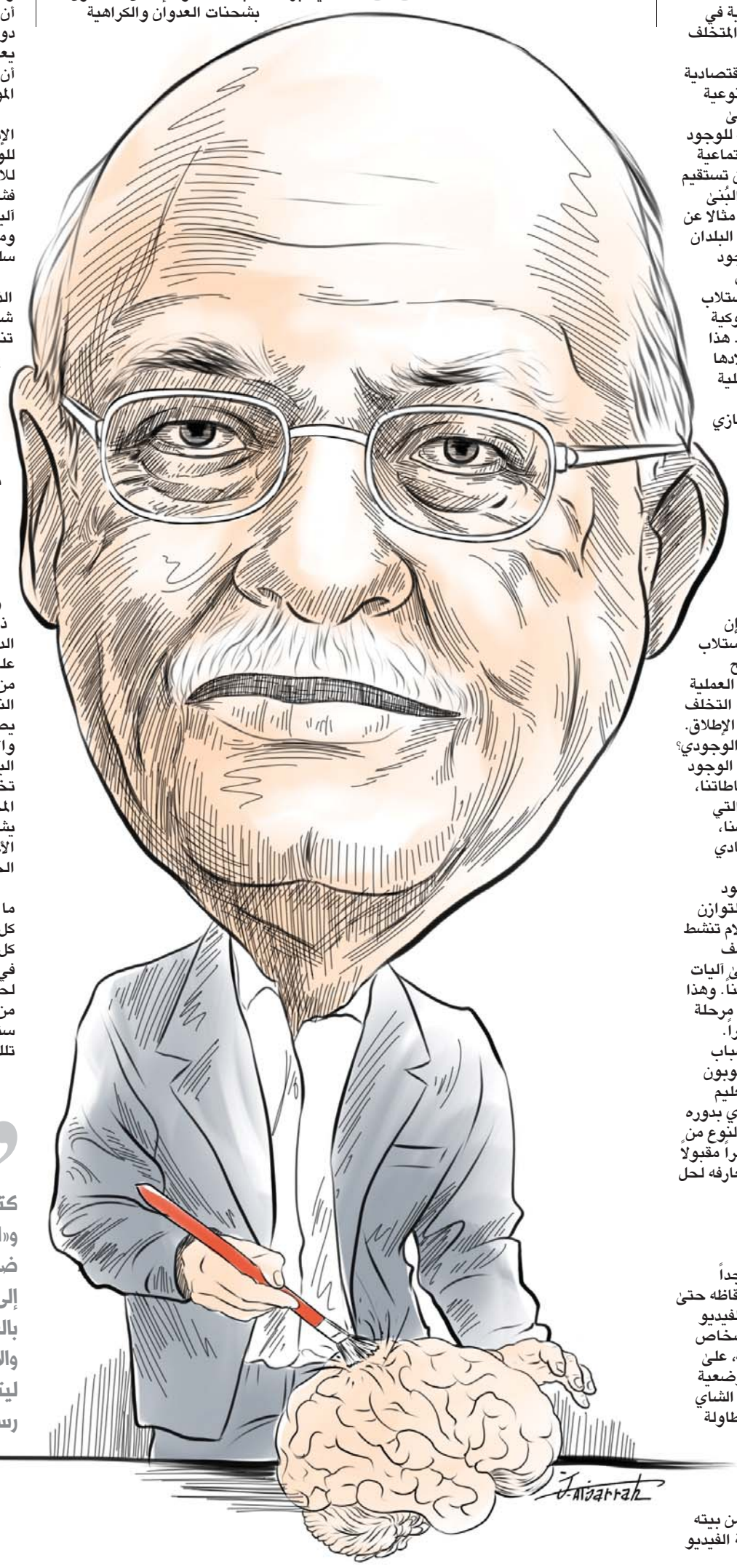

العمل يتقدم باتجاه باب مكتبه يجفف حذاءه بالسجادة، ويدخل مكتبه أيضاً دون اكتراث. كذلك يحدثنا حجازي عن عالم القهر التسلطي الذي يبدأ عبر سلطة تفرض هيمنتها على المجتمع بتحالفها مع قوى استعمارية صريحة أو مقنّعة، عبر علاقة ثنائية من التسلط والرضوخ يُمارَس فيها شتى أنواع العنف وتتغلغل هذه العلاقة التسلطية في نسيج الذهنية المتخلفة لتكون فيما بعد شبكة اجتماعية للتخلف. ولهذا فلا وجود في هذه المجتمعات لمفردة الإقناع بل الإخضاع.

هناك على الدوام، سلطة وسيطرة من طرف، ورضوخ وتبعية من طرف آخر، تبدأ من الحاكم إلى المرؤوسين مروراً بالرجل تجاه المرأة وليس انتهاء بالأخ الأكبر تجاه الأخوة الصغار. في المجتمع المتخلف الكل يكذب على الكل الحاكم يكذب على الشعب ويعدهم بالإصلاح والإنسان المقهور يكذب على الحاكم ويدّعي الولاء، وانطلاقاً من هذا القهر المستديم أمكن لحجازي أن يعطي البعد العدواني لشخصية الإنسان المقهور حقه، فهو الإنسان الذي تُرك وحيداً كي يتدبر نفسه بنفسه. هو الإنسان المشحون بشحنات العدوان والكراهية تجاه معنّفيه وكل ما يجُيد فعله هو التُحمل وقبول القهر كأمر واقع، الكل من حوله ذئاب فإما أن يكون فريسة أو ذئبا، وكي يكون الفرد ذئبا في مجتمع الهدر عليه أن يتقرب من السلطة ويتذلل لها كي يتسلط باسمها. أما حينما يريد معاقبتها فإنه لن يتوانى حتى عن تخريب الممتلكات العامة ويفسر هذه الظاهرة الدكتور حجازي بقوله "إن الإنسان المقهور في المجتمع المتخلف يحس بالغربة في بلده، يشعر بأنه لا يملك شيئاً، حتى المرافق العامة يحس أنها ملك للسلطة، وليست مسألة تسهيلات حياتية له هو. ذلك أن الهوة كبيرة جداً بينه وبينها وأن ما يستحقه من خدمات وتقديرات تُقدم له، إذا قدمت، كمنّة أو فضل، لا كواجب مستحق له، ولهذا عندما يُخرّب المرافق العامة فهو يعبر عن عدوانيته تجاه المتسلط.

الحياة في البيولوجيا

خصص حجازي دراستين متكاملتين لتناول مفردتي "القهر" و"الهدر" واللتين قد تبدوان لنا على أنهما تحملان ذات المعنى ولكنهما في الحقيقة على غير ذلك. ففي حين أن القهر يشير إلى استلاب الإنسان حقوقه دون رضاه وبممارسة السلطة والقمع، يعتبر الهدر الشكل المتطور من القهر حيث أن الأول يصبح أحد حالات الثاني وتصبح المواطنة مَكْرُمة من السلطة للفرد.

إن الهدر في جوهره هو إصابة وجود الإنسان في مقتل حيث لا تبقى ثمة قيمة للوجود، في حين أن القهر يحدث كنتيجة للاستبداد والتسلط إلا أنه يترسخ شيئاً فشيئاً ويعيد إنتاج الهدر من خلال إنتاج آليات دفاعية يلجأ إليها المهدور في قهره ومن أبرزها التماهي مع المتسلط حتى في سلوكه.

ومن هنا يمكننا أن نفهم الخط العام الذي يسير عليه معظم الطغاة في تجهيل شعوبهم وتضليلهم وجعل جُلّ همومهم تنحصر في الحصول على لقمة عيشهم و إرضاء غرائزهم البيولوجية. وتصبح المطالبة بالحرية والديمقراطية ترفاً.

يقول حجازي في ذلك: إنَّ إبقاءَ الإنسان في الحيّز البيولوجي المحض من حاجاته وحياته، سيؤدّي إلى تعطيل نسبة كبيرة من خلايا دماغه ولن يعمل دماغه إلا في أدنى مستوى له، وهذا الجزء من الدماغ هو ما يسمى علمياً 'الهيبوتلاموس'، وهو كتلة في وسط الدماغ لا يزيد وزنها على خمسة غرامات، و'الهيبوتلاموس هي التي تضبط وظائف الأكل والنوم والجنس والانفعال، فكم من حالات من الناس ذوي التفكير المهدور تُعطل طاقاتهم الدماغية ويُحجر عليها ويدفعون للعيش على مستوى 'الهيبوتلاموس'؟ وانطلاقاً من هذا يرى حجازي أن التخلف بالمنظور النفسي يتجاوز بشكل كبير جداً ما يصفه كثيرون بالتخلف التكنولوجي والإنتاجي والصناعي إنه هدر للكرامة البشرية والدوس عليها وتحويلها إلى أداة تخلف، وهذا هو المعيار الحقيقي لتخلف المجتمعات وليس التقدم المادي الذي لا يشكل سوى جزء بسيط لا يجب بحال من الأحوال أن يجعلنا نُغفل أعماق المشكلة الحقيقية.

ورغم أن حجازي يشير دوماً إلى أن ما يرد في أعماله لا ينطبق بالتأكيد على كل العرب، وأن ثمة خصائص نوعية في كل إنسان ولكنها لا تمنع محاولات النظر في إمكانية التعميم، إلا أنك حينما تقرأ لحجازي فإنك ستجد ربما نفسك أو أحداً من معارفك ومحيطك وأقرب الناس إليك، ستجد الكثيرين ممن عرفتهم تنطبق عليهم تلك المواصفات بحذافيرها.

> كتابا حجازي «الإنسان المقهور» و«الإنسان المهدور» يتمركزان حول ضرورة خروج علم النفس من المخابر إلى المجتمع، من خلال الالتحام بالعلوم الأخرى مثل علم الاجتماع والأنثروبولوجيا والسياسة والإعلام ليتمكن لاحقا من المشاركة في رسم السياسات الاجتماعية

رمز البيانكونيري وبينتوريكيو الكرة الإيطالية

أليساندرو ديل بييرو أليكس العجائب في كل الملاعب

باسل الحمدو

❏ أليساندرو ديل بييرو نجم نادي يوفنتوس الإيطالي، القناص الذي نادراً ما يخطئ التصويب في المرمى، اللاعب الخارق أو فيوري كلاس كما تلقبه الجماهير الإيطالية لأنه يمكن أن يحسم النتيجة في أيّ لحظة، بينتوريكيو اللقب الذي أطلقه عليه رئيس اليوفي السابق جيوفاني أنييلي نسبة إلى كراته المقوسة التي تسير كريشة الرسام الإيطالي الشهير في القرن السادس عشر.

ولد أليساندرو في مدينة كونيليانو الإيطالية في التاسع من نوفمبر لعام 1974، مارس كرة القدم عندما كان في الثامنة من عمره في ناديي اتحاد كونيليانو وسان فيندميانو إلى جانب شقيقه الأكبر ستيفانو الذي احترف فترة وجيزة مع نادي سمبدوريا في حقبة الثمانينات.

الفتى ذو الشعر الأجعد

كان حلم الفتى الصغير ذو الشعر الأجعد أن يملك شاحنة، قال لوالده الكهربائي اشتر لي شاحنة أقودها إلى العالم، فأهداه كرة قدم ليلعب بها مع شقيقه ستيفانو، ليبدأ اللعب في مركز حراسة المرمى، لأن والدته أرادت ذلك، ثم أخذ بنصيحة شقيقه ستيفانو وتحول لمركز الهجوم، لكن البداية الحقيقية لأليكس كما تحب أن تدلعه الجماهير الإيطالية كانت مع شباب نادي بادوفا عندما انتقل إليه في سن 13 عاماً، وشارك معه في 14 مباراة في دوري الدرجة الثاني الإيطالي لموسمين متتاليين (1992–1991/ 1993–1992).أراده مالديني وخطفه البيانكونيري لخلافة باجيو، فلم يتأقلم ديل بييرو كثيراً مع أجواء بادوفا وكان منعزلاً شيئاً ما، إلا أنه كان عصامياً ويعتمد على ذاته في شيء، كان يتدرب بمعزل عن الآخرين ليطور مستواه، ويغيب عن منزل عائلته لشهور ولا يعود إليه إلا في العطل الرسمية التي يمنحها الفريق له.

موسم 94 طلب مالديني الأب من إدارة الميلان شراء أليكس بأي ثمن ووعدهم بأن الثمن سيكون بخساً أمام ما سيقدمه للروسونيري، لكن إدارة الميلان رفضت دفع 4 ملايين يورو طلبها نادي بادوفا، ليستغل نادي اليوفي (البيانكونيري) أليكس لخلافة روبرتو باجيو أحد أبرز نجوم العالم الذي كان ينوي الانتقال بعيداً عن السيدة العجوز وبالفعل قدم مسؤول التعاقدات آنذاك في اليوفي (فرانكو كاوزيو) أليساندرو ديل بييرو على طبق من ذهب بإصرار من رئيس النادي جيوفاني أنييلي ورغبة مدرب الفريق حينها جيوفاني تراباتوني الذي يعتبره أليكس صاحب الفضل الأول في نجوميته.

لم تكن العلاقة بين ديل بييرو وروبرتو باجيو علاقة طيبة، خاصة وأن كل المؤشرات تؤكد أنه جاء لخلافة باجيو، وأن إدارة اليوفي ربما لن تبذل جهداً بإقناع باجيو بالبقاء، لاحظ باجيو انعزال أليكس في التدريبات وبقاءه وحده لفترات طويلة في الملعب خارج الأوقات المحددة للتدريبات، فتقدم يوماً باتجاه ديل بييرو وسأله "لماذا تتدرب وحيداً يا أليكس" فجاء جوابه "كي أصبح نجماً مثلك يا باجيو"، منذ تلك اللحظة أصبح باجيو وأليكس صديقين حميمين، ليصرح باجيو "إذا كان هناك من سيخلفني فأليساندرو ديل بييرو هو خليفتي".

لعب ديل بييرو مباراته الأولى مع السيدة العجوز في الثاني عشر من سبتمبر عام 1993 أمام نادي ريجينا وسجل هدفاً، كان وجوده فخراً إلى جانب لاعبين نجوم في المقدمة (روبيرتو باجيو وفابريزيو رافانيلي، وجيانلوكا فيالي).

تألق وسجل في موسم 95–94 ثمانية أهداف وكان أحد أصحاب الفضل بفوز اليوفنتوس بلقب السكوديتو بعد عشرة أعوام من الغياب عن منصات التتويج، وفي الموسم التالي أصبح ديل بييرو النجم الأوحد بعد أن صدقت التكهنات باستغناء اليوفي عن نجمه باجيو، فكان أليكس على قدر المسؤولية وحمل الرقم 10 نفس الرقم الذي حمله باجيو، وساهم بإحراز فريقه لقب دوري أبطال أوروبا على حساب أياكس الهولندي.

في المباراة الأولى لارتدائه الرقم 10 في العشرين من شهر مارس لعام 1994، سجل هاتريك في مرمى بارما، وقال عقبها مدرب اليوفي آنذاك جيوفاني تراباتوني "لم يدهشني ذلك، ولكن ما أدهشني أنه مازال في سن 19 سنة"، واستمر بحصد الألقاب وأصبح معشوق الجماهير حتى بات يرتبط اسم اليوفي بلاعبه الوفي الذي لم يفكر بالانتقال خارج أسوار مدينة تورينو وحصد معه لقب الكالتشيو ثماني مرات ورفع كل ما يهواه من الكؤوس (كأس إيطاليا– كأس السوبر الإيطالية– كأس السوبر الأوروبية – دوري أبطال أوروبا – كأس إنترتوتو – كأس الإنتركونتيننتال) وغيرها من التتويجات.

> باجيو يلاحظ انعزال أليكس في التدريبات، وبقاءه وحده فترات طويلة في الملعب، فيتقدم يوما باتجاه ويسأله «لماذا تتدرب وحيدا يا أليكس» ليجيبه الأخير «كي أصبح نجما مثلك يا باجيو»، ومنذ تلك اللحظة أصبح باجيو وأليكس صديقين حميمين

وفي العام 2006 كشفت فضيحة التلاعب في نتائج مباريات الكالتشيو وفاء أليكس، بعد هبوط اليوفي للدرجة الثانية وسحب لقبي الكالتشيو منه لموسمين، حينها رفض أليكس مغادرة السيدة العجوز، رغم أن العديد من النجوم أعلنوها صراحة بأنهم لن يلعبوا في الدرجة الثانية، وسئل حينها أليكس لماذا لم تترك اليوفي فأجاب" الرجل لا يترك زوجته ولهذا السبب لم أفكر بترك اليوفي".

كلام أليكس لم يكن مجرد حروف فما قدمه ليعود اليوفي إلى طليعة الأندية الإيطالية كان يثبت ذلك، بعدما قاده إلى بطولة الدوري الإيطالي للدرجة الثانية والصعود مرة أخرى إلى الأولى بإحرازه 22 هدفاً وتربعه على عرش الهدافين.

لحظات تاريخية

استمر أليساندرو مع اليوفي حتى موسم 2012، و حطم الرقم القياسي لجايتانو تشيريا في عدد المباريات عندما خاض مباراته الرقم 552 في السادس من أبريل 2008، فخاض 48363 دقيقة بقميص البيانكونيري، وفي العاشر من يناير 2006، تخطى جيان بيير و بونيبيرتي كأفضل هداف في تاريخ يوفنتوس بتسجيله 183 هدفاً في مسيرته مع النادي في مختلف المسابقات، وفي الثالث عشر من شهر مايو 2012 خاض مباراته الأخيرة بقميص يوفنتوس بعد أن رفضت إدارة النادي تجديد عقده، وكانت أمام أتالانتا وسجل أليكس آخر أهدافه الذي أنهى فيه الموسم بطلاً مع ناديه دون أيّ خسارة، خرج في الدقيقة 56 لكن الجماهير بقيت تبكي حتى نهاية المباراة والكاميرا لم تفارقه وهو يرسل بتحياته إلى الجماهير الحزينة، تناسى كل من في الملعب ما يدور داخل المستطيل الأخضر فالمباراة كانت كالمسرحية التي غادرها بطلها وبقي الكومبارس يديرون أحداثها الهامشية، لم تتصور الجماهير التي اعتادت عليه بقميص اليوفي 19 عاماً أنه سيرتدي لوناً آخر،687 مباراة سجل خلالها 285 هدفاً ليست سهلة النسيان، رفض أليساندروا إزالة الرقم 10 من صفوف اليوفي تكريماً له، وقال "لا تسحبوا الرقم 10 بعد اعتزالي إنه حلمٌ لكل الصغار".

أليكس في الهند وأستراليا

في الخامس من سبتمبر عام 2012 انضم أليساندرو رسمياً لصفوف نادي "أف سي سيدني" الأسترالي بعقد يمتد لعامين وسجل له 24 هدفاً، أعلن انفصاله عنه رسمياً في شهر أبريل عام 2014، لينتقل بعدها إلى الهند بلاد العجائب ليلعب في صفوف "دلهي ديناموز" أحد أندية الدوري الهندي الممتاز لكرة القدم.

لعب ديل بييرو أول مباراة له بقميص المنتخب الإيطالي (الآزوري) في 25 مارس عام 1995 أمام منتخب إستونيا، وسجل أول أهدافه الدولية مع منتخب بلاده أمام ويلز في 24 يناير عام 1996، لعب معهم ثلاث بطولات مونديالية وأربع بطولات قارية، حقق حلمه بحمل الكأس العالمية في المونديال الألماني 2006 على حساب المنتخب الفرنسي، بعدما سجل الركلة الترجيحية الرابعة في المباراة وكانت الجماهير الإيطالية تغمض أعينها خوفاً من تكرار سيناريو ركلة باجيو التي أضاعت كأس العالم لصالح البرازيل عام 94، لكن ديل بييرو كان أكثر تركيزاً في تلك اللحظة، يقول ديل بييرو إن ممارسته للعبة تنس الطاولة داخل غرفته الصغيرة في طفولته علمته برودة الأعصاب والتركيز، هذا ما جعله واثقاً من تسجيل تلك الركلة التي حققت حلمه العالمي وأهدت المنتخب الإيطالي البطولة، كان أليكس يحمل أخلاقاً جعلته محبوباً من قبل الجميع،

> أليكس لاعب ساحر له الكثير من المعجبين من بين نجوم العالم، يقول عنه الظاهرة رونالدو «أعطوني سحر مهارات ديل بييرو وسأصبح أفضل لاعب في التاريخ»، ويتمنى خوان ريكيلمي لو أنه لعب لثوان بجواره، ويعترف الحارس الإسباني كاسياس بأن أليكس يمثل عقدة إليه، وهو خليط بين باجيو وزيدان كما يصفه النجم الألماني كلينسمان

فالكثيرون وقفوا احتراماً له عندما تلقى صفعة بكف اليد من الفرنسي كوفري لاعب روما عام 2004، ورفض أليساندرو الرد عليه حرصاً على الأخلاق الرياضية، ليكرّم بعدها من قبل الاتحاد الإيطالي بجائزة خاصة لأخلاقه الرفيعة، وجعلت زيدان يرفض تسليم قميصه لأيّ لاعب عقب المباراة النهائية لمونديال 2006، وتوجه لغرفة الملابس وانتظر أليساندرو ومنحَه إياه، كان زيدان يعتبره أفضل لاعب لعب معه في تاريخه، هو رابع أفضل هداف بتاريخ المنتخب الإيطالي حيث سجل 27 هدفاً من 91 مباراة.

عقدة كاسياس وأمنية ريكيلمي

يعتبر أليساندرو ديل بييرو ثاني أكثر لاعب إيطالي تسجيلاً للأهداف في تاريخ دوري الأبطال الأوروبي برصيد 44 هدف بعد إنزاغي الذي سجل 50 هدفاً، حطم رقم روبرتو باجيو وجوزيبي مياتزا ليصبح ثاني أكثر لاعب إيطالي تسجيلاً للأهداف برصيد 342 هدفا خلف سيلفيو بيولا صاحب 364 هدفا، متخصص في الكرات الثابتة حيث سجل 62 هدفا من ركلات الجزاء و49 هدفاً من الركلات الحرة، وهو أكثر لاعب إيطالي يحرز الأهداف بهذه الطريقة وتسجل الإحصائيات أن كراته ارتطمت بالعارضة 52 مرة، وفي خزينته الكثير من الألقاب الفردية أبرزها "أفضل لاعب شاب في أوروبا" "جائزة القدم الذهبية 2007،" و"أفضل رياضي لعام 2007" و"جائزة اللاعب المثالي لعام 2010" و"جائزة جوزيبي بيرسكو الوطنية لعام 2006" وغيرها، قال عنه الظاهرة رونالدو "أعطوني سحر مهارات ديل بييرو وسأصبح أفضل لاعب في التاريخ"، وتمنى خوان ريكيلمي لو أنه لعب لثوان بجواره، واعترف الحارس الإسباني كاسياس بأن أليكس يمثل عقدة بالنسبة إليه، هو خليط بين باجيو وزيدان هكذا وصفه النجم الألماني كلينسمان.

> في العام 2006 تكشف فضيحة التلاعب في نتائج مباريات الكالتشيو وفاء أليكس، بعد هبوط اليوفي للدرجة الثانية وسحب لقبي الكالتشيو منه لموسمين، حينها رفض أليكس مغادرة السيدة العجوز، رغم أن العديد من النجوم أعلنوها صراحة بأنهم لن يلعبوا في الدرجة الثانية

العرب الثقافي
كتب | مسرح | سينما | تشكيل

دم على رداء الثقافة

في مواجهة مكارثية عربية وإسلامية

يسرى الجنابي

❏ في أحد أصابيح ربيع عام 399 ق.م وقف الفيلسوف اليوناني سقراط، بلحية بيضاء وثياب رثة، أمام 501 قاض في مدينة أثينا، التي كثرت فيها الأحقاد، وتعددت حوادث تصفية الحسابات إثر هزيمتها أمام أسبرطة في حرب دامت بينهما سبعا وعشرين سنة. كانت التهمة الموجهة إليه ذات شقين: عدم إيمانه بآلهة المدينة، وإفساد الشباب. حقيقة الأمر أن الفيلسوف كان يجوب الأسواق والطرقات محدّثا الناس عن الحكمة والعدل والفضيلة، انطلاقا من إيمان راسخ بأن لديه في الحياة رسالة يؤديها. إلاّ أن "فقهاء الظلام"، الذين يرون أن إعمال العقل خروج على الناموس وإخلال بنظام الكون، وأن الفكر عمل لا شأن للبشر به، ناصبوه العداء وقدموه إلى المحكمة، وكان عقابه الموت بالسم.

هذه الواقعة التي انتهكت فيها حرية الفكر، وما زال الجدل مستمرا حولها إلى يومنا هذا، لها ما يشابهها في تاريخ شعوب الأرض، ومنها نحن العرب، وبعض جيراننا المسلمين. وإذا كانت المكارثية –حملة قادها السيناتور الجمهوري الأميركي جوزيف مكارثي في ما بين 1950 و1955 لمحاكمة عشرات المفكرين والأدباء والفنانين بتهمة "النشاط المعادي" لأميركا– آخر فضائح التضييق على حرية الفكر والإبداع في العالم المتمدن، فإن بعض العرب ومعهم بعض المسلمين، ما زالوا حتى الآن "يستلهمون" ما في تاريخهم من محن انتهاك تلك الحرية ويطبقونها من دون مراعاة، لا للمواثيق الدولية ولا للميراث الإسلامي لحرية الاعتقاد. (ينسب إلى مالك بن أنس أنه إذا ورد قول عن قائل يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجها، ويحتمل الإيمان من وجه واحد، حمل على الإيمان ولم يحمل على الكفر؛ في حين ظل الخميني طوال حياته "يفخر بالفتوى التي أصدرها بقتل المفكر الإيراني أحمد كسراوي سنة 1947، ولما سئل عام 1979 عن سبب إصداره أمرا بإعدام المعارضين دون محاكمة أجاب: "لأنهم مذنبون، ولا حاجة لإضاعة الوقت في محاكمتهم").

تراث مقموع

فقهاء ومتصوفة وشعراء وعلماء، تعرّضوا في تاريخنا لمحن ومحاكمات شتى بسبب الوقوف على الضدّ من أيديولوجيا الدولة الرسمية، أو بسبب أفكارهم واجتهاداتهم، فالصقت بهم تهم الزندقة والإلحاد. ومن أشهر المحن ما حدث لأبي ذرّ الغفاري، فقد نُفي من المدينة مرتين بسبب آرائه وأفكاره التي جاءت مخالفة لرأي أصحاب المصالح في عصره: مرة إلى الشام، ومرة إلى قرية معزولة اسمها "الربذة"، الحياة فيها شاقة حتى على الزاهدين، وهناك مات بعد عامين. وكانت محنة أحمد بن حنبل، أحد أكبر فقهاء الإسلام، أنكى وأشدّ، فقد ألقي به الخليفة المأمون في السجن مكبلا بالأغلال لأنه خالفه في الرأي، وحين تولى المعتصم الخلافة أمر بتعذيبه بالسياط حتى شارف على الموت، فأعادوه إلى أهله حطاما. ومن بعده كانت مأساة الحلاج، الذي سجن ثماني سنوات متواصلة، ثم حاكموه على مدى سبعة أشهر، وفي نهاية المطاف قيّدوه وأوسعوه جلدا، ثم صلبوه وقطعوا رأسه وأحرقوه، لا لشيء إلاّ لأنه كان يطوف داعيا إلى التصوّف، بوصفه من أهل الوجد والجدل.

محاكمة عبدالرازق

في العصر الحديث كانت محاكمة العالم المصري الأزهري القاضي علي عبدالرازق عام 1925، على كتابه "الإسلام وأصول الحكم"، أولى المحاكمات الكبرى لأصحاب الفكر، وكان مدار مقولته فيه "إن نظام الخلافة والإمامة غريب عن الإسلام، ولا أساس له في المصادر والأصول المعتمدة للدين عند المسلمين من كتاب أو سنّة أو إجماع". وبلغ عدد التهم التي وُجّهت إليه سبعا تصب كلها في "الطعن في الدين"، إرضاء لحاكم مصر آنذاك، الذي أمر بهذه المحاكمة لأن المؤلف بدّد أحلامه في أن يكون خليفة للمسلمين بعد انتهاء الخلافة مع زوال الدولة العثمانية. صدر حكم هيئة كبار العلماء على الشيخ علي عبدالرازق بتجريده من لقبه العلمي، وطرده من زمرة كبار العلماء وفصله من وظيفته، وحرمانه من العمل أو تقاضي أجر من أية جهة حكومية أو غير حكومية!

طه حسين أمام المحقق

بعد أقل من عام أحيل طه حسين إلى النيابة للتحقيق معه إثر ثلاثة بلاغات رُفعت ضدّه تجمع على أنه عمد في كتابه "في الشعر الجاهلي" للطعن في حقيقة نسب الرسول الكريم، وإنكار أن للإسلام أولويّة في بلاد العرب، والزعم أن القراءات السبع غير منزلة من عند الله، بل هي نتيجة اختلاف في اللهجات العربية. وبعد مناقشة مستفيضة غنية فكرية وفقهية وقانونية وتاريخية لكل مزاعم مقدّمي البلاغات، أصدر المحقق محمد نور، رئيس النيابة، قرارا قضى بردّ الدعاوى وحفظ الأوراق.

من حسن الطالع أن ذلك المحقق كان شخصية ذات ثقافة موسوعية، مكّنته من الرجوع إلى كل المصادر التي رجع إليها طه حسين، وقراءتها واستيعابها إلى حدّ مكّنه من مناقشته ومحاورته والكشف عن مواطن الصواب والخطأ في كتابه. ورغم ذلك كله، يرى بعض الباحثين أنه لا يمكن التسليم بأن طه حسين خرج من هذه المعركة دون أن يمسّه منها أذى، فليس قليلا أن يُتهم المرء في عقيدته، ويشكك في ضميره، ويُنسب إليه ما لم يقصده.

ليلى بعلبكي وشرطة الآداب

عام 1964 احتجزت شرطة الآداب اللبنانية الروائية والقاصة ليلى بعلبكي، واستجوبتها وأحالتها على المحاكمة بتهمة المسّ بالأخلاق العامة من خلال التعابير الواردة في مجموعتها القصصية "سفينة حنان إلى القمر"، التي صادرتها وزارة الإعلام. وطالبت النيابة العامة بمادة تقضي بحبس المؤلفة من شهر إلى ستة أشهر وبتغريمها من 10 ليرات إلى 100 ليرة. صحف أجنبية كبيرة تابعت القضية ودافعت عن الكاتبة، مثل "الأوبزرفر" و"جون أفريك" و"فرانس سوار" و"ديلي أكسبرس"، ووصل بعلبكي عرضان من دارين للنشر في بريطانيا وأميركا لنشر مجموعتها المصادرة، كما منحها نادي "الفوبور" في بيروت جائزته لتمسكها بحرية التعبير. كان لذلك تأثير كبير في مجرى المحكمة، التي حكمت ببراءة الكاتبة ورفع قرار المصادرة عن كتابها. وبعد أربعة أعوام أحيل المفكر السوري صادق جلال العظم إلى القضاء اللبناني بسبب كتابه "نقد الفكر الديني" الصادر عام 1969.

عوض وأبوزيد

ابتداء من ثمانينيات القرن الماضي اتخذت عمليات التضييق على حرية الفكر والإبداع أشكالا مختلفة تندرج تحت ما يطلق عليه مرة اسم "المصلحة العامة"، وأخرى اسم "الدين" أو "الأخلاق"، وهي تسميات أريد بها تسويغ عمليات القمع الفكري وهيمنة الرقابة الجامدة على الإبداع بألوانه المختلفة. لقد جرت محاكمات للفكر والمفكرين ومصادرة لأعمال إبداعية أدبية وفنية، بل وأعمال تراثية كانت ميسورة التداول على مدى سنوات طويلة من قبل، مثل كتاب "ألف ليلة وليلة"، و"الفتوحات المكية" لابن عربي. ثم قبل ذلك وبعده كانت محاكمة العديد من البحوث والدراسات المهمة، من بينها كتاب "مقدمة في فقه اللغة العربية" للويس عوض، وكتاب "المسلمون والأقباط في إطار الحركة الوطنية" للمؤرخ طارق البشري، وكتاب "نقد الخطاب الديني" لنصر حامد أبوزيد، وكتاب "الله والإنسان" لمصطفى محمود.

محاكمات محاكمات

هذه الكتب جميعها جرى تقويمها ورفضها ومحاكمة مؤلفي بعض منها على أساس ديني بحت، وكذلك كان أساس التقييم، أو محاكمة أعمال أخرى أدبية وفنية صدرت بعد الألفية الثانية، من بينها رواية "بنات الله" للروائي التركي نديم جورسل، رواية "مسافة في عقل رجل" و"الفراش" للروائي المصري علاءالدين حامد، ورواية "قوارب جبلية" للروائي اليمني وجدي الأهدل، الذي اضطر إلى مغادرة البلاد واستمرت محاكمته غيابيا، ولم تسقط عنه الدعوة إلاّ بعد توسط الروائي الألماني الراحل غونتر غراس لدى رئيس الجمهورية اليمنية، رواية "أين الله" للروائي المصري كرم صابر، ديوان "آية جيم" للشاعر المصري حسن طلب. كما تعرض أكثر من أديب عُماني لمحاكمة أو مساءلة بسبب نص أدبي كتبه، مثل الشاعرين خميس قلم وبدرية الوهيبي، والقصاصين يحيى المنذري وسعيد الحاتمي وحمود الشكيلي. وجرت محاكمة الفنان مارسيل خليفة لغنائه قصيدة "أنا يوسف يا أبي" للشاعر محمود درويش. وكانت التهمة، طبعا، "تحقير الشعائر الدينية".

> عام 1964 احتجزت شرطة الآداب اللبنانية الروائية والقاصة ليلى بعلبكي، واستجوبتها وأحالتها على المحاكمة بتهمة المس بالأخلاق العامة من خلال التعابير الواردة في مجموعتها القصصية «سفينة حنان إلى القمر»

استمرت المحاكمة، التي انتهت ببراءة الفنان، أكثر من عامين رفض خلالها هذه التهمة والمحاكمة من الأساس معبّرا عن شعوره بالمرارة لمثوله أمام القضاء كمجرم، وهو الذي أمضى حياته يدافع عن قضايا العرب والقضية الفلسطينية من خلال الكلمة واللحن والصوت. وفي عام 2012 حكمت محكمة قطرية بسجن الشاعر محمد بن الذيب 15 عاما، وذلك بعد أن تقدم بالاستئناف على حكم سابق عليه بالمؤبد لاتهامه بالتطاول على رموز قطرية.

إلى جانب المحاكمات والمنع والمصادرات، جرت عمليات تكفير لمفكرين وكتّاب، مثل: حيدر حيدر، الذي أصدر الشيخ يوسف القرضاوي فتوى بتكفيره بسبب روايته "وليمة لأعشاب البحر"، وتكفير كل من يقول عنها إنها إبداع، أي أغلب المثقفين والمبدعين والنقاد في مصر والعالم العربي، وكذلك المفكر نصر حامد أبوزيد، الذي حُكم عليه بالردّة، ومن ثمّ "وجب التفريق بينه وبين زوجته المسلمة"، فاضطرّ للجوء إلى هولندا.

اغتيالات وإعدامات

وتعرض عدد آخر من المفكرين والمبدعين للاغتيال، مثل: العراقي عزيز السيد جاسم، والشاعر الجزائري الطاهر جعوط، ومواطنيه الفنان عبدالقادر علولة والجامعي الجيلالي اليابس، والمفكرين اللبنانيين مهدي عامل، وحسين مروة. أما المتصوّف السوداني محمد محمود طه فقد قضت محكمة في الخرطوم بشنقه في عهد حسن الترابي، عام 1985، بتهمة "الردّة". وفي عام 1999 أقرت محكمة الاستئناف في الخرطوم، أيضا، الحكم على أحد الفنانين بـ260 جلدة بالتهمة التفتيشية التي نفض الإسلاميون عنها الغبار وهي "الإساءة إلى الدين".

وفي إيران أهدر البوليس السياسي الإسلامي باسم "قانون الجزاء الإسلامي" دماء 180 مثقفا إيرانيا سُجلوا على "القائمة السوداء" الشهيرة، اغتيل منهم أربعة، ولولا تدخل الرئيس محمد خاتمي لكان بقية أعضاء القائمة اليوم في عداد الأموات.

حدث ذلك، وهو غيض من فيض، في عالمنا العربي والإسلامي، رغم أن جميع دساتير دوله تكفل حرية الرأي والفكر والتعبير. هكذا أصبحت هذه "الحرية"، التي قال عنها يوسف إدريس إنها لا تكفي كاتبا واحدا، ضحية "إرهاب دوغمائي"، يحتمي بسلطة القضاء، ويتعلل بأعراف دينية واجتماعية ومواقف سياسية؛ وهو ما أثر سلبا في الإنتاج الفكري والإبداعي، حيث أصبحت الكتابة محاصرة بين مقص الرقيب ومطرقة المحاكمات وسيف الجلاد.

تحت ضغط هذه الإكراهات صار المبدع مطالبا بالتفكير القبْلي في كل كتابة، بما يمثل ضربا من الرقابة الداخلية يغلفها الخوف الدائم من سوء التأويل والتقييم، كما تقول الباحثة المغربية وفاء سلاوي في كتابها "فقه المحاكمات الأدبية والفكرية".

كاتبة من العراق مقيمة في عمان

* تخطيط: ساي سرحان

لعبة اقتناص الزمن

لطفية الدليمي

❏ وردت في بعض الأساطير فكرة البراءة الاولى القائلة بأن الانسان نُفيَ من عهد البراءة – فسقط في المتاهة الكبرى: الزمن ليجد نفسه بلا دليل ولا علامة تأخذه إلى طمأنينة القلب وما لبث بعد أن اثقلت كاهله رحابة الحرية والزمن اللانهائي أن وضع نفسه طوعا منذ تلك اللحظة في قفص التاريخ وشرع يقسم المواقيت، صار أسير الزمن المحدود المقنن بعد ان كان سيد الهيولى وحاكم الزمن السائل الدفاق يغترف منه بلا حساب ودون محاسبة من التقاويم وما تبعها من أغلال السلطة، صار الانسان أيضا رهينة البيت الذي استعبده بالاستقرار المريح والبليد في أحيان كثيرة، وأمسى يتساءل بدافع وجودي محض: لماذا يستقر المرء في المكان والزمان والحياة تتبدد كل آونة؟

مرارا كرر المتمردون السؤال عن تحايل الحكام ولعبهم بمادة الزمن، ومرارا جوبهوا بالخذلان من أهل السلطة الذين يستخدمون الزمن لصالح ديمومتهم ويلعبون بفكرة الفترات الزمنية كمشروع الخمس سنوات أو الأيام المائة أو الفترات البرلمانية لامتصاص نقمة المحرومين والتحايل عليهم للتلبث في مواقع السلطة..

تقدم الحياة نفسها خارج التقاويم بلا تعهدات أو مقدمات مثل ريح جامحة، أو كزهور البراري، تتفتح وتتالق وتجف وحدها وتنثر بذورها في عراء العالم لتعاود الظهور مرارا في دورتها الأبدية .

لا تتحمل الحياة الطليقة القياسات، لا تحب حبس الزمن في التقويم، لكن البشر المرتعشين خوفا من الموت يحاولون اقتناص الزمن وتدجينه في التقاويم كوسيلة شعائرية لدرء خطر الموت المتربص، يتوهمون امتلاك الزمن والتحكم بالأفق الذي يطل الموت عند حافاته القصوى، تقويم البوذية لا يبدأ من لحظة حياة وقيامة بل من سنة موت بوذا، وكأنه تعويذة للعود الأبدي، نقيض التقويم الميلادي الذي يؤشر ميلاد السيد المسيح .

روزنامة القمر اول تقويم بشري ظهر في مدينة نيبور "نفر" السومرية قبل نحو سبعة الاف عام استخدم فيه السومريون تحولات القمر ووجوهه واحتوى التقويم الذي وجده المنقبون في نفر على أرقام السنوات المتتابعة، وليس غريبا على العراقيين القدامى ان يستكشفوا السماء ويتعلموا منها حساب الزمان فهم الشعب الوحيد ربما في هذه الأرض ممن ينامون على سطوح المنازل هربا من حر الصيف اللاهب وتتلألأ لياليهم بالنجوم وتسحرهم وتشغلهم حركة الافلاك، المتعبدون والعشاق يجافيهم النوم غالبا فيكتب العاشق ليله شعرا ويعمد الكاهن إلى حساب الزمن ليفتح المعبد فجرا ويقيم العبادة ويحرق البخور ويجمع عطايا الخائفين من غضب الآلهة..

السومريون كانوا صيادين ومزارعين وملاحين دفعتهم مواجهتهم الدائمة للأنواء الى اختراع تقويمهم القمري واكتشف السومريون ومعهم المصريون أن العالم يتجدد دوريا وأن نشأة الكون ستتكرر شعائريا كل سنة جديدة في ثقافتهم، فقد خبرت هذه الثقافات تجربة الزمن الكوني في الأعمال الزراعية، ثم انتهى بها الأمر بفرض فكرة الايقاع الكوني: ولادة، موت، وعودة للحياة.

يقول العلم: فكرة الزمن غير واردة في الفطرة البشرية، فالرضيع يعيش في الحاضر وهو بلا ماض ولا يمكنه تصور المستقبل، وتختلف فكرة البشر في الثقافات المختلفة عن الزمن: فلغة هنود أميركا من قبائل هوبي المسالمة تفتقر تماما إلى الصيغ الزمنية للدلالة على الماضي والحاضر والمستقبل فهم يعيشون في "حاضر لغوي" مستمر بلا انقطاع وتتمحور فكرة الزمن لديهم حول حصاد الذرة أو ولادة المواشي فكان الانسان الفطري يعيش البرهة المخلدة أو برهة الأبدية الممتدة بلا قياس وبلا بداية أو نهاية كما تطرحه ما بعد الحداثة عن فكرة سيولة الزمن.

* كاتبة من العراق مقيمة في عمان

مطرقة الأنظمة وسندان التطرف

خريطة الانتهاكات الأثرية في سوريا والعراق خلال السنوات الأربع المنصرمة

جابر بكر

مئذنة أثرية في حلب تعرضت لصاروخ أرسلته طائرة

❑ رسم خارطة للانتهاكات الأثرية في سوريا والعراق يحتاج لجهد مؤسسات بحث متخصصة كي ينجز على الوجه الدقيق والصحيح، لكن هنا سنحاول أن نرسم خارطة للمواقع الأكثر تضرراً في هذين البلدين اللذين يشهدان كارثة إنسانية بالدرجة الأولى واستباحة للتاريخ بكل ما يحمل من ميراث ديني وإنساني وفني وثقافي. بالطبع لن تغيب عن الأذهان مشاهد تدمير المتحف في نينوى وتدمير التماثيل التي تعود لحوالي ألف عام قبل الميلاد ومن بينها التحفة الآشورية الثور المجنح.

لكن الواقع يقول إن هذا الدمار رغم كارثيته وقسوته ورفضه قولا واحدا إلا أنه لم وربما لن يكون الوحيد في ظل ما يجري اليوم، فلم يأت يوم بعد الخبر حتى أعلن تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام عن تجريف مدينة نمرود الأثرية بالآليات الثقيلة، وقبل العراق دمر التنظيم العديد من التماثيل والنصب في سوريا وأيضا عددا غير قليل من المواقع الأثرية ذات الطابع الديني، ولكن التنظيم في الواقع هو ربما يكون الأكثر شراسة وطرحا لأعماله التدميرية إلا أنه لم يكن السباق في الساحة السورية والعراقية، فالنظام السوري قصف ودمر مواقع أثرية وأحرق أسواق تاريخية في حلب وحمص وتدمر وجرف مواقع أثرية في درعا وقصف قلعة الحصن واستباح كثيرا من المواقع الأثرية التي أحالها مواقع عسكرية. وليكتمل المشهد لا بد من الوقف عند عمليات الاستباحة من الجانب الآخر ولأسباب مختلفة منها العسكرية ومنها الإغاثية أو الحياتية، ويضاف لكل ما سبق عمليات التهريب والحفر العشوائي والتجارة التي تلقى اليوم رواجاً متنامياً في مناطق سورية واسعة.

حوران دمار ما بين العمري وبصرى

المجازر بحق السوريين تبعتها مجازر بحق تاريخهم وتراثهم، فالجامع العمري أول منابر الثورة السورية والذي شيد في عهد الخليفة عمر بن الخطاب في القرن السابع الميلادي، قصفه النظام على مدى عامين وفي الختام هدم مئذنته في نيسان عام 2013، حيث وجهت دبابات قوات النظامي قذائفها إلى المئذنة حتى انهارت ووثقت الحادثة بالصوت والصورة.

وفي حوران خزان الآثار الرومانية شهدت مدينة بصرى الشام عددا من الانتهاكات، كان أبرزها تهدم أجزاء من المعبد الروماني وتدمير سرير بنت الملك الشهير، وذلك في شهر تشرين الأول عام 2012، نتيجة قصف القوات التابعة للنظام لتلك المواقع. "الكَلِيبَة" المعروف باسم "سرير بنت الملك" هو معبد وثني أقيم لحفظ نذور الضباط وأوسمتهم، ويعود تاريخه إلى القرن الثالث بعد الميلاد، ويتألف البناء من عناصر معمارية تعود إلى بناء أقدم. وثق تدميره بالصوت والصورة من قبل قوات النظام السوري أيضا.

وفي ذات المدينة قصفت مئذنة الجامع الفاطمي في شهر تشرين الثاني عام 2012، ويقع الجامع بين كاتدرائية المدينة ودير الراهب بحيرا، بني على طراز جامع كمشتكين زمن الحكم الفاطمي، وأدخلت عليه ترميمات كثيرة، بنيت مئذنته من قبل أيوب بن عيسى النجراني عام 705 هـ/1303 م، وذلك أيام السلطان المملوكي الناصر محمد، ويصل ارتفاع هذه المئذنة إلى 19 متراً وتعتبر هذه المئذنة من الأمثلة النادرة التي تشهد على أهمية بصرى في بداية العصر المملوكي بعد تعرضها للغزو المغولي المدمر عام 1260 ميلادي، كم يشبه الغزو المغولي لتلك المدينة ما فعلته فيها قوات النظام السوري.

وفي بصرى الشام أيضا دمرت قوات النظام أجزاء من كاتدرائية القديسين سرجيوس وباخوس وتيونتوس التي يعود تاريخها إلى عام 512–513 م، بناها الأسقف جوليانوس المشهور باستقامته وشجاعته، وهي أول كنيسة بنيت على شكل مربع تقريباً تعلوه قبة، ومقاييس جدرانها 49 متراً طولاً و27 متراً عرضاً، ومزينة من الداخل والخارج بمحاريب. ويتألف هيكلها من ثلاث حنيات، وعلى جدرانها صور ملونة تمثل رسوماً للعذراء وثلاثة قديسين يحيطون بها. وتتمتع هذه الكنيسة بطراز رفيع من الفن المعماري الأمر الذي حفز الإمبراطور جوستينيان إلى تشييد كاتدرائية آيا صوفيا في إسطنبول وكنيسة رافينا في إيطاليا وكذلك كنيسة الرصافة على غرار كاتدرائية بصرى.

أحالت قوات النظام القلعة الأثرية في المدينة مقراً عسكرياً ونقاط تمركز للقناصة ما عرّضها للقصف من قبل قوات الجيش السوري الحر، وقلعة المدينة تحيط بالمدرج الروماني الشهير ويعود أقدم أجزائها إلى القرن الحادي عشر الميلادي، وقد تطور بناؤها على امتداد العصور الإسلامية اللاحقة.

كما دمرت قوات النظام أجزاء من الجامع العمري في المدينة والذي يرجع تاريخه إلى بداية العهد الإسلامي، زمن الخليفة عمر بن الخطاب 23 هـ/644 م. أما المئذنة فقد بنيت بتكليف من الخليفة الأموي يزيد الثاني 105 هـ.

ونبقى في سهل حوران حيث تعرض موقع تل الأشعري لعمليات تنقيب غير شرعية إذ استغلت عصابات الآثار الظروف الأمنية الراهنة وغياب الحماية لتلك المواقع ونشطت في عمليات تنقيب غير مشروعة ومنظمة ومحترفة، وتمنع هذه العصابات بقوة السلاح الحراس وموظفي دوائر الآثار وكل من يحاول التدخل للحدّ من أعمال التخريب والتنقيب والنهب، وتوزعت أعمال الحفر أعلى التل من الجهة الشرقية والجهة الجنوبية الغربية، ويتجاوز عدد الحفر العشر حفر ويصل عمقها إلى 3 أمتار وقطرها إلى 5 أمتار، مما قد يتسبب بأضرار يصعب تعويضها لاحقاً إن استمرت أعمال التنقيب بهذه الحدّة.

وفي نوى البلدة الحورانية الموغلة في القدم قامت قوات النظام في الشهر الأول من العام 2013، بهدم عدة مبان تعود للفترة الرومانية عن طريق البلدوز حيث تم جرف الأبنية بشكل كامل وذلك بحماية دبابة وجنود، وحجة الهدم هي اختباء عناصر من الجيش السوري الحر في هذه المباني، رغم أن المدينة في حينها كانت تخضع بشكل كامل لرقابة وقوات النظام وحواجزه المنتشرة.

حمص أم الزنار وابن الوليد

إلى حمص التي شهدت واحدة من أشرس الحملات العسكرية، ونبدأ بآخر الانتهاكات حيث دمرت قوات النظام جزءاً من جامع الدالاتي في شهر شباط عام 2015، الجامع الذي يعرف أيضا باسم جامع الحميدية أو جامع السلطان عبدالحميد والذي بني عام 1881 م بمساعي الحاج حسين الدالاتي، وبني على أرض تابعة لجامع النوري الكبير الملاصقة لمقبرة باب السوق التي أزيلت عام 1879 م، كما دمّرت أجزاء من جامع الفضائل الأثري، والحمّام العثماني، وأجزاء من قصر بسمار، وحمام السراج، وقصر الآغا، وجامع كعب الأحبار، وعدد من البيوت القديمة ولكن أبرز موقعين تعرضا للقصف والتدمير في حمص المدينة طبعا، هما جامع الصحابي خالد بن الوليد وكنيسة أم الزنار في حي الحميدية.

> المجازر بحق السوريين تبعتها مجازر بحق تاريخهم وتراثهم، فالجامع العمري أول منابر الثورة السورية والذي شيد في عهد الخليفة عمر بن الخطاب في القرن السابع الميلادي، قصفه النظام على مدى عامين وفي الختام هدم مئذنته

تسبب قصف قوات النظام السوري على مدينة حمص صيف عام 2013، بتدمير مرقد خالد بن الوليد، وتضرر المسجد الذي يضم المرقد وبحسب ما بث من مشاهد مسجلة وبحسب عمليات التوثيق التي قامت بها جمعية حماية الآثار السورية وغيرها من المؤسسات ذات الصلة فإن أجزاء من المسجد دمرت وأحرقت، ومن المعروف أن جامع خالد بن الوليد الذي يقع في الجهة الشرقية من المدينة تأسس في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي والبناء الحالي يعود إلى الفترة العثمانية في القرن التاسع عشر أيام السلطان عبدالحميد الثاني حيث أقيم المسجد الجامع على أنقاض المسجد القديم الذي كان قائمًا في نفس المكان ومبنيّ على الطراز المملوكي أيام السلطان الظاهر بيبرس. وفي شباط عام 2012، قصفت قوات النظام السوري منطقة الحميدية في حمص ما تسبب بدمار أجزاء من كنسية أم الزنار، والتي تعرف رسمياً باسم كاتدرائية السيدة العذراء أم الزنار والتي شيد قسمها المدفون في الأرض عام 59 ميلادية وكانت أشبه بقبو تتم العبادة فيه سرًا خشية من الحكم الروماني الوثني آنذاك، والتأسيس كان على يد إيليا أحد تلامذة السيد المسيح البعيدين، ثم أصبحت الكنيسة كرسي الأبرشية الأسقفية في حمص وفي عام 313 عمل مسيحيو حمص على تشييد كنيسة كبيرة فوق الكنيسة القديمة المحفورة تحت الأرض، واستعملوا في بنائها الحجر الحمصي الأسود ونقل إليها الزنار المقدس الذي كان محفوظاً بوعاء معدني وضمن جرن بازلتي، ولم تثبت أيّ روايات عن سرقة الكنيسة أو نهبها أو تدمير محتوياتها وبالذات الزنار عقب عمليات القصف التي أصابتها.

ولا يمكن الحديث عن حمص دون ذكر تل عثمان وتمركز آليات ثقيلة وسواتر ترابية في حرم المنطقة الأثرية، وتعرض تل النبي مند (قادش) لقصف عنيف نتيجة المعارك في شهر أيار من العام 2013، وبحسب تقارير الجمعية السورية للمعلوماتية فإن قلعة الحصن الشهيرة تعرّضت إلى أضرار واضحة نتيجة العمليات العسكرية التي تسببت بقصفها في مرات مختلفة وأظهرت الصور التي نشرتها الجمعية والنشطاء الإعلاميون في تلك المنطقة آثار القصف على القلعة.

تدمر أرض المعارك

أشهر المواقع الأثرية السورية تعرّضت هي أيضا لمجموعة واسعة من الانتهاكات على رأسها تمركز قوات النظام السوري داخل الحرم الأثري للمدينة وتحويلها لمقر عمليات ونشر الدبابات والمدفعية الثقيلة بين الآثار وبالقرب من المدافن الهرمية الهشة التي من الممكن أن تستحيل تراباً نتيجة هذه الأعمال، كما سجل في المدينة بحسب تقارير مديرية حماية الآثار عمليات حفر في منطقة المدافن الجنوبية الشرقية المنقبة سابقاً، كما أوضحت المعلومات وجود بعض الأضرار التي طالت معبد بل الأثري نتيجة العمليات العسكرية كما أصيبت عدة أعمدة من الرواق الجنوبي لبناء المعبد، وسجل انهيار عمودين منها، كما وثقت إصابات ناتجة عن طلقات رصاص أو شظايا بسبب الاشتباكات في عدة أماكن من الجدار الجنوبي لبناء المعبد، وبدرجة أقل في الجدار الغربي من الداخل والخارج، وإصابتان محدودتان في الجدار الشمالي، إضافة إلى فتحتين في الجدار الشرقي لبناء المعبد، كما وثقت عمليات سرقة لبعض اللقى الأثرية في المدينة وكسر بعضها.

تدمر المسجلة على لائحة التراث العالمي مازالت اليوم تعاني مخاطر محدقة بها نتيجة العمليات العسكرية التي لم تنته بعد ومخاطر سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام على المدينة التي يحاصرها التنظيم منذ فترة بحسب مصادر من أهالي المدينة، الذين أكدوا لـ"الجديد" حالات التنقيب في مناطق مختلفة وانتشار تجارة الآثار هناك ولدى المجلس المحلي الحر في المدينة محاولات لتوثيق الانتهاكات أو الحد منها ولكنه يعاني نقصا بالتمويل والاهتمام من قبل المنظمات الدولية.

حلب كارثة أثرية

لا تعرف من أين تبدأ في هذه المدينة المسجلة على لائحة التراث العالمي وبذات الوقت مسجلة على لائحة المواقع المهددة بالخطر كباقي المواقع السورية السبعة المسجلة على ذات اللائحة والتي لم تنل أيّ نوع من الحماية إلا التنديد والشجب والاستنكار والحزن على ما يحل بهذه المدن والمواقع من دمار، في حلب أحرقت قوات النظام السوري السوق القديم، وأحالت تلك القوات القلعة التاريخية إلى مركز عسكري ومقر عمليات، ومن قبلها أحالت جامع بني أمية الكبير لمركز عسكري واعتلى قناصة النظام المئذنة التي دمرت في 24 نيسان 2013، وتبادلت قوات المعارضة والنظام الاتهامات بالمسؤولية عن هذا العمل الذي سبقه في شهر تشرين الأول من عام 2012 تدمير وحرق أجزاء من الجامع جراء الاشتباكات العنيفة التي دارت بالقرب منه بين الجيش السوري الحر وقوات النظام، وبعد انهيار المئذنة بذل المجلس المحلي الحر جهودا لحماية ما تبقى من الجامع بفك ونقل المنبر الخشبي إلى مكان آمن والعمل على حماية مقام النبي زكريا داخل الجامع الذي كان ذات مرة أغورا "ساحة للحياة الرياضية والسياسية والروحية في المدينة" في العهد الهلنستي، وأصبحت تلك الساحة فيما بعد حديقة لكاتدرائية سانت هيلينا خلال الحكم الروماني لسوريا، وعلى هذه الحديقة بني المسجد في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك عام 715 ميلادي وتم الانتهاء من بنائه عام 717 ميلادي في عهد الخليفة سليمان بن عبدالملك.

جريمة بحق الإنسان وانتقام الطغيان والتطرف الديني من الحضارة والتاريخ

وفي أجزاء المدينة وبالذات في قلعة حلب وثقت إصابة القلعة بأضرار مختلفة وتحويلها من قبل النظام إلى مقر عسكري ودشم لتمركز القناصة، وفي منطقة قاضي عسكر دمرت أجزاء من جامع هارون داده، وتعرض خان الباشا للدمار كما تضررت أجزاء من جامع قاضي عسكر، ودمرت أجزاء من المطبخ العجمي وهو بقايا قصر يعود بتاريخه إلى النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي أي إلى الفترة الزنكية وربما هو لأحد أمراء "نورالدين زنكي" واسمه "مجدالدين بن الداية" الذي تقول بعض المصادر التاريخية بأنه أخو "نور الدين" بالرضاعة، وفي منطقة البياضة سجل تدمير أجزاء من جامع الصروي الذي يعود للعهد المملوكي، ودمار أصاب جامع بردبك الذي يعود لذات الفترة، وفي منطقة قسطل حرامي تضرر مخفر الشرطة الذي يعود بناؤه إلى الفترة العثمانية، وفي منطقة أقيول سجل تدمير أجزاء من جامع المحتسب الذي يعود لذات الفترة، كما دمرت أجزاء من حمام يلبغا الناصري الذي يعود للعام 1491 م، وجميع ما سبق من عمليات دمار سجلت في بدايات هذا العام، وفي منطقة باب النصر دمرت أجزاء من جامع ومدرسة العثمانية، أما في باب الحديد فقد هدمت جبهة أنصار الدين قبر الشيخ محمد النبهان وعائلته في جامع الكلتاوية، وفي حي التلل تضررت كنيسة الأرمن الكاثوليك المعروفة بكنيسة أمّ المعونات التي تعود للعام 1831، كما تضرر كل من جامع ومدرسة الفردوس الذين يعودا إلى العام 633 هـ–1235 م، وفي باب قنسرين تضرر خان المصري العائد للعام 1450م، ونبقى في حلب القديمة حيث تعرض جامع السلطانية لتهدم جزئي، وفي باب النصر تضرر جامع الميداني في ساحة الألمجي العائد للفترة المملوكية في ذات الفترة أي تشرين الثاني من العام الماضي وفي باب الحديد تعرض سوق الزهر لتدمير جزئي، وتضرر خان الشونة المشيد عام 1546 م، في حين سجل انهيار مدرسة وجامع الخسروية بذات المنطقة.

بالواقع لم تنته سلسلة الانتهاكات في حلب فهي تكاد لا تحصر وهذا أمر طبيعي إذا ما علمنا أن المدينة القديمة برمتها اليوم هي ساحة حرب وأيّ جزء من هذه المدينة له تاريخ ومسجل على أنه بقعة أثرية.

إدلب مدن ميتة تعيش وآثار تنتهك

هنا المفارقات كبيرة وكثيرة، مبان قديمة تحمي أهالي البلدات والقرى التي دمرتها طائرات النظام السوري، في سرجيلا والبارة التي استخدم أهلها الآثار كبيوت تحميهم مخاطر القصف الذي لم يوفر حتى مخيمات اللجوء، ومع الوقت يبدو أنهم استوطنوا تلك البيوت والأبنية القديمة، فبحديث مع أحد الناشطين الإعلاميين في المنطقة أكد لـ"الجديد" أن تلك البقعة من القبور والقصور الرومانية باتت اليوم بيوتا لها أبوابها ويتم قطع بعض أحجارها لاستكمال بناء حمام هنا أو غرفة هناك، ومن الواضح أن الناس الذي سكنوها لا يرغبون بمغادرتها بوقت قريب والمبرر هو أن بيوتهم دمرت بالكامل ولا يمكنهم إعادة بنائها وهم بالكاد يجدون فرصة للحياة من خلال المساعدات التي تصلهم كسلل غذائية وغيرها، وأكد الناشط الذي فضل عدم ذكر اسمه أن المنطقة تشهد حالة من إعادة الإحياء حيث تجد بعض المساحات التي تمت زراعتها مثلا في فصل الصيف الماضي لتكون مصدر لبعض الطعام وتم استثمار كل شي في تلك البقعة لأجل البقاء على قيد الحياة وربما بحثا عن أمل بالعودة إلى بيوتهم التي لم يبق منها إلا التراب.

السكن في تلك القبور أو القصور لا غبار عليه ولكن عمليات القطع للحجارة الأثرية واستخدامها بالبناء يبدو أمرا خطيراً، ولكن الأخطر هو تعرض تلك المناطق للقصف من قبل قوات النظام كما حدث في منطقة المدن الميتة حيث قصف طائرات النظام موقع شنشراح، الذي يعود للفترة الرومانية – البيزنطية، بالبراميل المتفجرة، ما تسبب ببعض الأضرار.

> أما المصاب الكبير فكان في قلعة المضيق التي تعرضت في عام 2012 وعلى مدى عدة أيام لقصف من قبل دبابات كانت متمركزة ضمن الحرم الأثري في موقع أفاميا المجاور

> تعرضت مبان بيزنطية في منطقة باسقبا للتخريب ولم تعرف الأسباب، والحال ذاته في موقع دير قيتا، كما تعرض موقع خربة الكسيبجة لبعض التخريب أو الحفر العشوائي

يضاف للقصف عمليات التنقيب والحفر غير المشروع والتخريب بقصد أو دون قصد بهدف الحصول على لقى أثرية والاتجار بها، حيث سجل في تلك المنطقة الغنية بالآثار، أعمال تنقيب سرية في موقع خربة الكسيبجة وذلك في نيسان عام 2013، ولا توجد أيّ معلومات عن توقف تلك العمليات حتى تاريخ اليوم، كما سجل تدمير للتوابيت الحجرية البيزنطية في موقع البارة ويعتقد أن العملية تمت بهدف البحث عن شيء في داخل تلك التوابيت أو تحتها، كما تعرضت مبان بيزنطية في منطقة باسقبا للتخريب ولم تعرف الأسباب، والحال ذاته في موقع دير قيتا، كما تعرض موقع خربة الكسيبجة لبعض التخريب أو الحفر العشوائي، أما الحفريات السرية المدروسة فسجلت في موقع تل حزارين الأثري وبحسب تقارير جمعية حماية الآثار السورية فقد تبين أن التل الذي يقع بالقرب من مدينة كفرنبل في ريف إدلب، تعرض لحفريات غير شرعية وأكد فريق الجمعية الميداني وجود لصوص آثار يستخدمون أجهزة إلكترونية في مسح التل من أجل كشف المعادن، ووجود أكثر من 50 حفرة في الموقع ووجدت بعض القطع الفخارية التي أظهرت بأن الموقع يتضمن سويات تعود إلى فترات زمنية مختلفة، منها عصر البرونز القديم وبرونز وسيط وبرونز حديث وربما عصر الحديد، وبين الفريق أن اللصوص عثروا خلال حفرهم في الموقع على عدة دمى طينية وجرة صغيرة.

عمليات الحفر لم تنته إلى اليوم وهي كثيرة وواسعة على امتداد تلك المدن الميتة وغيرها من المواقع وكذلك فإن الانتهاكات الأخرى من عمليات قصف لم تتوقف ومنها لا كلها، قصف ضريح الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز في دير سمعان، وتدمير أجزاء من الجامع الأموي في مدينة معرة النعمان وهو ثالث أقدم مسجد في سوريا بعد الأموي في دمشق وحلب، وفي معرة النعمان أيضا قصفت قلعة البلدة الأثرية والتي بنيت بشكلها الحالي عام 631 هـ/1235 م، بأمر من المظفر الثاني صاحب حماة في العصر الأيوبي.

حماة والمأساة المكررة

تجربة حماة مع الدمار قديمة، ولكن خلال السنوات الأربع الماضية شهدت أيضا انتهاكات في الجانب الأثري كما في الجانب الإنساني، حيث تعرضت العديد من المدافن البيزنطية في بلدة الناصرية وغيرها من القرى للحفر غير الشرعي، أما المصاب الكبير فكان في قلعة المضيق التي تعرضت في عام 2012 وعلى مدى عدة أيام لقصف من قبل دبابات كانت متمركزة ضمن الحرم الأثري في موقع أفاميا المجاور. بعد سيطرة قوات الجيش النظامي على القلعة تم شق طريق ترابي بالجرافات في التلة الأثرية التي تقبع عليها القلعة. وأظهرت يومها الصور الجوية هذه الطريق التي تحيط بالقلعة.

أما أفاميا والتي تعرضت لتنقيبات سرية حيث تمكن مشاهدة تلك الحفر لكثرتها عبر صور الأقمار الاصطناعية، وكان آخر تسجيل لعمليات حفر في ذلك الموقع خلال شهر تشرين الثاني من العام الماضي، كما حوّل جيش النظام الموقع إلى ثكنة عسكرية حيث نصب حاجراً داخل الحرم الأثري وتمركزت آليات عسكرية ثقيلة في المنطقة، في حين أظهرت الصور الفضائية تعرض الموقع الأثري للحفر بشكل كامل من قبل لصوص الآثار، كما تبيين صور أخرى التقطها ناشطون ونشرتها الجمعية السورية لحماية الآثار حالة أحد الأبراج التي حفرها لصوص الآثار، بالإضافة إلى صور الدمار التي أصابت جزءا من الشارع المستقيم في أفاميا نتيجة القصف، وبحسب المعلومات التي نشرتها الجمعية فقد تم تهريب حوالي 30 لوحة فسيفساء من الموقع الأثري، كما ظهرت بالصور لوحات الموزاييك التي سرقت من الموقع، ومن المعلوم أن أفاميا بُنيت سنة 301 قبل الميلاد، في عهد سلوقس الأول نيكاتور، الذي حكم الشرق بعد وفاة الإسكندر المقدوني، لتكون ثاني أهم مدينة في الإمبراطورية السلوقية بعد مدينة أنطاكية.

ومن الواضح مما سبق أن هناك اتفاقا غير معلن بين لصوص الآثار وبين جيش النظام الذي يسيطر على المنطقة، وهذه الحالة تقريبا تنطبق على لوحة الفسيفساء المكتشفة في تلة السمان بطيبة الإمام، حيث أعلن المكتب الإعلامي في المدينة أن مسلحي المعارضة عثروا مصادفة على لوحة فسيفساء وذلك عندما سيطروا على حاجز تلة السمان الذي يقع نحو 1 كم إلى الشمال من مدينة طيبة الإمام، وبحسب المعلومات فإن اللوحة تبلغ أبعادها تقريبا 5 أمتار طولا و5 أمتار عرضا وبقيت في مكانها حينما استعادت قوات النظام السيطرة على الحاجز، ومنذ ذلك التاريخ بقي مصير هذه اللوحة مجهول، ولم تذكرها مديرية المتاحف والآثار في تقاريرها أبداً.

نيران التطرف والسرقة

بالوصول إلى مناطق الجزيرة السورية يمكن القول بأن أعظم المصائب التي تقع على الآثار بعد القصف والتخريب نتيجة العمليات العسكرية هي عمليات التنقيب غير الشرعية، ففي منطقة الميادين في محافظة دير الزور حفر لصوص الآثار موقع عين علي الأثري وسجلت حفريات أيضا في موقع تل السن وبحسب تقرير للمديرية العامة للآثار والمتاحف فإن أكثر من 200 حفرة وخندق عميق تنتشر ضمن منطقة المدافن البيزنطية الواقعة إلى شمال سور التل، ما أدّى إلى كشف العديد من المدافن وسرقة محتواها، بالإضافة إلى تحوّل مساحات من الموقع إلى مكب للنفايات والبقايا الناتجة عن هدم المنازل، واستخدام تجار النفط الجزء الجنوبي من التل كسوق لهم، وبحسب تقارير الجمعية السورية لحماية الآثار فإن لصوص الآثار عاودوا الحفر في التل الذي يقع على بعد 10 كم جنوب شرق مدينة دير الزور، بالقرب من قريتي مراط ومظلوم، وقد ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان على أنه تل أثري قديم.

وطالت الحفريات غير المشروعة قلعة الرحبة، وتل الشيخ حمد حيث أعلنت المديرية العامة للآثار والمتاحف أن مجموعة من الملثمين قاموا بأعمال تنقيب وحفر جائر وسرق بيت البعث الأثرية العاملة في الموقع، وذات العمليات أي التنقيب السري طالت موقع دورا أوربوس كما نهب موقع صالحية الفرات وطالت الحفريات السرية تل باغوز الأثري، وهذا الحال ذاته عصف بموقع تل الحريري المعروف باسم مملكة ماري حيث دمر السقف المستعار الذي يغطي جدران الموقع بسبب غياب الصيانة منذ العام 2011 فأصبحت الجدران الأثرية لقصر المدينة عرضة للحت نتيجة عوامل الطبيعة كما تعرض القصر الملكي الكبير لبعض الأضرار نتيجة الأحوال الجوية وكذلك نتيجة الحفريات غير الشرعية التي لوحظت تحت المصطبة المخصصة لعرش الملك في صالة العرش وفي الصالة رقم 66، كما تعرض بيت البعثة للسرقة وخرب متحف البعثة والمستودعين المخصصين لحفظ الكسر الفخارية، وحالة التخريب والسرقة أيضا طالت موقع حلبية – زلبية على ضفاف الفرات.

أما في الرقة فقد نهب لصوص الآثار القبور في موقع دبسي عفنان بالقرب من موقع دبسي فرج الأثري، وقام أحد المتطرفين بتدمير مزار التابعي أويس القرني ومقام النبي إبراهيم في قرية عين عروس قرب تل أبيض ومقام الدروبية، في حين عمل تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام على تدمير تماثيل الأسدين الموجودين في مدخل حديقة الرشيد، ومن المعروف أن أحد التماثيل قديم والآخر نسخة حديثة، كما هدم التنظيم مقام الوالي العثماني سعدالدين باشا العظم بالجرافة بداية العام الماضي، والمقام موجود في صحن جامع المنصور الذي بني خلال العهد العباسي والذي يعرف بالجامع العتيق، ونتيجة انعدام العناية تهدم جزء من السور الأثري للمدينة والذي يؤرخ لعام 156 هـ/772 م، كما تعرض المتحف الأثري في المدينة نهاية العام الماضي لأضرار نتيجة القصف الجوي من قبل طائرة تابعة لقوات النظام السوري، في حين هاجم ما يقرب من مئة مسلح مستودعات مبنى هرقلة الأثري، وسطوا على محتوياتها المكونة من مئات القطع الأثرية، وهي عبارة عن فخاريات متنوعة وجصيات وأجزاء من لوحات فسيفسائية وكسر فخارية للدراسة، تمثّل نتائج أعمال التنقيب الأثرية لمواقع مختلفة في محافظة الرقة على مدى سنوات.

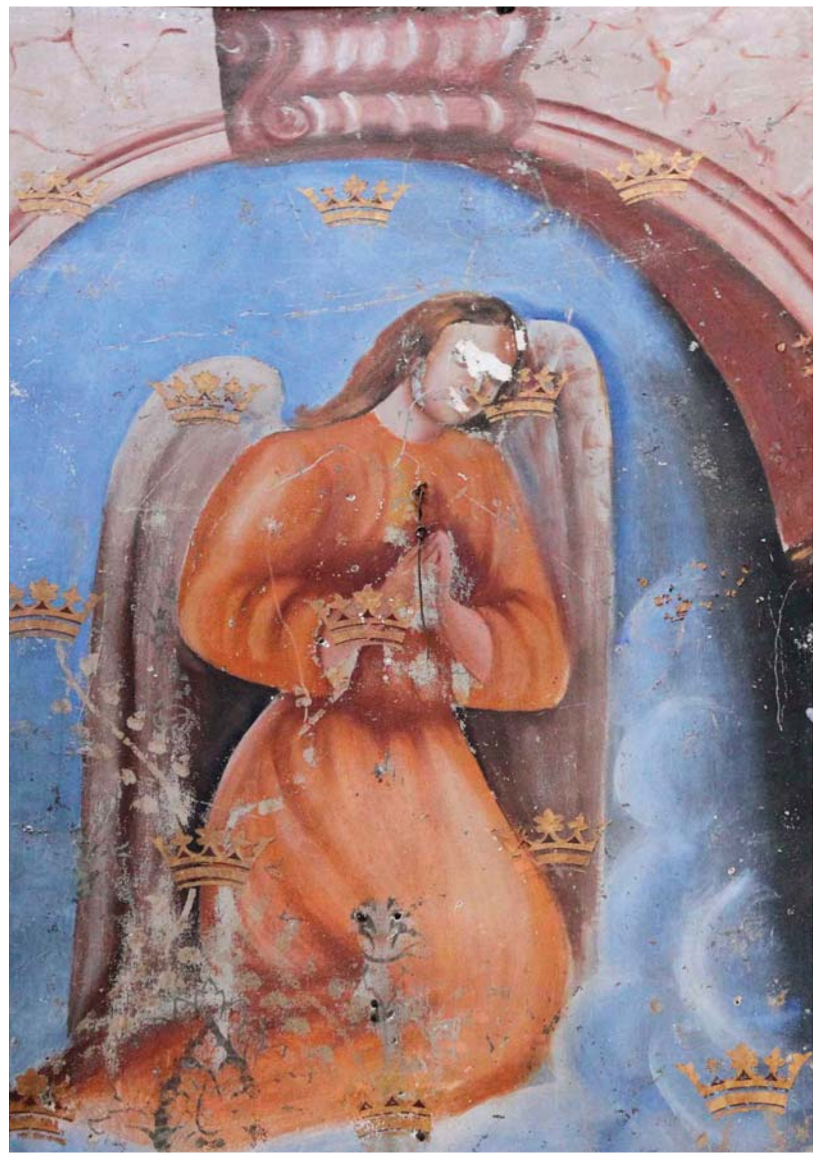

رسم أثري في كنيسة سورية تعرضت للقصف

> في حلب أحرقت قوات النظام السوري السوق القديم، وأحالت تلك القوات القلعة التاريخية إلى مركز عسكري ومقر عمليات، ومن قبلها أحالت جامع بني أمية الكبير لمركز عسكري واعتلى قناصة النظام المئذنة التي دمرت في 24 نيسان 2013

في الحسكة دمر تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام مراقد المشايخ الخزنويين المؤسسين للطريقة الصوفية النقشبندية وهم الشيخ أحمد الخزنوي، والشيخ محمد معصوم الخزنوي، والشيخ علاءالدين الخزنوي، والشيخ عزالدين الخزنوي، بالإضافة إلى هدم مسجد وحلقة للعلم وحرق كافة محتويات المعهد من كتب ومخطوطات يشرف على إدارتها أبناء الشيخ الخزنوي في قرية تل معروف التابعة لمنطقة القامشلي، وفي منطقة تل براك نسف التنظيم مقام الشيخ نامس في تل صاهوك على طريق "الحسكة– القامشلي" وفي ذات المنطقة سجلت حفريات غير شرعية يقوم بها التنظيم، في حين قصفت قوات التحالف قلعة سكرة التي يتحصن بها التنظيم، وفي تل عجاجة كشف عن تنقيبات سرية وتدمير تماثيل أثرية من قبل التنظيم الذي اعتقل لصوص آثار وصادر ما بحوزتهم من تماثيل أثرية تعود للفترة الآشورية عثر عليها خلال عمليات التنقيب غير الشرعية في تل عجاجة، ومن ثمة قام بتدميرها.

وفي تل جولمة فوقاني بمحافظة الحسكة سجلت عمليات تنقيب سرية، حيث تعرض الموقع والذي يقع على بعد 40 كم شمال مدينة الحسكة و15 كم إلى الغرب من موقع تل شاغر بازار، إلى عمليات حفر سرية في عدة مناطق من هذا التل الذي يعود تاريخه إلى الألف الثالث قبل الميلاد.

دمشق قلق ومخاوف

ربما لا تقاس الأضرار التي أصابت العاصمة بما أصاب غيرها من المدن، ولكن المخاوف التي تحدق بالعاصمة تبدو غير واضحة المعالم فالجميع يعلم أن الحرب النهائية ضد النظام السوري ستكون في هذه المدينة العتيقة فما حجم الكوارث التي ستقع في حال دخولها الحرب، وكم ستلتهم النار والقذائف من تراثها وتاريخها، فبعض الرشقات والمناوشات تسببت في شهر تشرين الثاني عام 2013 بتدمير جزء من الفسيفساء على الباب الكبير للحرم في جامع بني أمية بعد سقوط قذيفة هاون عليه، كما تعرضت قلعة دمشق لعدة قذائف هاون بتاريخ 03 و2013/11/21، فأحدثت فتحة في الجدار تقارب أبعادها (80×80 سم)، كما تسبّبت بكسر كافة الأغطية الزجاجية للمبنى والمباني الملاصقة له، ومنها ما يعرف بقاعة العرش أو القاعة الأيوبية التي تحتضن معرضاً للرسم، وذلك بحسب ما نقلت مديرية الآثار والمتاحف، كم دمر جزء كبير من مقام العسالي الذي يعود للعام 1653 م، نتيجة قصف قوات النظام للحيّ، وفي حيّ جوبر تضرر المعبد اليهودي القديم هناك وكذلك تضرر ودمر جزء من جامع جوبر الكبير الأثري.

أما في الضمير بريف دمشق فقد تعرض جزء من المعبد الروماني في المدينة للدمار، وفي مدينة عدرا نبش قبر الصحابي حجر بن عدي الكندي من قبل إحدى الجماعات المسلحة، وفي حرستا تعرضت الزاوية الشاذلية لأضرار نتيجة قصف قوات النظام التي طالت أيضا الحمّام القديم في المدينة، وأعلنت المديرية العامة للآثار والمتاحف عن عمليات تنقيب غير مشروعة في منطقة يبرود بجبال القلمون وذلك في موقع السحل.

إعدام التاريخ

يبقى القديم هو الجديد

رشيد الخيُّون

تفصيل في جدارية آشورية في القاعة العراقية بالمتحف البريطاني بلندن. تصوير: نوري الجراح

❏ يعيد التَّاريخ نفسه خلال أقل من مئة عام، بأكثر قسوة وشراهة في الشرَّ ضد مكنونات الحضارة العراقية القديمة؛ فآنذاك وقف نائبا الموصل في البرلمان العراقي: ضياء يونس (ت 1937) والخوري يوسف الخياط (ت 1947)، يطالبان بحماية آثار نينوى من سرقات البعثات الأجنبية، ونهبها إلىٰ الخارج (1926)، وها هي الآثار التي ذادا عنها وتأسس متحف الموصل والمتحف العراقي لأجلها تُحطم بفؤوس «داعش» اليوم وأمام أنظار العالم.

ليس هذا فقط، بل صارت موصل ضياء يونس والخوري يوسف، بتاريخها ودجلتها، مُلكاً لـ«داعش»! وحينذاك أنشد ضياء يونس لأحمد شوقي (ت 1932) مخاطباً رئيس الوزراء توفيق السويدي (ت 1968)، يحثه علىٰ حماية الآثار العراقية من البعثات الأجنبية:

أمَن سَرق الخليفةَ وهو حيٌ
يعفُ عن الملوك مكفنينا؟

قالها شوقي بما يخص الآثار المصرية التي تعرضت لموقف مشابه (1924). أقول: ماذا لو عاش نائبَا الموصل، الخوري ويونس، إلىٰ عهد نهب المتحف العراقي وعبث «داعش»؟ ماذا سيقولان؟ أظن أنهما سيشجعان البعثات الأجنبية كي تكون الآثار بحماية المتاحف العالمية، ونُدهش بها نحن قبل غيرنا.

بعد ذلك بحين، أي العام 1965، تقرر إقامة مشروع سكني (دور المعلمين) علىٰ المنطقة الأثرية بنينوى، حيث العاصمة الآشورية، يقول المعمار محمد مكية في مذكراته (خواطر السنين): إن البلدوزرات كانت جاهزة لقلع الآثار، ويومها كان في زيارة إلىٰ الموصل مع طارق مظلوم ممثل مديرية الآثار العامة، وفؤاد سفر الخبير الآثاري المعروف، وبعد العودة كتب تقريراً إلىٰ مجلس السياحة الأعلىٰ، وطلب من رئيس جامعة بغداد عبد العزيز الدُّوري (ت 2010) كي يمنح المشروع أرضاً من أراضي الجامعة لينقذ به الآثار، وكان بوقوف وزير الثَّقافة والإرشاد محمد النَّاصر متحمساً لحماية الآثار. فاتفق علىٰ كتابة تقرير إلىٰ وزير المالية، فهو القادر علىٰ إلغاء المشروع أو تعطيله مالياً، وقد تم ذلك في بداية العام 1966. أشار التقرير إلىٰ ما حصل العام 1935 يوم منحت الدَّولة المنتفعين من الأرض الأثرية بحق التَّصرف، والعام 1936 قُطع منها لإقامة وحدة سكنية (مكية، خواطر السِّنين)، كلُّ ما حصل سببه الجهل بقيمة الأثر، أو النزوع الشديد نحو الحداثة، من دون معرفة: "تقول أما عندك من جديد/فقلت لها القديم هو الجديدُ" (الجواهري من قصيدة أفتيان الخليج 1979).

علىٰ أيّ حال، كان المدافعون عن الآثار ينتصرون لها، والجهات الرَّسمية تتراجع بعد تبيان الأمر، لكن مَن لداعش؟ فقد كان يوم الخميس (26 فبراير 2015) فصلاً من فصول تنفيذ إعدام التَّاريخ العراقي الحضاري، وهو شواهد الحضارة الإنسانية جمعاء، في الفن والحياة. لقد هوت فؤوس أتباع الدولة الإسلامية (داعش) علىٰ خزائن مكتبة آشور بانيبال، وعلىٰ تركة بقية ملوك آشور، التي حتىٰ هذا اليوم لم يتمكن فن النِّحت من مجاراتها، فأيّ عقل نحت تلك اللُّقا وأيّ شرٍّ يحطمها، والزَّمن بين التعمير والتَّخريب يرقىٰ إلىٰ خمسة آلاف عام.

لم تخيل الشذوذ أن تهوى الفؤوس، علىٰ أنها فؤوس النَّبوة داخل الكعبة، بدافع ديني، علىٰ رأس تمثال، آية بالفن والجمال، صرف الفنان القديم جل حياته لينحته في صخر ، نحوت لم يُشاهد مَن يعبدها كي تعامل معاملة أصنام الكعبة، إنما يقف أمامها أبرع الفنانين العالميين مبهورين باليد التي نحتتها ونقشت عليها من جمال الطَّبيعة، أغصان وثمار أشجار، وأرخت للتقدم الذي لو استمر بلا انقطاع لصعد أهل الأرض إلىٰ المريخ قبل ألف عام، لكن انقطاع تاريخي مفجع، مثلما هو الحال مع ثقافة داعش، جعلنا نتأخر بإزالة التراب من علىٰ تلك الذخائر، وندهش بها ونحن أبناء الألفية الثَّالثة بعد الميلاد!

إن للآثار العراقية قصة طويلة مع الأذى الذي أصابها عبر القرون، فلو قرأنا تاريخ عمران أيّ مدينة أو حاضرة نجد عمارها قد تم بهدم سابقتها، فالحجاج بن يوسف الثَّقفي (ت 95 هـ) بنىٰ واسط بأحجار طاق المدائن، المعروف بطاق كسرى، وبأحجار خرائب بابل، ولأن الأثر لا قيمة له مع الجهل الحكومي والشعبي لم يمنع الأهلون من نقل بقايا بابل لبناء أحياء جديدة، ولا نثلب العهد العثماني الذي جعل المدرسة المستنصرية، التي تأسست (631 هـ) وسط بغداد، كدار علم ودرس وفي واجهتها نُصبت الساعة المائية، دائرة للكمارك تسرح قوافل الحمير فيها. عموماً تخريب الآثار لم يبدأ بداعش، فهذا عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255 هـ) يقول في ضياع آثار كثيرة ذات عمران راقٍ "لأن من شأن الملوك أن يطمسوا علىٰ آثارٍ من قبلهم، وأن يميتوا ذكر أعدائهم، فقد هدموا بذلك السبب أكثر المدن وأكثر الحصون، كذلك كانوا أيام العجم وأيّام الجاهلية، وعلىٰ ذلك هم في أيّام الإسلام، كما هدم عثمان صومعة غمدان، وكما هدم الحصون التي كانت بالمدينة، وكما هدم زياد (ابن أبيه) كل قصر لابن عامر (والي البصرة لعثمان بن عفان)، كما هدم أصحابنا (العباسيون) بناء مدن الشامات لبني مروان" (كتاب الحيوان).

لقد نهب المتحف العراقي بالكامل، صبيحة التَّاسع من نيسان (أبريل 2003)، وكأن عصرا جديدا لا يبدأ إلا بمحو آثار الأقدمين، علىٰ أن المظلومية تمتد إلىٰ آلاف السنين وتلك شواهد العصور! إنه من أغنىٰ متاحف العالم بالآثر الرافديني والعباسي، لا تعني تلك الممارسة غير إعدام التَّاريخ وسدل الستار علىٰ بقية حضارة وعمران ظلا شاهدين علىٰ تخلف وهمجية الحاضر، فمدينة أور توصلت، قبل ستة آلاف عام، إلىٰ اختراع العجلة والشراع، والبصرة التي توصل مفكرها المعتزلي إلىٰ مقدمات لقانون الجاذبية مستخدماً تفاحة نيوتن ذاتها، نجدها خالية اليوم من المراصد وأهلها حفاة يسعون وراء الماء، ويتراكضون خلف أكياس خبز المعونات.

أسئلة كثيرة تطرح نفسها لحظة ضياع ودائع حفظها تراب العراق ثم متاحفه عمرها آلاف السنين، وهي الشاهد الوحيد علىٰ رقيّ عمرانه. ولعل نهب المتحف العراقي وخزائن المخطوطات ومسحهما من الوجود، ثم تدمير داعش لآثار نينوى، بطريقة تزاوجت فيها الحضارة والبداوة، يدفعنا إلىٰ التنازل عن محمية آثار سومر وبابل في المتحف البريطاني ومتحف اللوفر بباريس ومتحف بيركامون ببرلين، ما دمنا غير متحضرين إلىٰ مستوى حماية تاريخنا من طارئات الثورات والحروب.

وهنا أعلل النفس أن تتأكد إشاعة أن ما نهب من المتحف العراقي، قبل إحدى عشرة سنة، علىٰ يد الغوغاء بتحريض خفي من تجار هذه النَّفائس، وما دُمر من متحف الموصل قبل أسابيع علىٰ يد عصابة داعش، لم يكن إلا مستنسخات جبسية عن الأُصول، التي قيل إنها ما زالت محفوظة تحت الأرض.

يغلب علىٰ الظَّن أن سحر بابل لم يرتبط بماروت وهاروت فقط، حسب ما ورد في الآية: "وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ"(البقَرة: 102)، إنما ببدائع الآثار أيضاً، ولأبي الطَّيب المتنبي في نفائس بابل وسحرها، وهو يفخر بنفسه:

ما نال أهل الجاهلية كلهم
شعري ولا سمعت بسحري بابلُ

تأسس المتحف المنهوب في بداية العشرينات علىٰ يد المس بل البريطانية (ت 1926) في غرفة من غرف دار الحكومة، المعروفة منذ زمن مدحت باشا (أعدم 1883) بمحلة السَّراي وتوسع مع توسع عمليات اكتشاف الآثار، فنقل إلىٰ بناية خاصة في شارع المأمون بالرصافة، ثم استقر، في عهد عبدالكريم قاسم (قُتل 1963) في مكانه الحالي بالصالحية غرب بغداد، بعد أن رفع من أمامه تمثال مؤسسته المس بل، ليحجب عن المشاهدين، مع أنها صاحبة الحق بتذكار لها أمام واجهته. وذلك بعد تأسيس الدائرة الأركيولوجية (1920)، ملحقة بوزارة المعارف، أشرفت عليها (مس بل)، التي سعت إلىٰ إلحاق الآثار بوزارة المواصلات والأشغال بدلاً عن المعارف، ولها الفضل بتأسيس أول متحف عراقي، وبعد وفاتها تولىٰ الإدارة المستر كوك، لكنه سرق الآثار وطرد من العراق، فتولىٰ الأمر (سدني سمث)، وكان يشغل وظيفة معاون مدير المتحف البريطاني، ثم استلمها الدكتور (يوردان)، وهكذا ظلت إدارة الآثار تحت المسؤولية البريطانية حتىٰ تعيين ساطع الحصري مديراً (1934)، شريطة أن يبقىٰ (يوردان) مستشاراً.

كانت لساطع الحصري (ت 1968) جهود طيبة في حماية آثار العراق، ويذكر أن السفير البريطاني وجه رسالة إلىٰ وزارة الخارجية العراقية محتجاً علىٰ تعيينه مديراً للآثار، بذريعة أن الحصري ليس مختصاً في الآثار، مما يؤدي إلىٰ صعوبات عند التعامل مع بعثات التنقيب. فاضطرت الحكومة العراقية، ممثلة بوزير خارجيتها نوري السعيد، طمأنة السفير، مما أزعج الحصري أنها ألزمته مشاورة (يوردان)، والأخذ بمشورته، فوجّه رسالة إلىٰ الحكومة يؤكد فيها أن الاستشارة متعددة، وهي ليست حكراً ليوردان.

> عموماً تخريب الآثار لم يبدأ بداعش، فهذا عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255 هـ) يقول في ضياع آثار كثيرة ذات عمران راقٍ "لأن من شأن الملوك أن يطمسوا على آثار من قبلهم، وأن يميتوا ذكر أعدائهم، فقد هدموا بذلك السبب أكثر المدن وأكثر الحصون

> تدمير داعش لآثار نينوى، بطريقة تزاوجت فيها الحضارة والبداوة، يدفعنا إلى التنازل عن محمية آثار سومر وبابل في المتحف البريطاني ومتحف اللوفر بباريس ومتحف بيركامون ببرلين

تفصيل في جدارية آشورية في القاعة العراقية بالمتحف البريطاني بلندن. تصوير: نوري الجراح

تقسم الآثار المستكشفة، حسب قانون (1924)، مناصفة بين البعثة المنقبة ودائرة الآثار، هذا بالنسبة إلى الآثار المكررة، أما في الآثار الفريدة فيجري تقسيمها بالقرعة، وحسب الحصري هناك ما تأخذه بعثات التنقيب من حصة العراق بحجة صيانتها، ومعالجتها معالجة خاصة، وبالتالي تذهب إلى المتاحف الغربية دون عودة. أما قوانين الآثار اللاحقة فأخذت تضمن حق العراق في آثاره. وأهم ما تحقق وفقاً لتلك القوانين حرية دائرة الآثار في تعيين المراقبين، وفرض شروط إضافية على بعثات التنقيب، حتى أن عددها تنازل من إحدى عشرة بعثة إلى سبع بعثات.

لم تقتصر جهود الحصري على حماية الآثار المنقولة، وإنما بذل ما في وسعه لصد موجة إزالة المعالم الأثرية أو تحديث أبنيتها، بنظرة متعالية على الإرث الحضاري، جاء في مذكراته "عندما فكر أرشد العمري في إنشاء بهو الأمانة (أمانة العاصمة) خارج سور القلعة أخذ يهدم البرج القائم في نهاية السور من جهة الشط، فتدخلت المديرية (الآثار) في الأمر وأوقفت أعمال الهدم".

لكن العمري استغل انقلاب (1936)، فأقنع قائد الانقلاب بكر صدقي لاستصدار قرار تتخلى بموجبه مديرية الآثار عن الموقع التاريخي المذكور لأمانة العاصمة، وبذلك تم هدم البرج الأثري. وإن فشلت إدارة الآثار في حماية المناطق الأثرية من تصرفات أمين العاصمة نجحت في إنقاذ خان مرجان التاريخي من خطة مدير الأوقاف رؤوف الكبيسي لإلغاء ملامحه التاريخية وتحويله إلى عمارة حديثة، فأسرعت إلى جعله متحفاً للآثار العربية الإسلامية. وعلى صعيد آخر عرقلت دائرة الأوقاف محاولة ترميم منارة الغزل وجامع الخلفاء، بحجة المصاريف الكبيرة، وعدم أهمية الجامع.

غير أن رئيس الوزراء عبدالكريم قاسم تحمس لعمليات تجديد الجامع المذكور، وتكليف المعماري محمد مكية بالمهمة، وشجع مخطط التجديد والتوسيع، بمد طريق مشجر بالنخيل من بوابة الجامع إلى ساحل دجلة، وفتح ميدان متصل بضفة النهر، يكون مركز بغداد الحضاري، ويليق بها كحاضرة عباسية، لكن العمل في الجامع توقف بعد انقلاب 8 فبراير 1963، وأعلن عن افتتاحه قبل إتمام العمل حسب خرائط التصميم.

في مجال الاهتمام الحكومي لصيانة الآثار وتطوير العمل فيها بالاعتماد على الكادر الوطني، نفذت الحكومة طلب البرلمان القاضي بإرسال طالبين للدراسة في المعاهد الغربية. وكان أول المبعوثين طه باقر، وفؤاد سفر، درسا في معهد شيكاغو علم الأنثربولوجيا (علم الإنسان) ومواد الآثار والتنقيب والتاريخ القديم، واللغات التي كُتبت بالخط المسماري، واللغة العبرية (فوزي رشيد، طه باقر حياته وآثاره). وبعد عودتهما من الدراسة احتلا مراكز هامة في مديرية الآثار العامة، وصدرت لهما مؤلفات عديدة في مجال الآثار والتنقيب وتاريخ العراق القديم، وبجهودهما تأسست مجلة "سومر" ذات البحوث العلمية، وتوسعت رقعة التنقيب، وازدانت المتاحف العراقية بآثار جديدة الاكتشاف، ودرب باقر وسفر جيلاً متفوقاً من الأثريين العراقيين. وتوافقاً مع مخزون التراب العراقي من الإرث النفيس، هناك مَنْ طالب بتدريس علم الآثار في المدارس الثانوية، انطلاقاً من أن الآثار هي ثروة العراق الكبيرة.

فقبل قيام الدولة العراقية، أي خلال العهد العثماني، كانت سرقات الآثار تجري على قدم وساق، ففي أواسط القرن التاسع عشر حملت السفن أنفس الآثار العراقية إلى المتاحف البريطانية والفرنسية والأميركية، والبعثة التي تحصل على فرمان سلطاني بالتنقيب تحمل ما تشاء من الآثار، دون رقيب. قال (سيتون لويد)، المستشار الفني لمديرية الآثار العامة، في مقال نشرته مجلة "سومر": خلال تلك المدة سار على نهر دجلة الكثير من السفن والإكلال المسروقة بالمنحوتات الآشورية، المرسلة إلى المتاحف الرئيسية في أوروبا والعالم الجديد، والمستندات التاريخية التي لا تُثمن، تلك التي حلّ رموزها علماء الغرب. من تلك الآثار طول "ميلين من الألواح المنحوتة، وسبعة وعشرين مدخلاً مكوناً من ثيران مجنحة ضخمة، وأسود جاثمة".

أما ما حمله الألمان من آثار بابل إلى متحف (بيركامون) ببرلين، بعناية فائقة، كان بوابة عشتار، وضريح (نبوخذ نصر) الحجري، ومئات من القطع الأثرية الأخرى. لازالت بوابة عشتار، بكامل هيئتها تقريباً، تضفي على متحف برلين الهيبة والعمق التاريخي، فبين جدرانها يحلم الزائر أنه ببابل وليس ببرلين، يشم عبق القرون الخوالي، ويفيق من حلمه هذا على أجهزة الحراسة الحذرة جداً، أو صوت المترجم الآلي، أو على رطانة السياح المبهورين. وقفت أتأمل ألوان أحجار البوابة الزاهية، من أيّ مادة حضّرها الفنان البابلي، وكيف شكلها هذه التشكيلة العجيبة، فأعطاها قوة البقاء عبر الدُّهور.

شغل ضريح الملك (نبوخذ نصر) غرفة كبيرة تحت الأرض، ويبدو المكان مثل مزار مقدس، هاجس الزائر وهو يطوف حول الضريح الحجري معرفة ما بداخله، فأين جسد الملك ومجوهراته المدفونة معه، كما ورد في الألواح؟ عموماً لم يبق من البشر البابلي، الذي صال وجال وشيد تلك الحضارة العظيمة، غير جثمان متفحم لصبي لازال محتفظا بهيئته الخارجية، معروضا داخل صندوق زجاجي. أما عن كنوز بابل الذهبية فيؤكد أهل المدينة، أنهم يعثرون بين فترة وأخرى على ضريح مفتوح، فيه عظام وجماجم، تركها السراق بعد أن نهبوا ما فيها من المعدن النفيس والحجر الكريم.

نقل البريطانيون أنفس الآثار السومرية والأكدية والعباسية إلى المتحف البريطاني بلندن، منها غنائم حرب، ومنها عن طريق بعثات التنقيب. تحدث ساطع الحصري حول حصة بعثات التنقيب من الآثار "عندما احتل البريطانيون العراق كانت الآثار التي اكتشفتها بعثة (هرسفلت) في حفريات دور سامراء باقية هناك نحو (150) صندوقاً، (و) عندما استولى الجيش البريطاني على سامراء نقلت الصناديق المذكورة، واعتبرها من غنائم الحرب، وأهداها للمتحف البريطاني في لندن" (مذكراتي في العراق).

أما السرقة المفضوحة تلك التي قام بها مدير الآثار العراقية البريطاني (مستر كوك)، أوان الانتداب على العراق، التي أثارت النائب جعفر أبو التمن (ت 1945)، وغيره من النواب وهم يدافعون عن مقترح تعيين مراقبين عراقيين في مواقع التنقيب، بينما رفض ذلك رئيس الوزراء توفيق السويدي. قال أبو التمن "ذكر فخامة رئيس الوزراء مسألة المراقبين ومصاريفهم، التي صرح القانون بلزوم تأديتها من قبل البعثات، غير أنه يشك في أن تعيين المراقبين ينتج منه فائدة... ولكن أشك بناء على التجارب التي مضت بأن هذه الدائرة أخذها على عهدته مَنْ كنّا نظن أنه يحميها من كل تلاعب، ولكن سمعنا أنه تاجر بكثير من الأحجار والأدوات والآثار" (المصدر نفسه، نص مداخلة أبي التمن في البرلمان).

قبل نهب المتحف العراقي بالكامل واجهت ثروة العراق الكبيرة استنزافاً، ليس من السطو على أماكن التنقيب فحسب بل سرقات مفضوحة من المتاحف، وآخرها كان الكنز الآشوري الذهبي، وقصة هذا الكنز كما قرأنا عنها، أنه حديث الاكتشاف، وطلب نقله لمعاينته من قبل جهات عليا، لكنه لم يعد إلى مكانه في المتحف العراقي. ورغم ما بذله الأثريون العراقيون لحماية الأثر العراقي عموماً إلا أن الغرور السلطوي السابق قاد إلى العبث في آثار بابل وسومر، فشوّه القصر الرئاسي المنطقة الأثرية، ومنها شارع الموكب الشهير، بإعادة تعبيده، وإضافة البنايات على جانبيه، وإعادة بناء المعابد بأسلوب معماري معاصر، لا علاقة له بنمط العمارة البابلية، ودهن الأبنية بالصبغ الأبيض، وبناء المسرح البابلي حتى يتسع للاحتفالات بميلاد الحاكم السابق.

من الآثار النفيسة التي ظلت بعيدة عن متناول البعثات الأجنبية وتجار السوق السوداء، وعمليات الفرهود المنظمة والعفوية التي اجتاحت المناطق الأثرية والمتحف العراقي وخزائن المخطوطات عشية سقوط النظام، هي آثار العتبات المقدسة، من هدايا وتحف بالنجف وكربلاء وبغداد وسامراء، فقد ظلت محفوظة بغرف حصينة داخل المراقد، كانت تحت رعاية الكليدارية (سدنة العتبات). يذكر ساطع الحصري أن دائرة الآثار قامت بتسجيل وتصوير تلك الهدايا والتحف، بعد أخذ الرخصة من الوجهاء والقائمين على خدمة المراقد، وبصفته مديراً للآثار حاول عرض تحف مرقد الإمام علي بن أبي طالب، التي يعود أقدمها إلى العهد البويهي، في متحف مرتبط بصحن المرقد، لكن المعارضة كانت شديدة، وقتذاك، ولعلّ من دوافعها عدم استيعاب فكرة التشبه بالمتاحف الأوروبية، وأن قدسية متعلقات الأضرحة تبقى في سريّتها.

جُمع خزين المتحف العراقي، حتى نهاية السبعينات، من (6555) موقعاً أثرياً ثبتتها مديرية الآثار العامة على 136 خارطة، تظهر تسمية الموقع بالـ (إيشان) كلما انحدر المسّاحون صوب الأهوار، فقد عينوا بمركز الجبايش فقط ستة وعشرين موقعاً أثرياً، تسعة عشر منها تسمى بالـ (إيشان)، وهي كلمة سومرية لا زالت متداولة تعني التل المحاط بالمياه لخلوها وأثر الأقدمين فيها، ونسجت حولها حكايات مثيرة أخذت بلب الرحالة.

بعد إفراغ المتحف العراقي من متعلقات تاريخ الرافدين يبقى الأمل في ما سيستخرج من تلك المواقع، ومما اكتشف من مواقع جديدة بعدها، لكن العبرة في حمايتها من فرهود قادم، إن كُتب للعراق أن يمتلك متحفاً آخر يتناسب مع ثروته الأثرية الهائلة.

أختم بالقول: يبقى الأثر دليلاً لا يضاهيه دليل آخر على حوادث التاريخ، والشاهد من معروف عبدالغني الرُّصافي (ت 1945) في قصيدة "ظلال التاريخ" (الديوان، طبعة 1959):

فدع عنك لغو الناطقين وخذ بما
رواه من الآثار ما ليس ينطق
فإن ذكروا النعمان يوماً فلا تثق
بأكثر مما قال عنه الخورنق.

* باحث عراقي في التُّراث والفلسفة الإسلاميين

نزيف يشبه خراب الدورة الدموية

تفصيل من جدارية آشورية محفوظة في القاعة العراقية بالمتحف البريطاني بلندن. تصوير: نوري الجراح

لا يمكن حماية التراث العراقي دون القضاء على داعش

مارغريتا فان إس

❏ يتعرض التراث الإنساني في العراق للنهب والتدمير بشكل بلغ أشده بتحطيم تنظيم داعش آثار متحف نينوى في الموصل.

يضم المتحف آثاراً تعود إلى الحضارتين الآشورية والأكدية، والتماثيل المدمرة يعود بعضها لمملكة "الحضر" الموضوعة على قائمة اليونسكو للتراث الإنساني (مملكة الحضر مملكة عربية ازدهرت في القرنين الأول والثاني قبل الميلاد). وكما ظهر بالفيديو، تم تخريب وتحطيم ثورين مجنحين أشوريين من مدينة نينوى. دُمّر أحدهما في داخل المتحف والآخر على أسوار مدينة نينوى، وهذان الثوران هما قطع أصلية، أما تماثيل مدينة الحضر فيبدو بعضها قطعا أصلية والأخرى ليست كذلك.

لا يظهر الفيديو الذي بثه تنظيم داعش عمليات تدمير لقطع أثرية أخرى من نينوى غير الثورين المجنحين. ويُخشى أن يكون هناك المزيد من التدمير لآثار نينوى لم تظهر في الفيديو. وهذا التدمير يعتبر كارثة لأن بعض القطع لم تجر لها عملية أرشفة علمية بشكل كامل. القطع الأثرية الأصلية العائدة لمملكة الحضر تشكل أهمية بالغة، بعض هذه القطع تماثيل لملوك، وأخرى لشخصيات مؤثرة، وبعضها يشير إلى القوافل التجارية، وهي بمجموعها تؤكد على اهتمام الملوك البارثيين بمدينة الحضر، التي لم تكن تبعد كثيراً عن الحدود البارثية الرومانية.

للقطع الأثرية من مملكة الحضر طابع أثري خاص جداً، وهذا الطابع لم يكن معروفاً لا على المستوى العلمي ولا حتى التاريخي. وبتدميرها فقدنا القدرة على متابعة دراستها علمياً، الأمر الذي يجعل الخسارة فادحة، بغض النظر عن قيمتها المادية.

كثير من الآثار الأشورية مازالت موجودة، فلا توجد كل آثار نينوى في الموصل، لكن في أماكن أخرى. ومن جهة أخرى لم يتضح بعد ماذا حصل للقطع الأخرى في الموصل. من المبكّر الفصل بذلك الآن، ربما يستطيع الزملاء في المتحف العراقي إعطاء مزيد من التفاصيل. أخشى ألا تمكن حماية التراث العراقي إلا بالقضاء على داعش.

لا يمكن القيام بعملية لإنقاذ التراث والآثار لوحدها. أقصى ما يمكن فعله هنا هو أرشفة ومعرفة ما تم بيعه وتدميره للقيام بإعادة بنائه وترميمه لاحقا. لكن هذا لا ينقذ القطع الأصلية.

إنها مسؤولية المجتمع الدولي للتدخل ضد هذا التنظيم المصاب بمرض التدمير: تدمير الفن والإنسان والمجتمع. لكنها أيضا مسؤولية الدول والمجتمعات الواقعة تحت تهديد داعش أن تتحرك ضده.

يزوّدنا زملاؤنا وأصدقاؤنا في العراق وسوريا بمعلومات مفادها أن داعش تموّل نفسها بفرض الضرائب على كل أنواع التجارة ومنها تجارة الآثار. لكننا لم نسمع حتى الآن أن داعش نفسه يقوم بالتنقيب عن الآثار لبيعها. يترك داعش عملية البحث عن الآثار ونهبها لتجار الآثار غير الشرعيين، الذين ينشطون بشكل كبير في المنطقة الآن. الأكيد أن كل الآثار التي تأتي من سوريا والعراق وحتى بلدان أخرى في المنطقة هي قطع يتاجر بها بشكل غير شرعي. ويجب علينا إثارة هذا الموضوع من جديد في الرأي العام، فلو لم يوجد مُشترٍ لما كان هناك بائع. إنها آلية العرض والطلب. يجب توضيح الأمر التالي لمحبي اقتناء القطع الأثرية: أغلب القطع المعروضة هي مهرّبة بطريقة غير مشروعة، وبشرائهم لها يسهمون في تمويل ليس المافيا فقط، بل الإرهاب أيضاً.

كذلك لا بد من تعديل القانون ليجبر البائع على الكشف عن المنشأ الأصلي للقطع. وهذا لا يحصل حتى الآن، مع الأسف. صحيح أن هناك حظراً على الاتجار بالآثار السورية والعراقية، ولكن نتيجة لوجود ثغرة عدم التصريح عن المنشأ، يصعب سحب هذه القطع من السوق.

كنت قد عملت بالبحث العلمي في العراق وقدت التنقيب في مدينة أوروك التاريخية، وشخصيا أعتبر ما حدث مصيبة. لقد دمرت شواهد عظيمة على بشر عظماء بنوا حضارات عظيمة على الصعيدين المادي والفني، هذه الحضارات السابقة وفّرت لنا تراكماً حضارياً هاماً للمعرفة.

* خبيرة آثار ومديرة قسم المشرق في المعهد الألماني للآثار ببرلين

****

خراب الدورة الدموية

عاصم الباشا

❏ ما كان جديدًا عليّ ما تناقله العالم عبر الأثير من جرائم حثالة البشر بحقّ تراث الإنسانية في متحف نينوى أو غيره، فنهب تراثنا وتدميره ما فتئ يقوم به النظام السوري بصورة ممنهجة منذ عقود عديدة، وربما أبرز من مارسه منذ بداية الثمانينات، وربما قبل، المجرم رفعت الأسد، سليل عائلة الإجرام الجاثمة التي ما زالت على مهد الحضارة التي تمثّلها منطقتنا.

لكن فيديو التحطيم ذكّرني بعنوان ديوان صديقي رياض الصالح الحسين "خراب الدورة الدموية"، لأنه سبّب لي خرابًا مماثلاً. وحدث أن كنت قبل أيام من الحدث أستمتع بصحبة نوري الجرّاح بأوابد بلاد الرافدين المحفوظة في المتحف البريطاني وخطر لي، كما لغيري "ليتهم نهبوا منها أكثر، فهم يقدّرون قيمتها".

الحضيض الذي وصلت إليه العقول المتأسلمة المجرمة، إن جاز لنا نعتها بالعقول، ما كان ممكنًا لولا انحطاط القائمين على العقيدة والذين يستمتعون بدور وكلاء الله على الأرض. أثبتوا جميعًا مدى جهلهم بالدين وعمق إساءتهم له. كثيرة هي الشواهد في تاريخ الدولة الإسلامية، بدءًا من بني أمية وقصورهم في البادية المزدانة بالمنحوتات النافرة وصولاً إلى رسم العاريات في قصير عمرة بالأردنّ الحالي، وهي أعمال أنجزت وما برح قليل من الصحابة وكثير من التابعين أحياء، ولم يعبّر أحد حسب علمي عن إدانة ما. تحريم التمثيل بدعة مضافة تقلّد عصر المسيحيين الأوائل المقلّدين بدورهم لتعاليم يهوذا. وبعد ذلك بقرون نصادف وجود التماثيل في الأندلس وفيما صادفه ابن جبير في رحلته المدوّنة. سجّلت على صفحتي الفيسبوكية ما يلي في هذا الشأن:

"هل من عاقل يعبد حجرًا؟ من اعتقد أو يعتقد ذلك جاهل أحمق لا يعقل، ولا أستثني أحدًا. بمقدورك أن تسعد بحجر وأن يدعوك إلى متعة أبعد من وجوده، كما النيزك (الحجر الأسود) في الكعبة. من الحماقة التفكير أو الظنّ بأن المسلم يعبد ذلك الحجر، فلماذا يسيء المسلم الظنّ بمن لا يدين بدينه؟

الصورة أو الهيئة قد تكون وسيطًا أو حافزًا لعبادة ما هو خلفه وأكبر. أنا أعبد الطبيعة من خلال شجرة أو زهرة أو حصاة، لكنها ليست عبادة خضوع وخوف بل متعة الشعور بأنني جزء ممّا أعبد".

في السنة المنصرمة نهبت جحافل العصابة المحتلة في سوريا بمساعدة مرتزقتهم اللبنانيين مشغلي وأعمال 40 سنة في يبرود، وعلى الرغم من قسوة ذلك كتبت "فقدي 40 سنة من جهدي النحتي لا يماثل خسرانًا كسر حجر آشوري واحد".

نحات من سوريا مقيم في غرناطة

****

تدمير العراق، تدمير الذاكرة

فلاح المشعل

❏ ارتكاب جريمة تدمير الآثار في مدينة الموصل، والسعي لمحو ذاكرة الحضارة الآشورية، حلقة مكمّلة لطاقة الإبادة الموجهة التي يتبناها سلوك "داعش" إزاء دولتين (العراق، سوريا)، عرفتا بمخزونهما من إرث حضاري يرمم مفاهيم التاريخ القديم بمعرفة دورة الحضارة والحياة، إنهما القاعدة الأوسع لذاكرة الحضارة القديمة.

المهمة هنا ليست إسلامية كما يعتقد البعض، أو يردد الداعشيون ذلك زورا، وإن كانت مسعىً موجهاً نحو تجهيل الفكر الإسلامي، وتحميله مسؤولية منهج "داعش" في تكريس مفهوم ظلامية هذا الدين وفاشيته الفكرية والوجودية. بخلاف كذب ادّعاء "داعش" الإسلامي وخطابه الإعلامي الزائف، فقد جاء ذكر التماثيل أو النصب في القرآن الكريم سورة المائدة، الآية 90 "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ". الأنصاب هنا كل ما عُبد من دون الله تعالى، أي بمعنى الأوثان أو الأصنام التي كانت تأخذ دور الآلهة في زمن الجاهلية.

لكن الآثار تعود إلى أزمنة أخرى سبقت نزول الرسالة الإسلامية، وهي تدوّن تراث الأجيال والأمم السابقة التي يدعو القرآن المجيد الناس للتعلم والانتفاع من تجاربها، كما أنها لا تعبد، بل تقف أشبه بتحف تعطي قراءات ثقافية وعلمية لتلك الأزمنة البعيدة التي تشكل طفولة المعرفة وعنفوانها في البناء وقوانين الوجود الاجتماعي والفكري.

أما تداولهم حديث الإمام علي (ع) "اطمسوا التماثيل" إنما هو في ذات السياق الذي يدعوا لإخفاء التماثيل التي كان يعكف الناس على عبادتها في الكعبة، وليس هذه الواجهات الفنية والسياحية العظيمة، هوية كل أمّة أو مجتمع تفخر أن لها ماضياً مجيداً. زرنا واشنطن عاصمة أميركا، وضعوا زيارة المتاحف في أول يوم للبرنامج، شارع عريض أنيق مبهج تشمخ على جانبه أبنية تشكل سلسلة المتاحف الطبيعية والتاريخية والحضارية والعلمية والفنية وصولاً إلى حضارة وتاريخ الهنود الحمر سكان أميركا الأصليين، متاحف معتنىً بها وفق آخر شروط وتقنيات حفظ الآثار، وتهيئة طرق مشاهدتها من قبل الزائرين ما يجعلها ترسخ في الذاكرة... هذا ونحن نتحدث عن دولة حديثة (لملوم) لا يتجاوز تاريخها 200 سنة...!

بروح ناقعة بالأسى، أتفق مع دعوة الزميل (إياد الزاملي) بضرورة نقل الآثار العراقية إلى دول قادرة على حمايتها..! كما بلغ الحزن والاستهجان بالصديق الكاتب (حمزة الحسن) أن طالب بنقل ما تبقى من بشر عراقيين وتسجيلهم على ذمة اليونسكو، للحفاظ عليهم من الفناء والانقراض...!؟

يشتد الغضب والاستنكار لجريمة تدمير ماضي العراق الحضاري، بعد أن تم تدمير حاضره من قبل أميركا ودول الجوار، لكن الذاكرة بتحديثاتها الدموية تثبت أن القتلة المجرمين اللصوص الذين حكموا العراق في حكومته المركزية الفاسدة، أو المسخرة المسماة حكومته المحلية في الموصل إبان سقوطها المفجع..! هؤلاء شركاء "داعش" بهذه الجريمة الصاخبة، إنهم يحرقون الإنسان وذاكرته أيضاً.

* كاتب عراقي

مخرج الوحدة والغرابة والخوف من المجهول

باتريس ليكونت يبدع في 24 ساعة لأحداث فيلم «الرجاء عدم الإزعاج»

أمير العمري

❑ أخيرا يتمكن المخرج الفرنسي باتريس ليكونت من الخروج من تحت عباءة "الفيلم الفني" ليحقق أكبر نجاح عرفه، ربما في تاريخه كله، مع فيلمه الجديد "الرجاء عدم الإزعاج". فقد حقق الفيلم نحو أكثر من خمسة ملايين دولار من عرضه خلال عطلتين من عطل نهاية الأسبوع، بعد أن بلغ عدد الذين شاهدوه خلال أسبوعين نحو 700 ألف متفرج.

الفيلم من بطولة كريستيان كلافييه وكارول بوكيه وفاليري بونيتو، وتدور أحداثه في يوم واحد حيث يقوم كلافييه بدور طبيب أسنان في الستينات من عمره، مغرم بموسيقى الجاز، يعثر ذات يوم على ألبوم لفرقة أميركية من الخمسينات بعنوان "أنا ونفسي وأنا"، يتوجه إلى منزله الباريسي راغبا في أن يخلو إلى نفسه، لكي يفض الغلاف عن الكنز الذي عثر عليه، ويستمع للموسيقى التي يحبها، لكن الأمور كلها تتعقد وتنقلب الدنيا فوق رأسه، فزوجته تعترف له بأنها كانت تخونه، وعشيقته تريد أن تناقش مستقبل علاقتهما، وبالتالي يصبح ابنه محل شك، فهو قد لا يكون ابنه، وفي الوقت نفسه، هناك سباك يعمل في إصلاح الحمام، وجار ملحاح يريد أن يأخذ رأيه في حفل سيقيمه في المساء، ولا تكف الخادمة الأسبانية عن اقتحام غرفته لسبب أو دون سبب، وكلها عوامل تضغط على الرجل وتدفعه للانفجار.

لم يجد كثير من النقاد هذا الفيلم الكوميدي مثيرا للاهتمام كما كانت أفلام ليكونت السابقة التي كانت سببا قي شهرته، خصوصا فيلم "السيد إيير" (1989) وفيلم "زوج حلاقة الشعر" (1990). بل إن فيلمه "وعد" A Promise عام 2013 كان أكثر طموحا وتماسكا. إنه عمل "كلاسيكي"، يرتبط من ناحية الأسلوب، بالسينما الكلاسيكية القديمة، سواء في طريقة البناء والسرد أو تطور الأحداث، كما يتمتع بإيقاع هادئ رصين، ويعتمد على التمثيل، وعلى محاكاة الأجواء التي كانت سائدة في أوائل القرن العشرين.

يروي الفيلم قصة حب تدور في ألمانيا تبدأ عام 1912، ثم تواجه الكثير من العقبات، بين شاب يعمل لحساب رجل من رجال الصناعة، وزوجة هذا الرجل تصغره كثيرا في العمر. الزوج يمدّ يد المساعدة للشاب الطموح وينتشله من حياة الفقر، ويرقيه في المناصب إلى أن يجعله ساعده الأيمن، أي المدير التنفيذي للشركة، بل ويخصص له أيضا جناحا كاملا داخل منزله حتى يمكنه العمل في هدوء بالقرب من مقر الشركة.

الزوجة الشابة التي كانت قد اضطرت للزواج من الرجل بعد أن أنقذ عائلتها من الإفلاس عقب وفاة عائلها، أنجبت منه ابنا أصبح الآن في العاشرة من عمره، وتقع في غرام المدير الشاب لكنها تكتم مشاعرها، وتكبت عواطفها، وتمتنع عن خيانة زوجها معه، لتظل العلاقة بينهما علاقة رومانسية بريئة، يعلم بها الزوج ولكنه يصمت، إلى أن يأتي يوم ويطلب من الشاب مغادرة ألمانيا إلى فرع الشركة في المكسيك.

بعد تردد، يسافر الشاب، وتشعر المرأة بالألم لفراقه. ثم تنشب الحرب العالمية الأولى، ويعجز الحبيب عن العودة بسبب انقطاع المواصلات. ويعترف الزوج المريض لزوجته وهو على فراش المرض، بأنه كان يحاول التقريب بينهما، غير أنه قرر إبعاد الشاب عنها بعد أن وجد أنها تحبه أكثر منه. وبعد وفاة الزوج تكتب المرأة رسائل عدة لحبيبها لكنه لا يستلم منها شيئا إلا أنه يعود بعد غياب ثماني سنوات. كتب سيناريو الفيلم جيروم تونير، عن رواية للكاتب النمساوي ستيفان زفايج. ويتميز الفيلم، بسيطرة ليكونت الكبيرة على الإخراج: تكوين اللقطات، الاهتمام الكبير بالإضاءة الطبيعية، حركة الكاميرا المحسوبة بدقة، تصميم الملابس الذي يراعي بشكل مدهش كل تفاصيل الفترة، اختيار مواقع التصوير، الموسيقى التي تلعب دورا في تأجيج العاطفة التي تبقى رغم ذلك مكتومة.

الوحدة والخوف

عذاب الحب والوحدة والخوف من القادم المجهول، "ثيمات" مألوفة في سينما ليكونت الذي ولد عام 1947، وبدأ اهتمامه بالسينما مبكرا ثم درس الإخراج في معهد الدراسات السينمائية العليا بباريس. وقد أخرج حتى الآن 38 فيلما، ما بين قصير وطويل، تسجيلي وروائي، للسينما وللتلفزيون. وجاء أول أفلامه الروائية عام 1976 وهو فيلم "المراحيض مغلقة من الداخل"، إلا أن شهرته العالمية جاءت مع عرض فيلم "السيد إيير" (1989).

"السيد إيير" مأخوذ من رواية للكاتب البلجيكي جورج سيمنون الذي تخصص في الروايات البوليسية، روايات الجرائم الغامضة. الفيلم يبدأ بوقوع جريمة قتل عند اكتشاف ضابط الشرطة لجثة فتاة شابة بالقرب من المنزل، الذي يقيم فيه ذلك الرجل الغامض المدعو "مسيو إيير"، لكن ليكونت لا يهتم بالجانب البوليسي، بل بالتكوين الشخصي لبطله وما يتعين على المرء أن يدفعه نتيجة حساسيته الخاصة، واختلافه عن الآخرين. هذا رجل أربعيني، "غريب الأطوار" من وجهة نظر الآخرين، أعزب، ليس له أصدقاء، يتوجس منه الجيران وينظرون إليه بريبة بسبب عزلته وصمته. تتعلق أنظاره بل وحواسه بجارته الفتاة الشابة "أليس التي تقيم في الشقة المقابلة له، يتطلع إليها ويراقبها من خلال نافذة شقته، يرصد كل حركاتها وسكناتها، ويشاهدها وهي تأكل وتشرب، وتلهو، وتكوي ملابسها، وتمارس الجنس مع خطيبها الشاب. وذات ليلة تكتشف هي أنه يراقبها، فتدبر حيلة لمصادفته على سلم منزله تجعلها تلتقي به وجها لوجه، ثم تزوره في مسكنه وتتودد إليه، لكنه يبدو عازفا عن إقامة أي علاقة جسدية معها مكتفيا بتشمم رائحة عطرها بعد أن تغادر، بل أنه يبدو أيضا متشككا في سبب تقربها منه على هذا النحو المفاجئ، هل تحاول التستر على صديقها الذي يعتقد أنه القاتل؟ وذات مرة يسألها مباشرة: هل من الممكن أن تحبي رجلين في آن؟ هذه العلاقة الغريبة ستتطور بالطبع، وعندما يقرر صاحبنا التخلي عن تشككه وحذره وابتعاده التقليدي عن الآخرين، ويتمادى في التعبير عن مشاعره، هنا تكون نهايته غير المتوقعة.

> عذاب الحب والوحدة والخوف من القادم المجهول، "ثيمات" مألوفة في سينما ليكونت الذي ولد عام 1947، وبدأ اهتمامه بالسينما مبكرا ثم درس الإخراج في معهد الدراسات السينمائية العليا بباريس

دراسة الشخصية

ليكونت يحوّل قصة بوليسية إلى دراسة لشخصية رجل عاجز عن إقامة علاقات "طبيعية" مع الآخرين بل ومع المرأة بوجه خاص، إن رغبته المستبدة تسيطر على خياله، فتجعله عاجزا عن التعامل مع الجسد الأنثوي في الواقع. ماذا يمكن أن يفعل مع "أليس ، تلك الفتاة التي دمرت كل قناعاته السابقة عن المرأة، وجعلته يتخلى أخيرا عن معاشرة المحترفات في بيوت الهوى كما اعتاد، توقف عن ممارسة عمله، تحمل في هدوء الاستجوابات المفاجئة من جانب مفتش الشرطة، بل وأصبح يتستر بإرادته على جريمة القتل التي يعرف يقينا مرتكبها، لكي لا يضحي بأليس، التي لا بدّ أنها ستتورط في القضية. ثم يعرض عليها الذهاب للعيش معه في منزل صغير يمتلكه في سويسرا لكن كل شيء ينقلب رأسا على عقب في اللحظة التي يتخيل هو أن حلمه المستحيل قد أصبح قريبا من التحقق أخيرا.

من أفضل مشاهد الفيلم المشهد الذي نرى فيه أليس وهي تحاول لفت نظر مسيو إيير على السلم، عندما تسقط حبات الطماطم ثم تنحني لكي تجمعها واحدة واحدة بطريقة تكشف عن مفاتنها أمامه فتصيبه بالاضطراب. مشهد يستخدم الصورة المجازية للتعبير عن الرغبة المكبوتة والإثارة.

ويستخدم ليكونت الموسيقى العربية كمعادل للرغبة في التحرر والانطلاق، كما يستخدم حركة الكاميرا البطيئة التي تبدو كما لو كانت تتسلل، وتراقب، فكما أن الفيلم عن العزلة والكبت والجريمة الغامضة، هو أيضا فيلم عن "التلصص"، عن النظرات المختلسة، عن عدم القدرة على المواجهة المباشرة.

الشعر والموت

في فيلم "زوج حلاقة الشعر" (1990) يمد ليكونت تجربته على استقامتها ويعمقها أكثر. هذا أيضا فيلم عن الحلم المستحيل بتحقيق السعادة الأبدية، عن تلك الرغبة القديمة الكامنة داخل كل منا لبلوغ السعادة المطلقة التي لا يقف أمامها ولا حتى الموت. يبدأ الفيلم في الزمن المضارع، وبطل الفيلم "أنطوان" يسترجع مسار حياته بعد أن بلغ خريف العمر. في لقطات قريبة يتحدث مباشرة إلينا بينما ينفث دخان السجائر واحدة تلو الأخرى، ويعود بذاكرته إلى طفولته، عندما كان يقضي العطلة الصيفية مع أصدقائه على شاطئ البحر، ثم يحدثنا عن هواياته المفضلة: الرقص على أنغام الموسيقى العربية، ثم التردد على محل الحلاقة في بلدته الصغيرة، لقص شعره مبديا اهتماما غريبا بالمرأة حلاقة الشعر، وهي تداعب خصلات شعره بأناملها التي يصف لنا كيف كان يشعر أن لها سحرا لا يقاوم.

يحكي أنطوان كثيرا عن ولعه بحلاّقة الشعر، وكيف كان يستمتع بتشمم رائحة عطرها، وكيف كانت هي المفجر الأول لرغباته الحسية، وظلت بالتالي نموذجه للأنوثة. وبعد 25 عاما من البحث عن فتاة أحلامه، تقع أنظار أنطوان (جان روشفور في أداء عبقري) على "ماتيلدا" حلاقة الشعر، فيتقدم ويقتحم محل الحلاقة الذي تعمل به، ويطلب منها قص شعره، ثم يسرح بخياله متأملا في جمال وجهها، وابتسامتها الساحرة، وجسدها النحيل الرشيق. وفجأة يتطلع إليها ويعرض عليها أن تتزوجه. تتراجع المرأة في دهشة وتصمت، ويخرج هو متعثرا مرتبكا، ثم يعود قبل مرور أسبوعين، لكي تفاجئه بأنها قبلت عرضه للزواج. ويتزوج الاثنان في محل الحلاقة، وتبدأ بعد ذلك رحلة الزوجين للبحث عن السعادة.

يعيشان معا عشر سنوات، يتذوقان خلالها طعم الحب والسعادة كأجمل ما يكون، وتكاد حياتهما تنغلق تماما على محل الحلاقة، فهو يصبح عالمهما الخاص، لكن قسوة الزمن وفكرة النهايات بالموت تسيطر عليهما دون أي حديث مباشر في الموضوع.

تزور ماتيلدا صاحب محل الحلاقة الأصلي في دار المسنين، فتعرف أنه ترك لها دكان الحلاقة مفضلا العيش هناك بإرادته في انتظار الموت القادم، ومن خلال بعض التفاصيل والشخصيات الأخرى، تترسخ فكرة الفراق المحتوم بين البشر وانعدام القدرة على مواصلة السعادة في الحياة.. إلى أن يأتي الفراق بالموت اختيارا، فماتيلدا لا تعود أبدا إلى أنطوان بل تفضل الانتحار وهي في قمة الشعور بالسعادة.

يروي المخرج لوكونت هذه القصة الرومانسية الرقيقة بلغة أقرب الى الشعر، فهو لا يشرح ولا يفسر، لا يستطرد ولا يستخدم الحوارات الطويلة المرهقة، وإنما يحيط شخصيات فيلمه بهالة من الغموض المقصود، كما لو كان يمنحها بعدا رمزيا أسطوريا. ويلعب شريط الصوت دورا في إثراء الفيلم، وكما كانت الموسيقى العربية معبرا عن التحرر في "السيد إيير" هنا أيضا يستخدم ليكونت مزيجا من الغناء من مصر وتونس والمغرب واليمن، للتعبير عن لحظات التحرر والمرح والانطلاق. وتتكرر فكرة ولع الرجل بتشمم عطر المرأة، وفكرة البحث عن السعادة المستحيلة الدائمة، وفي كلا الفيلمين يقع الفراق بالموت. وهذه الفكرة المغرقة في رومانسيتها الحزينة، هي "الموتيفة" التي تدور حولها معظم أفلام باتريس ليكونت.

باتريس ليكونت شاعر السينما الفرنسية من دون ادعاء ولا تصنع

بطل «زوج حلاقة الشعر» يحقق حلم طفولته بالزواج من الحلاقة الحسناء

فيلم «الرجاء عدم الإزعاج» حقق أكبر نجاح جماهيري عرفه ليكونت في تاريخه الفني

مراكش مدينة تحتمي بتراثها من العولمة

ساحة جامع الفنا فضاء يجمع خليط بشر من مختلف أنحاء العالم

❑ **مراكش (المغرب)** – تعد مدينة مراكش مثالا نابضا بالحياة للمدينة المغربية التراثية بمبانيها التقليدية الحمراء التي تقف كشواهد على طابعها التقليدي الصامد المتمثل في بيوتها وأسوارها وأسواقها وحواريها وأزقتها بل وحتى منتوجها المحلي، فاليوم وفي الوقت الذي يزداد فيه القلق والتشنج من مظاهر العولمة، تعمل مراكش على إبراز القيم الروحية للتراث وتسليط الأضواء عليه .

وتشكل ساحة جامع الفنا أشهر المواقع السياحية في المدينة التي كانت – عاصمة للدولة المرابطية ثم للدولة الموحدية– فضاء شعبيا للفرجة والترفيه باعتبارها القلب النابض لمراكش ووجهة للزوار من كل أنحاء العالم الذين يتوقون لأن تطأ أقدامهم هذه الساحة نظرا لصيتها الشهير، الذي اكتسبته من عروض مشوقة لمروضي الأفاعي ورواة الأحاجي والقصص، يفترشون أرضها إلى جانب موسيقيين متعددين يعزفون ألحانهم التراثية مترافقين مع راقصات وراقصين يلوون أجسادهم في رقصات مغربية تقليدية، ما يشد السائح ويجعله يقف مذهولا أمام لوحات بصرية ممتدة من أطراف الساحة المجاورة لجامع "الفنا" إلى جميع جنباتها .

وتختزل مظاهر الفرجة الشعبية تراثا غنيا وفريدا يعرّف الزوار، ليس فقط، بإرث هذه المدينة العريقة بل بالإرث المغربي العريق بشكل عام، فبمجرد الوقوف وسط

> يمتاز المطبخ المغربي بالطواجن التقليدية مثل طاجين المقفول وطواجن الدجاج فضلا عن طواجن لحم الخروف مع الزبيب، وطواجن لحم البقر مع الفواكه المجففة

ساحة جامع الفنا في الحي المراكشي محاطا بخليط من البشر من مختلف أنحاء العالم، ترى حواة يرقصون حيات الكوبرا التي نزعت منها أسنانها وبهلوانات ومشعوذين وسحرة، كما يتجمع عدد مهول من الناس على شكل حلقات حول الوشامين بالحناء والذين ينقشون أجسامهم بما يريدون من رسمات وبسعر زهيد مقارنة بعملات بلادهم .

وعلى جنبات الساحة، تتوزع محال في مجملها تمثل السوق الرئيسي، وهو واحد من أكبر الأسواق الحرفية في العالم حيث يجد الزائر الأثواب والعباءات المغربية التقليدية إلى جانب البضائع الجلدية والمشغولات النحاسية، والمجوهرات والسجاد، وأيضا كثير من التوابل التي تعد أساسية في الأطباق المغربية وتفوح رائحة الزعفران والكمون والفلفل الأسود والثوم العجمي إضافة إلى ورد البرتقال ما يشكل خليطا من الروائح تزكم أنوف العابرين، وتدفع بعضهم لشراء كميات من هذه (البهارات) لأخذها معهم ضمن ما تحويه حقائبهم من خيرات المغرب، كما تعد المكسرات والفواكه الجافة من المواد المنتشرة بكثرة في واجهات المحال.

وتعتبر الأطباق التقليدية المغربية التي تشتهر بها مدينة مراكش من بين العوامل الأساسية التي تستقطب السياح الأجانب للقدوم إلى مراكش، لا سيما أنها الأطباق الأكثر شهرة في العالم والتي تتفنن في تقديمها مختلف المطاعم سعيا منها إلى اجتذاب أكبر عدد ممكن من السياح من عشاق الأكل المغربي المتنوع والمراكشي خاصة.

وتقدم معظم المطاعم سواء الشعبية أو التقليدية وحتى العصرية تشكيلة من الأطباق الشهية التي تختلف وتتنوع بنكهاتها وبهاراتها الرائعة، ولا يمكن أن تجدها إلا في الأسواق المغربية من قِبل طاقم مطبخي يسهر على الإبداع والابتكار في مختلف المكونات لتقديم أجود الأطعمة والمأكولات المغربية.

ويقبل السياح بشكل كبير على تلك الأطعمة مستغلين فترة تواجدهم في المدينة الحمراء للتعرف على المطاعم المتخصصة في تقديم أجود الأطباق المراكشية التقليدية وتذوقها، والتي تعتبر من رموز الثقافة المغربية التي لا بد من التعرف عليها واكتشافها.

وتتنوع تلك الأطباق بين الطواجن التقليدية مثل طاجين المقفول وطواجن الدجاج مع الزيتون والبصل، فضلا عن طواجن لحم الخروف مع الزبيب، وطواجن لحم البقر مع الفواكه المجففة مثل البرقوق والمشمش والأناناس، إضافة إلى أطباق البسطيلة بالسمك والدجاج وأنواع أخرى من السلطات المغربية المميّزة.

هذا بالإضافة إلى تقديم الطبق الأكثر شهرة في العالم وهو طبق الكسكسي مع 7 أنواع مختلفة من الخضروات، إضافة إلى الطنجية التي تعد طبقا تقليديا لا يمكن أن تجده إلا في مطاعم مراكش ولا يتخصص في إعداده إلا طباخ من أصول مراكشية، إذ أن له تقنيته الخاصة في إعداده، والتي لا يمكن إغفال أي تفصيل صغير منها حتى لا ينتزع الطبق.

وتعد مطاعم مراكش بأطباقها اللذيذة والمتنوعة، بين التقليدية المغربية عامة والمراكشية خاصة، من الأسس الكبيرة التي تعتمد عليها السياحة في هذه المدينة كون المطبخ المغربي من أغنى المطابخ العالمية التي أصبحت تلقى إقبالا كبيرا من طرف السياح من مختلف الجنسيات، ما جعل مطاعم مراكش، سواء التقليدية التي ينتشر معظمها في المدينة العتيقة أو العصرية الموجودة في مختلف أحياء المدينة الراقية أو حتى المطاعم الشعبية والتي تنتشر على طول ساحة جامع الفنا، تجدد وتتفنن على جميع المستويات لتوفير وتقديم الخدمة الجيّدة للزوار ومنحهم الفرصة التي يبحثون عنها لتذوق مختلف الأطباق المميزة.

ومن أطباق الحلويات التقليدية "كعب الغزال"، الذي يقدم في معظم المطاعم مرفوقا بكؤوس الشاي المغربي على غرار العادات والتقاليد المغربية، التي لا يمكن أن تتغير، إذ تعد من الأساسيات التي تنهض بالمجال السياحي على صعيد مدينة مراكش.

■ للسياح آراء

قطار اسكتلندا يسحر الألباب

❑ **إدنبرة** – ذاعت شهرة أفلام هاري بوتر بفضل أجواء الإثارة والسحر والغموض التي تمتاز بها، ويظهر فيها القطار البخاري "جاكوبايت ستيم ترين" باسم القطار السريع "هوغورتس إكسبريس".

ويتيح هذا القطار السياحي، الذي يعتبر آخر قطار يعمل بالبخار في اسكتلندا، فرصة الاستمتاع بالمناظر الطبيعية في المرتفعات بالمنطقة الواقعة بين فورت ويليام ومنطقة مالبغ، ويجتذب هذا القطار السياح من مجتمع الصفوة والمشاهير.

ومن المشاهد الرائعة خلال هذه الرحلة عندما يشاهد السياح القطار متوقفا في محطة السكك الحديدية بأكبر مدينة تقع على المرتفعات الغربية في اسكتلندا، ويصدر عنه صفير وضجيج بينما يتساقط بعض رذاذ الأمطار، وتخيم فوق رؤوس السياح بعض السحب الدخانية المنبعثة من الجرار، ويصعد أغلب السياح على متن القطار قبل فترة طويلة من انطلاق صفارة بدء السير.

وتنطلق رحلات القطار من أواخر فصل الربيع حتى الخريف لتقطع مسافة 40 ميلا على المرتفعات الغربية في اسكتلندا بين فورت ويليام ومنطقة مالبغ، التي تعتبر واحدة من قرى الصيادين الغربية في بريطانيا.

ونظرا إلى أن هذه القرية لا تضم الكثير من عوامل الجذب السياحي، فإن السياح يكتفون بالإقامة فيها لمدة ساعة ونصف لمشاهدة جميع المنازل أكثر من مرة، علاوة على أنه يمكنهم الوصول إلى مكان يضم العديد من مطاعم الأسماك في وقت قصير للغاية بعد وصول القطار "جاكوبايت".

● **فابريس من جنيف:** يجوب القطار منطقة رائعة ويمر قرب تجمعات المياه العذبة والمالحة ويصعد الجبال العالية وينطلق وسط الوديان الواسعة ويجتاز الممرات الضيقة، وبعد مغادرة فورت ويليام تظهر حركة في القطار، حيث تعلن الدليلة السياحية عن مرور القطار بأكثر المناطق إثارة أثناء الرحلة، وتطلب من السياح فتح النوافذ حيث يمر القطار على جسر بطول 380 مترا قبيل الوصول إلى محطة غلينفينان.

● **كريس من بلجيكا:** في رحلتك عبر القطار تتجسد أفلام الكاوبوي التي تابعتها كثيرا حيث تشبه مقصورة القطار التاريخية أفلام هوليوود وتمتاز العربات الأخرى بتصميم إسبارطي إلى حد ما. ولا يزال القطار محتفظا بطابع الفخامة والرقي كما كان الحال قبل عقود عديدة، ويتم تقديم الشاي والكعك للسياح خلال الرحلة التي تمتد على مسافة 60 كيلومترا وتمر عبر بحيرة صغيرة تظهر بشكل مختلف كل يوم حسب الظروف الجوية وحسب أوقات اليوم.

● **فلونسا دليلة سياحية:** يأتي السياح المغرمون بالسكك الحديدية من جميع أنحاء العالم للجلوس في القطار التاريخي، الذي يضم سبع عربات تحمل الطاقم الفني والسياح عبر طريق غير معتاد يجوب المرتفعات الاسكتلندية الفريدة من نوعها. وبعد ظهور هذا القطار في سلسله أفلام هاري بوتر الشهيرة، أصبح يستهوي الأفواج السياحية أيضا من عشاق السحر والمغامرة.

■ أين تذهب

منتجع «ألتو تيسينو» السويسري كرم الضيافة في الأماكن البكر

❑ **جيورنيكو (سويسرا)** – يبدو القطار مثل الحافلة العامة الشهيرة بلندن ذات الطابقين ولكن تم ثني جانبيه بصورة غريبة ليصبح على شكل يعرف في الرياضيات باسم "شبه المنحرف".

إنه في الحقيقية قطار ريتومبان أحمر اللون وهو أشد السكك الحديدية المعلقة انحدارا في العالم، حيث يصعد جبال الألب حاملا الزوار. ويصعد القطار لمسافة 800 متر بدرجة انحدار تثير الدوار، ويكون معدل الصعود سريعا وبالتالي تتسع معالم المناظر الطبيعية، وسرعان ما تبدو السيارات المندفعة على الطريق السريع مثل عربات اللعب الصغيرة، حيث تنطلق هذه السيارات بسرعة دون أن يسمع لها صوت متجهة إلى الشمال أو صوب البحيرات الإيطالية الشمالية.

ويحفل كانتون ألتو تيسينو السويسري الذي يطلق عليه أيضا اسم تيسينو الشمالي وهو منتجع سياحي بالعديد من الوديان البرية المنعزلة وبالأماكن الرائعة. ومن المعتاد النظر إلى المنطقة الشمالية من هذا الكانتون كمجرد موقع للمرور والانتقال إلى مكان آخر أو كجزء من سويسرا يتم تجاهله. غير أن المسافة الممتدة والتي يبلغ طولها 60 كيلومترا وتمر بمناظر طبيعية بديعة بين ممر جوتهارد الجبلي في قلب الألب وبين مدينة بيلينزونا الجميلة وهي عاصمة كانتون تيسينو وتوجد فيها مجموعة من أبراج وشرفات الحصون تشكل "إيطاليا صغيرة" تستحق الزيارة تماما.

وتتألق أشجار النخيل في الوديان تحت أشعة الشمس، وتمتد أيضا على مرمى البصر مراع تسودها السكينة وبحيرات صافية كالبلور إلى جانب السهول الخضراء التي يسهل استكشافها في ليفينتينا وبلينو وريفيرا، هذا إذا لم نذكر العديد من المعالم الثقافية الريفية.

ويعد كرم الضيافة من المسلّمات في هذه المنطقة كما أن معالم الجذب المتعلقة بالأطعمة كثيرة جدا، ويعد المطبخ في المنطقة نقطة جذب للزوار في حد ذاته خاصة الأطباق الشهية مثل "بروسيتو ديل ألب" وهو طبق من اللحم المدخن يماثل نفس النوعية التي تقدم في مدينة بارما الإيطالية. وتعد ألب بيورا أكبر منطقة لمروج جبال الألب في كانتون تيسينو ويعد المكان المثالي لتربية المئات من الخنازير في هدوء داخل حظائر خشبية جيدة التهوية، ويقوم الزوار الذين يقضون عطلاتهم وكذلك السكان بشراء منتجات المزارعين في ألب بيورا وغيرها من المروج المرتفعة من متاجر تقع بالشوارع الضيقة في الحي القديم من مدينة بيلينزونا. ويمكن للزوار أيضا أن يقوموا بجولة يطرقون خلالها أحد أبواب الحانات التقليدية المعروفة في المنطقة باسم "جروتو".

■ مواعيد سياحية

◄ الأقصر تفتح مقابرها الفرعونية ليلا

■ سلطات محافظة الأقصر التاريخية بصعيد مصر، تشرع في الإعداد لافتتاح مقابر ملوك وملكات ونبلاء ونبيلات الفراعنة في غرب المدينة أمام السياح ليلا، وذلك للمرة الأولى في تاريخ المدينة الغنية بمعابد ومقابر وكنوز المصريين القدماء.

◄ متحف للحيوانات المحنطة في جبل لبنان

■ افتتح قرب مغارة جعيتا الشهيرة في لبنان متحف للحيوانات البرية والبحرية المحنطة الذي يصفه القائمون عليه بأنه فريد في لبنان والمنطقة العربية. ويضم المتحف نحو ألفي نوع من الحيوانات البحرية والبرية المحنطة جمعها وحنطها طبيب الأسنان جمال يونس جنوب لبنان.

◄ جنيف تروج لمقوماتها السياحية في دبي

■ هيئة جنيف للسياحة تعلن مشاركتها مرة أخرى في فعاليات سوق السفر العربي الذي ينطلق في 4 مايو 2015، وتخطط للتركيز على تسويق المدينة كوجهة متميزة للسفر إلى أغراض الترفيه والعمل. وقال فيليب فينيون، المدير العام لهيئة جنيف للسياحة: تستقبل المدينة الزوار من منطقة الخليج العربي منذ بضعة عقود.

◄ مهرجان يتحدى الإرهاب بسبيطلة التونسية

■ جمعية "سنا سفيطلة" بمحافظة القصرين، غربي تونس تنظيم الدورة الأولى لمهرجان "تراثنا هويتنا"، تحت شعار "تقاسيم عربية في أرضنا التونسية"، ورغم تكرار الأعمال "الإرهابية"، التي تشهدها محافظة القصرين غربي تونس، في الجبال المحيطة بها، تحاول جمعيات أهلية محلية تنظيم تظاهرات ثقافية على سفوح تلك الجبال، تحدّيا للإرهاب.

◄ تنمية السياحة الداخلية في السعودية

■ تقرير جديد لمعرض تجهيزات الفنادق المملكة العربية السعودية 2015 يكشف عن توقعات بأن تشهد أكبر مدينتين في المملكة الرياض وجدة زيادة 16 ألف غرفة فندقية بحلول عام 2018. من بين هذه الغرف تمثل نسبة تزيد على 50 بالمئة جزءًا من مشروعات تطوير لفنادق جديدة 5 نجوم، ومن المتوقع زيادة عدد الغرف في جدة بحوالي 2700 غرفة فندقية عام 2015 فقط.

نفورنا من الروبوت الشبيه بالبشر لا يكفي لمقاطعته

«هان» إنسان آلي يستقبل الزائرين ويحاورهم في معرض تكنولوجي بهونغ كونغ

أصبح الروبوت يعيش بيننا نجده في كل المرافق ويقدم لنا الخدمات، فهو في منازلنا ومدارسنا وأسواقنا وسياراتنا، إنه في كل مكان نذهب إليه. فهو يجيب على مكالماتنا الهاتفية ويفتح لنا الأبواب، يضيء لنا الأضواء ويضمن بقاءنا في حالة دفء أو برودة كافية. إنه يبيعنا الطعام والمشروبات، لكن ماهي مشاعرنا تجاهه؟

❏ **طوكيو**- خلال استقبال الزوار في معرض إلكتروني بهونغ كونغ، كان هناك إنسان آلي على شاكلة البشر وله نفس تعبيرات وجه الإنسان.

الإنسان الآلي واسمه (هان) يمكن أن يتبادل أطراف الحديث مع الزوار وبلمسة زر عن طريق استخدام تطبيق على الهاتف المحمول، يمكن لهان أن يبتسم ويجفل ويعبس ويغمز بعينه بل يبدو مخمورا أيضا.

ويقول الخبراء إن الروبوت الشبيه بالإنسان قطع خطوات طويلة للتعايش مع البشر في أنشطة يومية مثل مساعدة كبار السن والتدريب العلاجي ومنح الأدوية للمرضى أو مجالسة الأطفال في المنزل.

وتقول جريس كوبيلستون مديرة الإنتاج بشركة هانسون روبوتيكس، إن نحو 40 محركا تسيطر على وجه هان ليظهر أدق التعبيرات.

وقالت كوبيلستون "هان موجود فعلا لا لمجرد إتيانه بتعبيرات وجه واقعية جدا بل هو يتفاعل مع البيئة المحيطة. لديه كاميرات في العينين والصدر بما يتيح له التعرف على وجوه الناس بل يعرف لأي جنس ينتمون وأعمارهم وما إذا كانوا سعداء أم تعساء؟."

ويرى بعض علماء النفس أنه غالبا ما يثير الروبوت أو شخصيات الرسوم المتحركة الشبيهة بالبشر إحساسا بالخوف لدينا، إلا أن تأثيرها على عقولنا يكون أكثر تعقيدا مما قد نظن.

ويقول بيل غيتس "أنا من الذين يعتريهم القلق من آفاق تطور العقل الاصطناعي. قد يقوم الروبوت ومنتجات العقل الاصطناعي أولا بأداء بعض المهام بدلا منا، شرط ألا تمتلك عقلا اصطناعيا من طراز 'سوبر'. وهذا جيد إذا أجدنا التحكم فيها. لكن بعد مرور بضعة عقود سيتطور العقل الاصطناعي إلى درجة ستثير قلقا بيننا".

> بيل غيتس «قد يقوم الروبوت ومنتجات العقل الاصطناعي أولا بأداء بعض المهام بدلا منا، وهذا جيد إذا أجدنا التحكم فيها، لكن بعد مرور بضعة عقود سيتطور العقل الاصطناعي إلى درجة ستثير قلقا بيننا»

وخلال المعرض العالمي للموارد الإلكترونية قدم هان عدة عروض وتبادل أطراف الحديث مع بعض الزوار. ضحك معه رجل أعمال هندي من مومباي قائلا "أعتقد أنك الرجل المناسب لزوجتي" فرد عليه هان قائلا "لن أفعل كل ما تمليه عليّ.. لي حريتي الخاصة."

وقال زائر آخر وهو رجل أعمال صيني عن الإنسان الآلي "يمكنه أن يغمز ويغازل. هذا شيء ساحر.. إنه مصنوع بشكل جيد."

ومن مميزات هان الملحوظة "بشرته" التي تشبه الإنسان والمصنوعة من البوليمر المطاط وهي مادة كيمائية لها براءة اختراع تعرف باسم فلابر والاسم يمزج بين المقطع الأول بالإنكليزية لكل من كلمتي لحم ومطاط.

في حين أنه من المعروف أن سمات الوجه والجسم غير الطبيعية يمكن أن تدفع بعض الناس لتجنب الآخرين، ويؤمن بعض الباحثين بأن التصميمات الاصطناعية الشبيهة بالإنسان، تثير أعصابنا بشدة.

ويقول كارل ماكدورمان الذي يعمل حاليا بجامعة إنديانا في مدينة أنديانابوليس، إننا نشعر بعدم الارتياح لأن الروبوت الشبيه بالبشر يبدو ميتا، ومن ثمة فإنه يذكرنا بفنائنا المنتظر.

ولاختبار هذه الفرضية، استخدم ماكدورمان ما يدعى بنظرية التحكم في الرعب، وتقول هذه النظرية إن الأشياء التي تذكرنا بالموت تتحكم في كثير من سلوكياتنا؛ كأن تدفعنا للتشبث أكثر بالجوانب التي تشكل رؤيتنا الخاصة للعالم، مثل المعتقدات الدينية.

وفي تجربة واقعية أخرى وقفت آيكو تشيهيرا مبتسمة وهي ترتدي الكيمونو الياباني التقليدي تستقبل المتسوقين في متجر ميتسوكوشي بالعاصمة اليابانية طوكيو، لكنها لم تكن من موظفات المتجر العاديات بل هي إنسان آلي.

كان هذا أول ظهور علني لهذه الإنسانة الآلية التي تشبه البشر التي طورتها توشيبا العام الماضي في تجربة جديدة للتفاعل مع الزبائن.

وتتحدث تشيهيرا اليابانية ولها قسمات وجه البشر وتطرف بعينيها كما يمكن أن تبرمج أيضا لتتحدث بلغات أخرى مثل الصينية.

وقالت توشيبا إن تشيهيرا لديها 43 محركا يمكنها من الحركة، كما أنها مبرمجة لتتحدث لغة البكم.

وبدأ الباحثون في مراقبة النشاط المخي للأفراد وهم يعرضون عليهم مشاهد مصورة لروبوت آلي وإنسان وأندرويد شبيه بالإنسان.

ويشير باحثون إلى احتمال كون مشاعر الخوف التي تولدها مشاهدة الروبوت الشبيه بالإنسان ناجمة عن المجهود الزائد الذي يبذله المخ في محاولة التوفيق بين حركات الروبوت والسلوك الذي يشبه السلوك البشري الذي يتوقعه بسبب مظهر الروبوت الخارجي.

تحليل مستوى الأمن والاستقصاء مفتاح كشف أنشطة الهاكرز

❏ **أبوظبي** – قالت شركة أربور نتوركس، إن حلول استقصاء التهديدات وتحليلات الأمن هي المفتاح الأساسي لمساعدة مدراء تقنية المعلومات في الكشف عن الأنشطة التي يحتمل أن تكون خبيثة في الشبكة.

وقدمت أربور نتوركس نظرة عميقة على الاتجاهات السائدة حاليا في سوق أمن تقنية المعلومات، واستقصاءات التهديدات التي تتعرض لها الشبكات في الشرق الأوسط، والتغيرات الحادة على الشبكات حاليا، وتأثيرها على تجربة المستهلك.

ونصحت أربور نتوركس مدراء تقنية المعلومات بالاعتماد على استقصاءات عالمية فعالة للتهديدات للعمل مسبقا على "مطاردة" علامات الاختراقات والانتهاكات قبل أن تؤثر فعلا على أعمال الشركات.

ووفق أحدث تقرير عن اتجاهات أمن تقنية المعلومات في الشرق الأوسط، كشفت الشركة عن مقادير الإنفاق المحتمل على أمن تقنية المعلومات في المنطقة، وأبرزت أهم نقاط المخاوف التي تثير قلق متخصصي تقنية المعلومات من ناحية التهديدات الأمنية الحالية والمستقبلية. وبينت أن الاستمرار في الاستقصاءات الأمنية الفعالة، التي لا تكشف عن الهجمات فحسب، بل تفهم وتصنف البنية التحتية للهجمات والأساليب والمؤشرات الأخرى المتعلقة، بحيث تتيح اتخاذ التدابير المناسبة على نطاق أوسع، وباستباق أكثر بثقة كافية.

وأكد محمود سامي، المدير الإقليمي في أربور للأسواق عالية النمو على أهمية اتباع أساليب مناسبة للحماية من هجمات حجب الخدمة، للتغلب على طيف تهديدات حجب الخدمة التي نراها اليوم، فقال "لا يشير اتجاه هجمات حجب الخدمة إلى رياح مواتية للشركات لأن حجم هذه الهجمات ينمو باضطراد، فضلا عن ازدياد تكرار هجمات التضخيم/الانعكاس، ما يضيف طبقة أخرى من التعقيد. وتستخدم هجمات حجب الخدمة الحديثة اليوم مجموعة من عوامل الهجمات الحجمية، مع إجهاد حالة "تيس ي بي"، والهجمات على مستوى طبقة التطبيقات. ويوفر حل "أربور كلاود إس إم دي دي أو إس بروتكش فور إنتربرايز" خدمة تنقية حركة البيانات بالاستناد إلى السحابة ويتكامل مع حلول الدفاع ضد هجمات حجب الخدمة الموجودة ضمن مباني الشركات. ويعد النهج متعدد الطبقات للحماية من هجمات حجب الخدمة حل لا غنى عنه للمؤسسات للدفاع ضد تهديدات هجمات حجب الخدمة الموجودة اليوم، فعبر هذه الحماية متعددة الطبقات تقدم أربور حل شاملا ورائدا على مستوى هذا القطاع لحماية الشركات من هجمات حجب الخدمة.

وقد ركز المؤتمر أيضا على المؤسسات بلا حدود، وكيف يؤدي توسعها إلى زيادة الصعوبات أمام أقسام تقنية المعلومات لتحافظ على مستوى تجربة المستهلك وأعمال موظفيها ضمن حدود الجودة ذاتها.

«إنترنت الأشياء» يساهم في إحداث ثورة تجارية

❏ **لندن** – توقعت تقارير دولية أن عدد الأجهزة التي تتصل بالإنترنت سوف يتضاعف أكثر من مرة ليصل إلى 50 مليارا بحلول العام 2020، مقارنة بحوالي 15 مليار جهاز في العام الجاري، وهو ما يمكن أن يساهم في زيادة حجم الإيرادات وانخفاض التكلفة الناتجة عن الربط بين الشركات والمصانع إذا ما تم التوسع في استخدام شبكات الإنترنت لتشمل الربط بالمخازن والشحن والنقل وغيرها من عناصر الخدمات اللوجستية، فيما يعرف باسم "إنترنت الأشياء".

ويمكن تعريف "إنترنت الأشياء" بأنه "ربط كل شيء من الطرود إلى الأشخاص بشبكة الإنترنت من خلال تكنولوجيا الاستشعار"، ممّا قد يؤدي إلى إحداث ثورة في العمليات التجارية من حيث القيمة الكلية لتصل طبقا للتحليل الاقتصادي لسيسكو إلى 8 تريليون دولار في العالم من خلال خمس محاور رئيسية هي الابتكارات والإيرادات (2.1 تريليون دولار) واستخدام الأصول (2.1 تريليون دولار) وسلاسل الإمداد والخدمات اللوجستية (1.9 تريليون دولار) وزيادة إنتاجية الموظفين (1.2 تريليون دولار) ودعم خبرة المواطن والعميل (700 مليار دولار).

جاء ذلك في التقرير الذي أصدرته "دي إتش إل"، إحدى الشركات العالمية الرائدة في مجال الخدمات اللوجستية، و"سيسكو سيستمز"، إحدى أكبر الشركات العالمية في مجال تكنولوجيا المعلومات، تحت عنوان "إنترنت الأشياء في قطاع الخدمات اللوجستية" والذي تم الإعلان عنه على هامش مؤتمر "الوصل بين الأسواق والاتجاهات والأشخاص"، بحضور أكثر من 150 مديرا من شركات رائدة في قطاع التكنولوجيا.

وقال كين ألين، الرئيس التنفيذي دي إتش آل إكسبريس "نؤمن بقوة بالقوى الإيجابية للتجارة العالمية إلا أن تقرير مؤشر الترابط العالمي لعام 2014، يكشف عن أن مستوى الترابط العالمي بشكل عام لا يزال محدودا"، مؤكدا أنه توجد إمكانية كبرى لزيادة الترابط بين الدول وازدهارها من خلال التجارة والتكامل والتكنولوجيا، من خلال "إنترنت الأشياء".

جديد التكنولوجيا

❏ "سوني" تزيل الستار عن هاتفها الذكي إكسبيريا "زاد 4" الجديد، موضحة أن الجهاز الفاخر الجديد لا يختلف كثيرا عن الموديل السابق من حيث المظهر الخارجي، إلا أنه يأتي في جسم أنحف بعض الشيء بسُمك يبلغ 6.9 ملم. وتشتمل باقة التجهيزات التقنية على معالج ثماني النوى وذاكرة وصول عشوائي سعة 3 غيغابايت.

❏ "واتس آب" تعلن عن إطلاق إصدار تجريبي لأجهزة أندرويد يعتمد على لغة التصميم "ماتيريال ديزاين"، التي طرحتها شركة غوغل مع إطلاق نظام التشغيل أندرويد "لولي بوب". وأوضحت الشركة الأميركية أنها قامت في الإصدار التجريبي من تطبيق التراسل الفوري الشهير بمواءمة بعض عناصر الاستعمال مع اللغة التصميمية الجديدة من شركة غوغل، حيث يتمتع الإصدار الجديد بواجهات مختلفة عن السابق.

❏ شركة "غارمن" تعلن عن إطلاق كاميرات أكشن جديدة لتلبية رغبات الرياضيين وعشاق المغامرة والإثارة. وأوضحت الشركة أن كاميرا الأكشن "فيرب إكس" يمكنها تسجيل مقاطع الفيديو بالدقة الفائقة الكاملة بما يصل إلى 30 صورة في الثانية. وأضافت الشركة أن باقة التجهيزات بالموديلين تشتمل على وحدة النظام العالمي لتحديد المواقع الـ"جيب ي أس" بداخل جسم قوي مقاوم للصدمات ويتحمل الغوص في الماء حتى عمق 50 مترا. علاوة على وجود العديد من المستشعرات المختلفة لرصد البيانات مثل قوى التسارع وبيانات الارتفاع والسرعة.

❏ موقع "تويتر" يعلن إجراء تعديلات على طريقة العمل بالرسائل الخاصة بين المستخدمين وتسهيل شروط إرسالها. وسيعرض الموقع على مستخدميه إمكانية تلقي رسائل من مستخدمين لا يتبعونهم للراغبين منهم في ذلك. وشرح المسؤولون، إن أردتم مثلا بعث رسالة مباشرة لمتجر المثلجات لتقولوا له إنكم تحبون طعاما.

❏ "هواوي" تكشف عن هاتفها الذكي "بي 8" الفاخر الجديد. ويأتي الهاتف الجديد في جسم أنيق من المعدن المصقول بسُمك 6.4 ملم، وينبض بداخله معالج ثماني النوى وذاكرة وصول عشوائي سعة 3 غيغابايت وذاكرة داخلية سعة 16 غيغابايت يمكن زيادتها إلى 128 جيغابايت عبر بطاقة "أس دي". ويزخر الهاتف الفاخر الجديد بشاشة "أي بي أس" قياس 5.2 بوصة، وكاميرا رئيسية بدقة 13 ميغابيكسل ذات مثبت صورة بصري وفلاش "ليد" مزدوج ثنائي الألوان وذي معالج خاص للصور، بالإضافة إلى كاميرا أمامية بدقة 8 ميغابيكسل.

لياقة المستجدين أفضل ممن استأنفوا الرياضة بعد التوقف

آثار الانقطاع عن التمارين تظهر سريعا في اللياقة الهوائية

أظهر الباحثون أن الانقطاع عن ممارسة الرياضة يفقد الجسم اللياقة المكتسبة ويضعف قدرته على تحمل تمارين المقاومة كالجري والسباحة وركوب الدراجات، وشددوا على أن لياقة المستجدين أفضل بكثير ممن استأنفوا التدريب، وأن استعادة اللياقة يتطلب تدرجا دقيقا وطويلا يأخذ بعين الاعتبار المستوى البدني ونوع التمارين.

لندن – خلال إحدى الدراسات، استطاع المستجدون ممن شاركوا في برامج ممارسة رياضة ركوب الدراجة لمدة شهرين تحقيق تحسن كبير في الأداء الوظيفي للقلب والأوعية الوريدية وتطور قدرتهم في ممارسة التمارين الهوائية بشكل مستدام. وتوقف المشاركون في الدراسة عن ممارسة التمارين لمدة شهرين وفقدوا كل ما اكتسبوه من قدرات في ممارسة التمارين الهوائية والتمارين المنشطة للدورة الدموية.

ينتج عن أي تعطل عن ممارسة التمارين الرياضية ما يسميه خبراء اللياقة "آثار الانقطاع عن التمارين الرياضية"، وهو فقد اللياقة المكتسبة خلال برنامج كامل (مثل القدرة على الجري لمسافة محددة بدون انقطاع النفس أو فقد الطاقة بعد ممارسة أحد تمارين المقاومة لعدة دقائق). ويواجه عدد كبير من الناس صعوبة بالغة في استئناف التمارين الرياضية بنفس النسق والقوة.

يقول البروفيسور جيف ليمر، الأستاذ المساعد في قسم علوم الحركة بجامعة جراند فالي بولاية ميتشيغان، إنه في حال الاحتفاظ بالشكل الرياضي دون أي زيادة في الوزن فإن ذلك يعني أن الشخص لا يزال يحتفظ بشيء من اللياقة حتى بعد فترة التوقف عن ممارسة التمارين.

> لاعب التنس الشهير الألماني بوريس بيكر واصل لعب التنس حتى بعد اعتزاله للحفاظ على لياقته الجسدية

وفي حقيقة الأمر، فإن الرياضيين الجادين الذين واظبوا على ممارسة التمارين لمدة عام يفقدون فقط نصف قدرتهم على ممارسة التمارين الهوائية بعد الانقطاع عن ممارسة التمارين لمدة ثلاثة أشهر.

ويعتمد تدهور مستوى اللياقة أيضا على نوع التمرين الذي نتعود على أدائه قبل التوقف. ولسوء الحظ فأول الأشياء التي تتدهور لدى الأشخاص الذين مارسوا رياضة الجري بانتظام بعد التوقف هو الأداء الهوائي.

وتقول خبيرة اللياقة إيمي كراولي إن آثار الانقطاع عن التمارين الرياضية تظهر بشكل سريع في اللياقة الهوائية أو اللياقة المترتبة على ممارسة التمارين الهوائية. وتضيف إيمي قائلة "عندما تتوقفون عن ممارسة رياضة الجري، انتظروا أسبوعا ثم أعيدوا ممارسة الرياضة مرة أخرى وستجدون أن الرئتين ستتألمان أكثر من الأقدام". وتضيف إيمي أن القدرة على ممارسة التمارين المنشطة للدورة الدموية والقلب أيضا، تتأثر بشكل كبير ويظهر هذا التأثير عند استئناف ممارسة الرياضات القلبية مرة أخرى.

ويستغرق بناء القوة البدنية من خلال ممارسة تمارين المقاومة وقتا طويلا أكثر من القوة المكتسبة من التمارين الهوائية، وهذه القوة تستمر مع الإنسان لفترة حتى بدون ممارسة التمارين. فقد أثبتت إحدى الدراسات التي نشرتها مجلة "طب وعلوم الرياضات والتمارين" أن الأشخاص الذين واظبوا على ممارسة التمارين لتسعة أسابيع تمكنوا من المحافظة على مكتسباتهم من القوة لمدة 12 أسبوعا بعد الانتهاء من برنامجهم الرياضي. علاوة على ذلك فإن المشاركين ممن تتراوح فئاتهم العمرية من 20 إلى 30 عاما تعرضوا لنقص بنسبة 8 بالمئة من قدرتهم على ممارسة التمارين بعد مضي 31 أسبوعا من التوقف عن ممارستها.

وبذلك يتضح أن التوقف عن ممارسة التمارين الرياضية بشكل كامل سيؤدي بطبيعة الحال إلى تضاؤل في الأداء، ولكن ممارسة التمارين الرياضية ولو ساعة واحدة لمدة أسبوع ستساعد على المحافظة على اللياقة.

وأظهرت دراسة نشرت في مجلة "علم الشيخوخة" وأجريت على أشخاص تمكنوا من إكمال ثلاث جلسات من تمارين المقاومة أسبوعيا ولمدة 12 أسبوعا، أن هؤلاء الأشخاص الذين واظبوا على ممارسة التمارين مرة أسبوعيا بعد الانتهاء من هذا البرنامج استطاعوا الحفاظ على قوتهم العضلية وعلى الحجم الذي اكتسبوه خلال البرنامج الذي استمر لمدة 12 أسبوعا. وأظهرت دراسة أخرى أنه يتعين على المرء ممارسة تمارين تنشيط الدورة الدموية والهوائية مرة كل أسبوع للمحافظة على اللياقة المكتسبة.

وفي حال الاضطرار للتوقف عن ممارسة التمارين لفترة طويلة، فإنه يتعين على الشخص العودة مرة أخرى لأنه سيصبح عرضة للإصابة عند ممارسة الرياضة والتي من شأنها تأخير عودة اللياقة البدنية. وعند التوقف عن ممارسة التمارين الرياضية لمدة أسبوعين يمكن العودة بسهولة ولكن شرط التقليل من مرات أداء التمرين وكمية الأوزان بنسبة 10 بالمئة وكلما زادت فترة الانقطاع وجب تقليل النسبة.

ويشير الباحث فليك أن الانقطاع عن التدريب يؤدي إلى تغير في تكيفات الجسم الفسيولوجية والبدنية ونقص في الإنجاز البدني والرياضي، ينتج عنه هبوط في مستوى الأداء الرياضي في الفعاليات المختلفة.

ويتفق مع هذا الاستنتاج باحثون آخرون برون أن الانقطاع عن التدريب سواء أكان انقطاعا كليا أو جزئيا فهو يؤدي إلى فقدان التكيفات التشريحية الفسيولوجية والإنجازية المرتبطة بالأداء الرياضي.

وقام باحثون بإحدى الدراسات، بهدف التعرف إلى أثر تسلق المرتفعات في بنية الجسم والتمثيل الغذائي أثناء الراحة. أجريت الدراسة على عينة مكونة من 12 شخصا، وتم قيس أوزانهم ونسبة دهونهم، قبل وبعد مدة 16 يوما من التسلق. وأظهرت نتائج الدراسة حدوث نقص في الدهون وصل إلى (2.2كغم) ووزن العضلات (1.1كغم) والتمثيل الغذائي أثناء الراحة وصل إلى 19 سعرة في اليوم الواحد.

كثير من الرياضيين الدوليين اختاروا مواصلة التمارين الرياضية حتى بعد اعتزالهم للمباريات والمنافسات الرسمية، بسبب اقتناعهم بخطورة التوقف نهائيا عن الرياضية. فعندما اعتزل لاعب التنس الشهير الألماني بوريس بيكر ممارسته الرياضية التي بدأها وعمره ست سنوات، أعلن أن ذلك لن يمنعه من اللعب لكن خارج نطاق المبارزات الدولية والمحلية. وقرر بعدها اللعب ضد منافسين له بين الحين والآخر في مناسبات خيرية بهدف الحفاظ على لياقته الجسدية. وسلكت اللاعبة الألمانية ستافي غراف أيضا نفس المسلك وتمارس الرياضة حسب تصريحاتها بشكل منتظم من أجل الحفاظ على لياقتها وصحتها وقلبها.

وضعت إحدى مؤسسات الرعاية الصحية في برلين بالاشتراك مع مجموعة من أطباء القلب دراسة تتناول مخاطر تعرض الرياضيين السابقين لأمراض القلب والدورة الدموية بعد توقفهم تماما عن ممارسة أي نوع من الرياضة.

وتوصلت الدراسة إلى أن التوقف المفاجئ للرياضي عن نشاطه الرياضي المكثف والشديد يعني تحول البطين الأيسر من عضلة قوية لضخ الدم إلى عضلة ضعيفة وقليلة الحركة. وتؤدي هذه الحالة بالطبع إلى زيادة مخاطر اضطراب النبض وتبدأ مع ذلك مشاكل القلب والدورة الدموية. وينبغي أن لا ينسى الرياضي هنا التأثير النفسي الكبير للتحول من حياة نشطة يوميا إلى حالة من الخمول.

كشف الباحثون الألمان أن الانقطاع المفاجئ لكثير من الرياضيين المشاهير وتراجع نشاطهم البدني أدخل عددا هاما منهم في دوامة من المحظورات الصحية، لعل أشدها تعاطي المخدرات والكوكايين التي يمكن أن تؤدي إلى سرعة نبض القلب والى قلة تدفق الدم إلى العضلات القلبية وإلى حدوث الجلطات القلبية عند الشباب أيضا.

10
بالمئة هي النسبة الواجب تقليلها من كمية الأوزان التي يتمرن عليها الشخص عند العودة إلى الرياضة

واعتمدت الدراسة على أمثلة كثيرة منها لاعب الكرة الأرجنتيني مارادونا الذي انصرف لسنوات إلى تعاطي المخدرات، ويقال اليوم إنه أصبح نظيفا منها. لكن تقارير طبية تشير إلى أن كفاءة ضخ البطين الأيسر عند مارادونا ما عادت تشكل سوى 20 بالمئة من قدراتها السابقة.

وتتزايد مخاطر الإصابة بأمراض القلب والدورة الدموية عند الرياضيين السابقين مع مرور الزمن. ويحدث هذا عندما ينخفض نشاط الجسد وتتغير عادات التغذية. وتترافق هذا التغييرات بالتغيرات الهورمونية، إذ تؤدي كلها مجتمعة إلى تراكم الشحم في أجزء غير محبذة في الجسم، مثل القلب وجدار الشرايين.

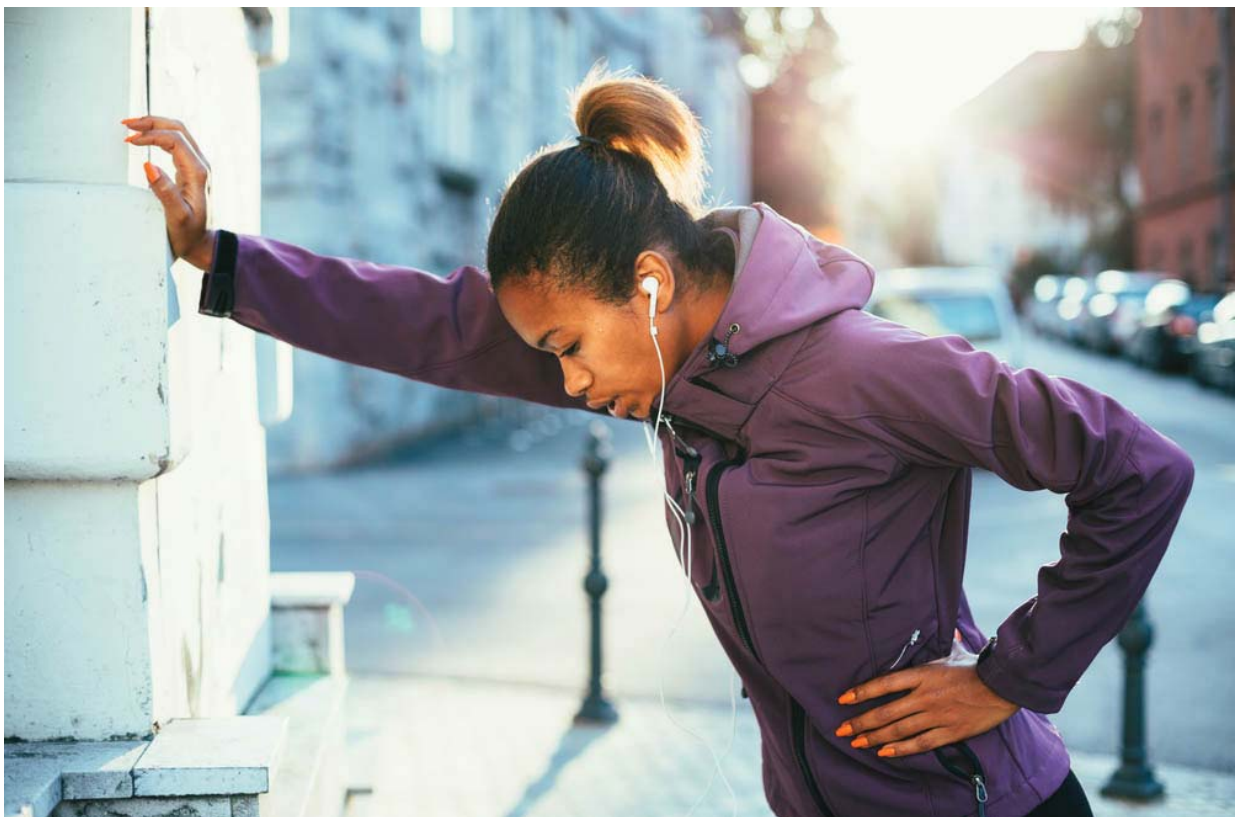

التوقف عن الرياضة يضعف القدرة على التحمل

التمارين الحركية تحمي الحامل والجنين من اكتساب الوزن

أمنية عادل

رغم أن الكثير من النساء يعتقدن أن الحركة والرياضة أثناء فترة الحمل من الممنوعات، التي قد تعرض جنينهنّ للأذى، وعدم اكتمال النمو، إلا أن الدراسات الحديثة أوصت بضرورة قيام النساء ببعض التمارين الرياضية التي تفيد الأم والجنين، والتي لا تشكل خطرا عليهما.

وأثبتت دراسة برازيلية أن ممارسة التمارين في أثناء الحمل تحقق الأمن لكل من الأم والطفل، حيث تضبط ضخ الدم وضغط الدم وتحمي انضباط ضربات القلب، كما أن التمارين المعتدلة تساعد الأم على استعادة لياقتها بشكل أسرع بعد الحمل، فضلا على أنها تجنبها اكتساب العديد من الكيلوغرامات من وزنها، والتي يصعب التخلص منها بعد الولادة.

وفي السياق، استهل استشاري أمراض النساء والتوليد بطب القصر العيني الدكتور عمرو عباسي حديثه قائلا "هناك أنواع من التمارين التي يتوجب على السيدة الحامل اتباعها، لتجنب التعب أثناء فترة الحمل، فضلا عن دورها في تسهيل عملية الولادة".

وأكد عباسي أن هناك العديد من التمارين مناسبة للحوامل ومن بينها تمرين السمانة، الذي تقف فيه السيدة على أطراف أصابعها على أن يكون خلفها حائط حتى لا يختل توازنها وتسقط، وهذا التمرين يزيد من قوة السمانة، كما يضبط الدورة الدموية وضربات القلب.

وتابع "هناك تمرين هام على الحامل القيام به أيضا أثناء فترة الحمل وهو تمرين توسيع الحوض، حيث تجلس على الأرض وتقوم بضم قدميها وتضغط على الحوض ولكن بحذر، حيث قال عباسي أن هذا التمرين هام منذ الشهر الخامس ويزيد من اتساع الحوض ما يساعد على ولادة يسيرة".

> الأطباء يوصون الحامل بممارسة تمارين المشي، لا سيما في أول 35 أسبوعا، من نصف ساعة وحتى ساعة يوميا

واستطرد "على الحامل أن تمارس تمارين المشي أيضا، لا سيما في أول 35 أسبوعا، من نصف ساعة وحتى ساعة يوميا، وهو ما يعمل على ضبط ضربات قلب الجنين، فضلا عن نمو أجهزته بصورة طبيعية".

وفقا للمتخصصين، فإن تمارين فترة الحمل تنقسم إلى ثلاث مراحل وفقا لمراحل الحمل، فالمرحلة الأولى حتى 13 أسبوعا، وبها يتم اعتماد تمارين خفيفة لثبات المولود، والثانية من 14 وحتى 28 أسبوعا، والثالثة 29 وحتى 40 أسبوعا، والتي يجب أن تكون غير عنيفة وخفيفة للحفاظ على سلامة الجنين.

فيما نصح عباسي قائلا "على السيدة الحامل إذا كانت تمارس رياضة ما قبل الحمل أن تكمل بها أثناء فترة الحمل، على ألا تكون بها نسبة عنف أو ضغط على الجنين"، فيما شدد على ضرورة تقليل نسبة الرياضة في آخر ثلاثة أشهر، حيث أن الأربطة تكون غير مستقرة وتحتاج للراحة أكثر. كما ذكر أن تمارين اليوغا والتأمل تساعد على هدوء أعصاب الحامل، وتضبط النفس مما يساعدها على سهولة التنفس أثناء الولادة الطبيعية.

على الحامل ارتداء ملابس مناسبة تسهل حركة الجسم

وحسب الأطباء، فإنه من الضروري على الحامل ارتداء ملابس مناسبة تساعدها على الحركة بصورة مريحة، فضلا عن ارتداء حذاء رياضي أثناء المشي، حتى لا تمثل ضغطا على العمود الفقري، فضلا عن شرب المياه بكثرة أثناء فترة الحمل وأثناء ممارسة الرياضة، لتعويض الجسم عما ينقصه من مياه نتيجة الحركة، كما شدد الخبراء على تجنب متابعة التمارين التي تلزم الاستلقاء على الظهر، حتى لا تسبب الدوار والغثيان.

نساء الأرياف منتجات الحياة والغذاء كادحات منسيات

المرأة الريفية تتفانى في البذل والمجتمعات العربية تتفنن في حرمانها

المرأة الريفية هي الأكثر تضررا من الفقر، ومن هشاشة العمل غير المهيكل ومن قلة التشريك في قرارات الجماعات

المرأة على مر العصور كانت وما زالت مصدرا للإنتاج في عملها سواء في البيت أو في النواحي الاقتصادية بمختلف مجالاتها، فهي المسؤولة عن تربية الأطفال ورعايتهم والمسؤولة عن المنزل وإلى جانب دورها كأم وزوجة تقوم بعملها خارج المنزل جنبا إلى جنب مع الرجل بل إن مهامها الإنتاجية تفوق مهامه أحيانا. هذا هو حال النساء الريفيات اللاتي يشتغلن في الفلاحة بنسب تفوق اشتغال الرجال فيها.

سماح بن عبادة

❏ تستيقظ عند بزوغ الفجر تعد إفطار العائلة ثم توقظ الزوج والأبناء ليجدوا كل ما يحتاجونه جاهزا، تساعد وتعد أفراد الأسرة للخروج من المنزل إما للدراسة أو للعمل، بعد ذلك تباشر النسق المتسارع لمهامها اليومية تبدأ بشؤون البيت من ترتيب وتنظيف وطبخ.. ومن ثمة تقصد عملها الذي يكون في أغلب الحالات فلاحيا فتراها تتفانى فيه وترعى الأرض والنباتات والمواشي بنفس الحرص الذي ترعى به صغارها.

هذه الخطوط العريضة لبرنامج حياتها اليومي وهكذا ترتسم صورة المرأة الريفية الأم وربة البيت والعاملة امرأة تقوم بعشرات المهام في يوم واحد وكأن لها أيادي أكثر من بقية البشر، تشتغل في المنزل وخارجه لتكسب قوتها ولتساعد في تلبية حاجيات العائلة. النساء في أغلب المناطق الريفية لهن نفس البرامج اليومية مع تفاوت بسيط، لكن الثابت أن يومهن يختتم بشعور بالرضا بأداء واجباتهن رغم الشقاء.

ريفيات المجتمعات العربية خاصة منهن المنتميات لأوساط فقيرة أو متوسطة الدخل تتكفلن بالعمل المنزلي والعمل الفلاحي، وهما من أكثر مجالات العمل إرهاقا وتكن في بعض القرى معيلات لأسرهن خاصة في الدول التي تسجل مستويات عالية من البطالة والفقر، غير أن هذه الجهود لا تقابل بالتقدير الذي تستحق لا ماديا ولا معنويا. ورغم أن تعريف الريف يظل نسبيا ومتغيرا من بلد لآخر

> التمكين الاقتصادي لنساء الأرياف ليس فقط أساسيا لتحقيق رفاههن الشخصي وتحقيق العدالة مع نظرائهن الذكور، بقدر ما هو أداة لرفاه الأفراد والأسر والمجتمعات الريفية بأكملها

إلا أنه أساسا المنطقة القائمة على الفلاحة كنشاط اقتصادي أساسي، أما المرأة الريفية فهي المرأة التي تعيش في الوسط الريفي وهي في أغلب الأحيان تمارس الفلاحة كنشاط أساسي وتقوم أحيانا بأعمال حرفية أو صناعية صغيرة لتؤمن لنفسها دخلا ماديا يحفظ لها لقمة العيش الكريم.

كما أن الوسط الريفي يتميز بوجود أغلبي للأسر التقليدية التي تعد نموذجا للهيمنة الذكورية وللسلطة الأبوية المطلقة. فالرجل سواء كان الأب أو الزوج يسيطر على اتخاذ القرارات في تسيير شؤون الأسرة وهو المقرر لمصير كل الأفراد والمحدد لدور كل واحد منهم. ويرى الرجال في هذه الأسر أن عمل المرأة في البيت واهتمامها برفاهه وبرفاه أبنائها واجبات ومهام طبيعية وعادية على المرأة أداؤها دون تلكؤ أو تذمر وليس من الضرورة الاعتراف لها بالفضل أو مساعدتها في ذلك.

أما عن العمل الفلاحي بمختلف مراحله ونشاطاته المتنوعة من زراعة وتربية للحيوانات فإن أغلب الرجال العرب لا يقبلون عليه حتى في ملكيتهم الخاصة هذا ما يجعل نسب النساء الريفيات اللاتي يشتغلن في الفلاحة تفوق نسب الرجال. ولكن هذا التفاوت ليس حصريا في المجتمعات العربية بل إنه يشمل مختلف مناطق العالم.

ولعل إقبال المرأة في الريف على العمل الفلاحي له تفسيرات منطقية ترتبط بتدني أجور العمال الفلاحيين في أغلب الأرياف العربية ما يولد عزوف الرجال عليه وبقسوة ظروف العمل وطول ساعاته والاستيقاظ باكرا.. كما نجد تفسيرات تخرج عن نطاق الحساب وهي أن المرأة تمتاز بالعاطفية أكثر فهي تتعلق بالأرض وتعشق مزارعها وتشعر أنها تمنح النباتات والحيوانات الحياة وترعاها بنفس متعة رعايتها لأبنائها. المرأة كذلك مثال للصبر ولطول النفس لأن العمل الفلاحي الشاق يتطلب الصبر في انتظار نتاجه الذي يتطلب أسابيع وشهورا أحيانا.

وحسب منظمات العمل الدولية فإن النساء الريفيات تعتبرن أحد العوامل الرئيسية لتحقيق التغييرات الاقتصادية والبيئية والاجتماعية اللازمة للتنمية المستدامة وهو ما يمثل اعترافا بدورهن الاقتصادي المرتبط بتوفير الإنتاج الفلاحي بمختلف مراحله وما ينتج عن ذلك من تحقيق الأمن والاكتفاء الغذائي للشعوب. كما تمثل النساء الريفيات نسبا هامة من القوى العاملة المنتجة في الاقتصاديات العربية وتمثلن النسبة الأكبر من المشتغلين في القطاع الفلاحي.

إذن فالمرأة الريفية قوة إنتاج لا يمكن الاستغناء عنها في المجال الفلاحي والزراعي، وهي حلقة أساسية ضمن حلقات الدورة الاقتصادية خاصة فيما يتعلق بتأمين الغذاء. وعموما فإن تنوع الأنشطة والأعمال يعتبر خاصية أساسية وقارة في حياة المرأة في مختلف المناطق الريفية التي تتميز بنقص في المرافق المؤسساتية والخدمية كالمدارس والمستشفيات والوجهات الترفيهية.. في المقابل يتسم الريف بطابع ذكوري حاد تكون فيه المرأة منتجة، لكنها رغم ذلك في حالة تبعية اقتصادية للرجل تعكس تغييبها عن اتخاذ القرارات وعن التصرف في الشؤون المالية للأسرة.

هذه الأعباء التي تثقل كاهل المرأة الريفية والتي تتمثل في تحمل مشاق العمل الفلاحي والمنزلي، وعدم الحصول على المكافأة التي تستحقها، والمكانة الدونية في العائلة وفي المجتمع، وعدم التكافؤ بين الأجر والجهد المبذول، وكذلك عدم مساواتها في الأجر مع الرجال العاملين في نفس القطاع. تضاف لها تحديات مرتبطة بعدم المساواة مع الرجل انطلاقا من العرف الاجتماعي خصوصا فيما يتعلق بأحقية وحقوق امتلاك الأرض وصعوبة حصولها على الدعم والتشجيع من الجهات الرسمية للنهوض بالنشاط الفلاحي. وكذلك عجز السلطات الجهوية والمحلية على توفير التجهيزات والتقنيات الفلاحية الملائمة لعمل المرأة في الفلاحة.

محدودية ملكية المرأة للأراضي الفلاحية، وعدم فسح المجال لها للتصرف في المجال

الفلاحي، وصعوبة الوصول إلى مصادر الدعم الفلاحي خاصة في مجال الإرشاد والتوجيه من قبل الجهات المختصة والخبراء، لا ترجع لأسباب تتعلق بقصور المرأة عن ذلك أو عدم اكتسابها للكفاءة في العمل الفلاحي الذي يتطلب قوة بدنية، بل يرجع لأسباب أسرية واجتماعية مثل رفض توريثها أراضي العائلة حتى لا تنتقل بمفعول المصاهرة لعائلات أخرى، كذلك نقص المخصصات الفلاحية من الدول للنساء من قروض بنكية أو دعم لوجيستي أو معرفي من مختلف الجهات الرسمية يضاف لذلك مستويات التعليم المنخفضة لأغلب النساء الريفيات.

فالنساء اللاتي يتعاطين النشاط الفلاحي في تونس مثلا يشتكين من أن فرص الحصول على القروض البنكية والتمويل للقيام بمشاريع فلاحية خاصة محدودة، وهي ترجع لعدم حيازتها للأرض من ناحية ولغياب التشريعات والمساعي الحكومية لدعم مكانتها في القطاع من ناحية ثانية، وهو ما يثبّتها مكانها ويحجب عنها التطور ويحرمها بالتالي من فرصة إنقاذ نفسها من التبعية للرجل. ومن المثير للاستغراب والاستهجان أن السلطات والمجتمعات الريفية تسهى على أن التمكين الاقتصادي للنساء ليس فقط أساسيا لتحقيق رفاههن الشخصي وتحقيق العدالة مع نظرائهن الذكور، بقدر ما هو أداة لتحقيق رفاه الأفراد والأسر والمجتمعات الريفية بأكملها، وهو أيضا عامل رئيسي لتحقيق الإنتاجية الاقتصادية الشاملة، باعتبار أن الريفيات تشكلن جزءا كبيرا من قوة العمل الزراعية في جميع أنحاء العالم. هذه العوامل وغيرها تتظافر لتحصر المرأة في الأدوار الثانوية في الأرياف وفي الفلاحة بشكل خاص، وتظل تلعب دور العاملة التي تتلقى أجرا زهيدا في جل الحالات وتبعد عن المواقع القيادية وعن إدارة الإنتاج والملكية وحتى عن التصرف في الموارد المالية في الأسرة -حتى وإن كانت من جلبها- وهو ما يعمق معاناتها فالجميع يقطف ثمار عملها ويستفيد منه عدا هي.

وحسب عديد الدراسات لمنظمات حقوقية ونسوية فإن أوضاع المرأة الريفية في الدول العربية رغم قتامة الصورة العامة إلا أنها شهدت تحسنا ملموسا في السنوات الأخيرة خاصة في مجال التعليم، حيث انتشر الوعي بضرورة تعليم الفتيات وتركهن يصلن للمراحل الجامعية. أما في مجال الرعاية الصحية فقد سهرت معظم الدول العربية على تقريب الخدمات الصحية من المواطن خاصة في الأرياف وتبعا لذلك شهدت المرأة في الريف تطورا إيجابيا في مجال الصحة الإنجابية ورعاية الحامل وتقلص عدد وفيات الأمهات عند الولادة ويعد ذلك نتاج للمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والانفتاح على العالم التي لعب فيها التطور التقني وانتشار وسائل الإعلام دورا حاسما.

ومن ناحية أخرى رصدت عديد الإحصائيات ارتفاع نسبة النساء الريفيات اللاتي يعلن أسرهن مثلا في تونس وكانت أغلبهن تعملن لحسابهن الخاص في مشاريع

> أوضاع المرأة الريفية في الدول العربية رغم قتامة الصورة العامة إلا أنها شهدت تحسنا ملموسا في السنوات الأخيرة خاصة في مجال التعليم، حيث انتشر الوعي بضرورة تعليم الفتيات

تنموية صغرى في الحرف أو الفلاحة بدعم من الجهات الرسمية وغير الرسمية مثل الجمعيات المهتمة بالتنمية الريفية وتنمية المرأة الريفية ورغم ذلك تلاحظ هذه الجمعيات قصور الدعم المادي والمعنوي المقدم لهن وحصر نشاطاتهن في التطريز والتصنيع البسيط أو الأولي للمنتجات النباتية أو الحيوانية المتاحة لهن في الريف.

وهذا ما يبين أن النساء الريفيات ما زلن بحاجة إلى المزيد من الاستراتيجيات للنهوض بأوضاعهن وإلى المبادرات والتدخلات التي تهدف إلى الارتقاء بمكانتهن في المجتمع وإلى تمكينهن في الجانب الاقتصادي إما عن طريق توفير برامج التدريب وبناء الكفاءات أو بتوفير الدعم المالي الذي يتيح لهن فرص الاستقلال المادي عن المشغّل وعن هيمنة الرجل داخل العائلات الريفية التقليدية.

ومؤخرا في تونس انطلق تنفيذ برنامج مشترك بين منظمة أوكسام تونس ومجموعة من الجمعيات النسوية والتنموية منها الجمعية التونسية للنساء الديمقراطيات، وجمعية النساء التونسيات للبحث حول التنمية ورابطة الناخبات التونسيات أطلق عليه اسم "أمل" ويهدف إلى تنمية المرأة المهمشة في الأرياف في تونس، وفي المغرب وفلسطين واليمن، وإلى تعزيز مشاركة وقيادة المرأة على جميع المستويات، خاصة النساء الفقيرات والمهمّشات، وحشد صفوفهن للمطالبة بحقوقهن السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ورغم تألق النساء في مجالات مختلفة، إلا أنهن يعشن في بلدان لا تقوم بالجهد الكافي من أجل تعزيز حقوقهن وإدماجهن في مواقع صنع القرار، وتقريب الخدمات الأساسية لهن، وتوفير فرص العمل، والدراسة في ظروف ملائمة.. وتقر المنظمات والجمعيات الحقوقية والنسوية في تونس أن المرأة الريفية هي الأكثر تضررا من الفقر، ومن هشاشة العمل غير المهيكل ومن قلة التشريك في قرارات الجماعات وهو ما يدفعها للعمل على النهوض بها والتركيز عليها أكثر من المرأة في المناطق الحضرية.

غياب العدالة والمساواة في الحقوق والواجبات بين النساء والرجال تجمع نساء العالم في سلة واحدة ولكنها تبرز بشكل ملحوظ في البلدان العربية، أما في المناطق الريفية فهي أكثر حدة وعمقا لأن الوضعية الحقوقية للمرأة الريفية أكثر هشاشة من المرأة في المدينة وذلك في أغلب الدول العربية.

أزواج يعيشون في جلابيب أمهاتهم

الرجل مثل الطفل لا يريد أن يفقد سمات الرعاية التي تلقاها في بيت أمه

تأثر الشباب بأمهاتهم أمر عادي، إنما المشكلة تكمن في أنه يبحث عن شريكة لحياته مثل أمه في المواصفات والطباع، تعرف شؤون البيت مثلما تفعل أمه، حتى لا يشعر يوما أنه غادر إلى بيت الزوجية، فالكثير من الشباب لا يريد الخروج من عباءة الأم على أمل أن يعيش حياة سعيدة هانئة، مثل التي كانت توفرها له أمه.

سعاد محفوظ

الفرق بين الأم والزوجة أمر طبيعي ومتوقع لأن كلتيهما من جيل مختلف

□ يقول عصام الشناوي، مهندس مدني، إنه أصرّ عند الزواج أن يختار زوجة ست بيت تماما كأمه، لأنه منذ الصغر وهو متعلق بأمه، حيث كانت حنونة وجادة -على حد تعبيره- ويضيف: ومادمت قد ارتحت لأسلوبها في إدارة البيت، ولأنني أحببت أن استمر على هذا النمط من العيش، اخترت زوجة شعرت بأنها لن تحرمني مما اعتدت عليه في بيت أمي.

وأوضح أنه على قناعة تامة بضرورة أن يكون الزوج دبلوماسيا في التعامل مع كل من زوجته وأمه، كي لا تتوتر العلاقة بينهما، ومن الخطأ أن يقلل من شأن زوجته، ويكفي أن يكون صريحا معها حتى تقوم بما يشاء.

وقال: في بداية حياتنا الزوجية، افتقدت أطباق الطعام الشهية التي كانت تحضّرها أمي بطريقتها الخاصة والمتميّزة، أخبرت زوجتي بالأمر، فسارعت وتعلّمت الوصفات، وها أنا اليوم أتلذّذ بكل ما تطهو زوجتي.

بالنسبة إلى عادل البنا، محاسب بأحد البنوك، فقد اختار شريكة حياته صورة طبق الأصل من والدته، لكي يتعايشا معا من دون مشكلات، ولم يغادر عادل بيت العائلة بعد زواجه، لذلك كان لا بد له من اختيار زوجة مطيعة وهادئة، تتمتّع بالطيبة والأخلاق الحميدة وتتفاهم مع أمه.

ويؤكد: مر على زواجي ستة أعوام، لم يقع خلالها أيّ خلاف بين أمي وزوجتي، وهذه نعمة أدين بها لوالدتي، فهي عماد البيت والكلمة الأولى والأخيرة لها، ولو لم تكن متفهّمة لما عاملت زوجتي كابنتها ودرّبتها على طباعي، ويضيف: من بداية حياتي الزوجية حدّدت لزوجتي تعليمات معيّنة طالبتها بألا تحيد عنها، من ضمنها أن تسير على خطى أمي وأن تسمع كلامها، فأنا أستمع لرأي أمي أولا وزوجتي ثانيا، ومن ثم أقارن بينهما، وغالبا ما أنفذ رغبات الوالدة، لأنني أقدّرها أكثر من أي شخص آخر.

أما خالد جلال، متزوج حديثا ويعمل مسؤولا للعلاقات العامة بشركة اتصالات، قال إنه يشعر بالارتياح في حياته مع زوجته، مع أن طباعها مختلفة عن أمه، ويرى أن الفرق بين الأم والزوجة أمر طبيعي ومتوقّع، لأن الحياة تتغيّر، وكلتاهما من جيل مختلف، فالكمال لله وحده، ومن غير العدل أن يدقّق الرجل في كل ما تفعله الزوجة، صحيح أن أبي كان يتعامل مع أمي على أنه "سي السيد"، يصرخ ويأمر ويقسو متى يشاء، لكني لا يمكن أن أقلده في ديكتاتوريته، وليس في وسع زوجتي كذلك أن تصبر كما كانت أمي تفعل.

ويعتقد خالد، أن من أهم أسباب ارتفاع نسبة الطلاق أن رجال اليوم يتقمّصون شخصيات آبائهم، في حين أن بنات الجيل الحالي لسن أبدا كأمهاتنا، وحل هذه الأزمة في رأيه، يكون التفاهم والتراضي منذ البداية، وكما أن الزوج يطلع الزوجة على ما يحب ويكره، فمن واجبه أيضا أن يتعرّف منذ البداية، إلى ما يرضيها وما يضايقها، فأنا شيء وهي شيء آخر.

وتقول وفاء عبدالحميد، متزوجة منذ 22 عاما، إنها لا تزال إلى اليوم تشعر بالضيق من زوجها إذا قارنها بأمه، "أنا بالطبع مختلفة عنها، ولا مجال للمقارنة بيننا، هي شيء وأنا شيء آخر، وتأثيري فيه مختلف عن تأثيرها فيه -فعلى سبيل المثال- لم يواظب زوجي على واجباته الدينية إلا بعد ارتباطه بي، ومع أن حماتي امرأة ملتزمة، لكنها لم تستطع تغييره"، وتؤمن وفاء بالمثل القائل: ابنك كما تربيه وزوجك كما تعوّديه، معتبرة أن الزوج تماما كالطفل، يحتاج إلى تربية الزوجة على مزاجها، وعن الرجال الذين يسعون إلى حشر نسائهم في جلابيب أمهاتهم تشير بقولها: لا يمكنني أن أتعايش مع ضغوط كهذه، إذا كان الرجل شديد التعلّق بأمه، فليبقى في كنفها ومعها ولا يتزوّج، لأنه مهما فتّش لن يجد مثلها.

> قد يصاب الزوج بالصدمة الأولى في حياته، إذ سرعان ما يكتشف أن زوجته لها طباع مختلفة عن أمه، وأنها لا تصبر عليه كما كانت تفعل أمه، وهنا يعتقد الزوج أن حياته فاشلة

وتنظر منى أحمد، متزوجة حديثا، إلى الأمر من منظار أكثر واقعية، حيث تعتبر أن الرجل الذي يفكر بهذه الطريقة، يكون متعلّقا بوالدته، ومعجبا إلى حد كبير بشخصيتها، لذلك يبحث في شريكة العمر عما وجده في أمه من حب وحنان.

ولا تمانع منى من أن تستفيد الزوجة من حماتها، لكن في حدود ترسمها بنفسها، فقد تكون الحماة على درجة عالية من الوعي والأخلاق والحكمة، هنا لا بأس من الاقتداء بها، أما إذا تتحوّل إلى محور حياتي وتصبح هاجسا يلازمني، فهذا ما لا أرضى به أبدا.

وتضيف قائلة: التعايش تحت سقف واحد يتطلب المسايرة وبعض التنازلات، لكن لا بد من احترام شخصية الزوجة ونفسيتها، والتأقلم معها على الحلوة والمرة، وعندما أشعر بأن زوجي متفهّم وحنون، ألهث لإرضائه بشتى الطرق، وأسأل عن الأمور التي يحبها لأطبقها على أكمل وجه.

وفي رأي الدكتور أحمد رضوان السيد أستاذ الدراسات الاجتماعية بجامعة الأزهر: أن هناك حقيقة لا يجب أن ننكرها، وهي أن الرجل مثل الطفل لا يريد أن يفقد سمات الرعاية التي يتلقاها في بيت أمه، وكلما كان سعيدا قبل الزواج أصرّ أن تكون زوجته تماما في صفات أمه، ويعتقد بذلك أنه سيضمن حياة زوجية سعيدة، لا تختلف أبدا عن حياته السابقة في بيت أمه، وهذه الحالة تصيب بعض الفتيات بصورة عكسية، حيث تبحث كل فتاة عن رجل في صفات والدها، ولذلك قد يصاب الزوج بالصدمة الأولى في حياته، إذ سرعان ما يكتشف أن زوجته لها طباع مختلفة عن أمه، وأنها لا تصبر عليه كما كانت تفعل أمه، وهنا يعتقد الزوج أن حياته فاشلة، ولكن في الحقيقة كل زوجة لها صفات خاصة، ومن الممكن أن تتوافق في بعض الصفات مع أم الزوج، وعلى الزوج احترام زوجته وتقدير مكانتها، والبحث عن صفاتها الجميلة، ويعبّر لها عن شعوره، وماذا يريد؟ وما هو المناخ الاجتماعي الذي يبحث عنه؟ ومن الممكن أن تغيّر الزوجة من عاداتها وتكتسب عادات أخرى قد ترضي الزوج وتحوّل حياته إلى سعادة دائمة.

طاقة إيجابية لحياة إيجابية

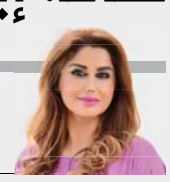

د. ناديا بوهناد

❑ عندما أطلب من المراجع لدي أن يكون إيجابيا أو أن يفكر بطريقة إيجابية، في الغالب يكون رده "حاولت ولم أستطع ، وعندما أسأله عن ماهية محاولاته يكون رده "حاولت أن أنسى وأن أركز على أمور أهم لكني وجدت صعوبة". الأمر يبدو صعبا للكثير من الناس لأنهم عودوا أنفسهم وبرمجوا عقولهم على العيش بطريقة سلبية إما عن طريق التربية التي تعرضوا لها أو عن طريق التعلم والتأثر بمن حولهم.

الهالة التي تحيط بنا فيها قوة جذب مثل قوة المغناطيس، فعندما نكون إيجابيين في أفكارنا ومشاعرنا التي تنعكس على تصرفاتنا نحن نجذب الإيجابيات لحياتنا، وعندما ندور حول كل ما هو سلبي ونردد السلبيات في حياتنا فنحن نجذب السلبي إلينا وندخله في حياتنا. هناك الكثير من الأمور التي يمكننا القيام بها لجذب الطاقة الإيجابية لحياتنا، لكنها تحتاج إلى الرغبة والإرادة. فالإرادة هي تعني أنني أريد أن أفعل ذلك وهي ليست مجرد محاولة. والإرادة تأتي من الداخل ولا تفرض، وكما قال سبحانه وتعالى في سورة الرعد "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم". فبدلا من محاولة النظر إلى الجزء الممتلئ من الكوب علينا أن نملأ الكوب ولا نجعل فيه أي فراغ.

من الأمور التي تجعلنا نمتلك الطاقة الإيجابية ونعيش بإيجابية هي أن نحب أنفسنا ونتقبلها وأن نسامح بصدق كل من أساء إلينا. عليك أن تفعل ذلك الآن وأنت تقرأ المقال وإلا فلن تقوم بذلك أبدا. عليك أن تتخلص من الإحباطات والأحقاد التي في داخلك، تلك الأحقاد والإحباطات التي حصلت في الماضي لأنه لا جدوى من الاحتفاظ بها اليوم حتى لا تحملها معك في المستقبل. فلا تعمل على لوم ذاتك ولا تشعر بالذنب لأن مثل هذا الشعور يأخذ حيزا كبيرا من الطاقة لدينا ويحولها إلى طاقة سلبية. عندما تتخلص من مثل هذه المشاعر أنت لا تعد الشخص الذي كنت عليه بل تصبح شخصا آخر أكثر تجددا تماما كما تأخذ المكملات الغذائية والمعادن وتغذي الخلايا في جسمك لتتجدد ولا تعد كما كانت عليه.

الانتقادات التي تغلب على شخصيات الكثير من الناس لأسباب كثيرة هي أيضا تحول الهالة لدينا إلى كتلة من الطاقة السلبية، لذلك علينا أن نتوقف عن الانتقاد وأن ننظر إلى إيجابيات الأمور وأن نتخلص من الرغبة في السيطرة على كل شيء. لا تتنازل عن طاقتك لأي كان، فعندما نفكر وننزعج لما يقوم به من حولنا من الأعداء والسذج فنحن نمنحهم قوة السيطرة على حياتنا ونسمح لهم بإدارة حياتنا كما يشاؤون، والطريقة الأمثل هنا إما المواجهة بالعقل والمنطق وأحيانا القانون أو الإهمال ومعاملتهم وكأنهم غير موجودين. لابد أن يكون لحياتنا معنى وهدف، وليكن هدفنا الحياة بإيجابية والتفكير بإيجابية وأن نتذكر كل يوم أننا نعيش لأجل هذا الهدف الإيجابي حينها لن يكون لدينا الوقت لانتقاد الآخرين أو حتى للخضوع لانتقادات السلبيين.

الطاقة الإيجابية في حياتنا لها علاقة بقوة العقل الباطن، فلنستخدم قوة العقل الباطن وتخيل كل ما هو جميل وناجح لتكون حياتك عليها كما تحب وتتخيل أن تكون. وحتى نبرمج العقل الباطن علينا التوقف عن الحديث السلبي وحتى التوقف عن التحدث عن المشاكل في حياتنا أو حتى معاناتنا وأن نحمد الله على كل شيء، لأن التركيز على المشكلات والمعاناة في الحياة يعمل على استهلاك أكبر قدر من الطاقة ويحولها إلى طاقة سلبية تحيط بالهالة لتختفي الطاقة الإيجابية تدريجيا من حياتنا. وكم هو جميل أن نكون من الممتنين والشاكرين لله على كل شيء، الامتنان والشكر خاصة عند الاستيقاظ من النوم صباحا لأن الله منحنا يوما آخر لنعيش ونستمتع بحياتنا مع من نحب.

هناك مقولة متداولة تقول "جاور السعيد لتسعد" ولا يوجد هناك شرط من شروط الحياة أننا يجب أن نعيش بمازوشية نتلذذ بآلامنا أو بسادية نتلذذ عندما نرى غيرنا في ألم، كل هذه أمور تربى عليها الإنسان وبرمج عقله عليها وهي من صنعه وليست عطاء من الله. وكما أن التعاسة من صنع الإنسان نفسه كذلك هي السعادة من صنعه. وهناك مثل إنكليزي بمعنى أنك تستطيع أن تقود الحصان لبركة ماء لكنك لا تستطيع أن تجبره على الشرب، وكذلك الإنسان أستطيع أن أقدم الماء لك لكنني لا أستطيع أن أجبرك على شرب الماء إذا لم تكن لديك الرغبة للشرب. كذلك هي الطاقة الإيجابية والحياة الإيجابية لا يستطيع أي شخص أن يجبر الآخر على أن يعيش بإيجابية ما لم تكن لديه الرغبة والإرادة لعمل ذلك، فنحن من نصنع السعادة ونحن من نختار إما أن نعيش بسعادة وطاقة إيجابية أو أن نختار أن نعيش في تعاسة نكررها في كل موقف من مواقف حياتنا. ربما يكون اختيارا وعملا صعبا على البعض أن يختار حياة إيجابية بطاقة إيجابية، لكن هناك الكثير من غيّر حياته من حياة بطاقة سلبية إلى حياة مليئة بالطاقات الإيجابية، إذا استطاع غيرك، فأنت بالتأكيد تستطيع إذا كانت لديك الرغبة والإرادة، فالحياة أقصر من أن نهدرها بالتفكير في الانتقام أو الحقد والكراهية أو الاستسلام لكل ما هو سلبي.

* استشارية نفسية وكاتبة من الإمارات

طبق اليوم

يقطين محشو بالخضر

المكوّنات:

- كوب ونصف بقدونس، كزبرة، شبت، روزماري، زعتر، ريحان
- 3 ملاعق كبيرة زيت زيتون
- كوب بصل مقشر ومقطع
- 2 حبات بطاطا متوسطة مقشرة ومقطعة قطعا كبيرة
- حبة بطاطا حلوة مقشرة ومقطعة قطعا كبيرة
- 2 حبات جزر مقشر ومقطع قطعا كبيرة
- 2 حبات لفت قطع كبيرة
- ملح وفلفل حسب الرغبة
- حبة يقطين كبيرة حوالي 2 كيلوغرام

طريقة الإعداد:

- يسخن الفرن على حرارة 180 درجة مئوية.
- تخلط الخضروات في وعاء عميق وتتبل بزيت الزيتون والملح والفلفل.
- ترص الخضروات في صينية وتوضع في الفرن لمدة 25 دقيقة، مع مراعاة عدم تمام نضج الخضروات.
- توضع الخضروات في وعاء عميق وتضاف الأعشاب الطازجة، مع التقليب حتى تتجانس المكونات.
- ينزع الجزء العلوي من اليقطين، مع الاحتفاظ به حيث سيستخدم كغطاء فيما بعد، ثم ينزع اللب.
- يحشى اليقطين بخليط الخضروات مع الضغط الخفيف حتى يمتلئ بالحشو، ثم يغطى جيدا بالجزء العلوي.
- يوضع اليقطين المحشو في فرن حرارته 170 درجة مئوية لحوالي ساعة ونصف أو حتى تمام نضجه.

موضة

أزياء هادئة يغطيها السحر الهوليودي

□ عرضت المصممة الإماراتية الشيخة مدية الشرقي مجموعة أزيائها لخريف وشتاء 2015 ضمن فعاليات فاشن فورورد في دبي. وأكد المختصون على أن تصاميمها جاءت غنيّة بالسحر الهوليودي ومستوحاة من مدينة لوس أنجلوس التي قضت فيها الشرقي معظم أوقاتها في الفترة الأخيرة.

الألوان التي استعملتها مدية الشرقي في مجموعتها لخريف وشتاء 2015 جاءت هادئة، وقد برز استعمال الأبيض بتدرجاته الناصعة والكريمية، كما تكرّر ظهور الأزرق الفاتح والأصفر الباستيلي والأخضر بتدرّجات متنوّعة تناسقت مع بعضها بشكل لافت.

تكرّر استعمال الحرير، والدانتيل، والجلد من الأقمشة في مجموعة مدية الشرقي، ما أضفى على الإطلالات لمسة مترفة، أما القصّات غير المتوازية فتركت مسحة شبابية وعصرية على الأزياء.

وتنوّعت تصاميم هذه المجموعة بين الأثواب الضيّقة الطويلة، والأزياء المتعددة الأطوال، والتنانير المتوسطة الطول التي اختلط فيها الدانتيل بالحرير. كما ظهرت البنطلونات والجاكيتات ذات القصّات الكلاسيكية التي تم تقديمها بشكل عصري ومميز.

حفيظ دراجي: خسارة الجزائر لـ«كان 2017» فشل دولة وليس إخفاقا رياضيا

جنوب أفريقيا والمغرب هما البلدان الجديران باحتضان مونديال 2026

استبق الجميع لما كانوا منهمكين بكون مسألة احتضان الجزائر لـ"كان 2017 هي تحصيل حاصل فقط، بتأكيده من خلال مساهمات له في صحف محلية عكس ذلك تماما، وشدّد على أن الجزائر لن تحتضن الكأس الأفريقية القادمة، واضعا على رأس الأسباب والخفايا التي كشف عنها لاحقا، الفراغ العملي في هرم السلطة الجزائرية، وهو الأمر الذي سمح للرئيس الغابوني بصناعة الفارق، لأنه أدرك دور السياسة في صناعة الاستحقاقات الكروية، بينما بقي الملف الجزائري رهين الديماغوجية والخطابات الشوفينية، بينما هو في الأصل كان ملفا يتيما.

صابر بليدي

□ **الجزائر** – أرجع الكاتب والمعلق الرياضي الشهير في قناة "بين سبورت" حفيظ دراجي، في حوار مع "العرب"، أن فشل الجزائر في احتضان "كان 2017 إلى فشل الدولة وليس مجرد إخفاق رياضي، معتبرا الترشح لاحتضان مثل هذه الاستحقاقات يقع على عاتق الدولة وليس على عاتق الهيئات الكروية فقط، خاصة في ظل سكونها لما كان الرئيس الغابوني علي بانغو يلعب في كل المساحات بداية من مونديال البرازيل الأخير إلى "كان" غينيا الاستوائية، بينما التزمت السلطة الجزائرية الصمت، رغم التقارير التي كانت تصلها حول تحركاته في هذا المسعى.

وقال دراجي "نعم هو فشل الدولة لأن الترشح لاحتضان الأحداث الرياضية في العالم يقع على عاتق الدولة، وحمّلتها المسؤولية لأن التقارير التي كانت تصلها تستدعي تدخل الدولة، لمواجهة تحركات رئيس دولة الغابون شخصيا على كل الأصعدة وفي كل الاتجاهات، لضمان احتضان بلاده للدورة القادمة". وعن محاولات تعليق مسألة الفشل بغموض وعدم شفافية ممارسات الهيئة الكروية القارية، فقال المتحدث "(الكاف) هي فعلا جزء من المشكلة، ولكنني كإعلامي لا أحملها مسؤولية إخفاق الجزائر، لأنها هيئة مستقلة غارقة في تراكمات وممارسات نعرفها كلنا، ونمارس مثلها فيما بيننا في الجزائر"، في إشارة للغط المثار حول فساد المنظومة الكروية المحلية خاصة في دوري الرابطتين الأولى والثانية.

حقد حياتو

لم يفوت دراجي في حواره مع "العرب"، الفرصة لانتقاد الملف الجزائري معتبرا أفضليته كانت على الورق فقط، وقال "بغض النظر عن الجانب التقني وعدم جاهزية مرافقنا وملاعبنا، فإن الملف الجزائري كان الأفضل على الورق فقط، وكان ينقصه دعم الدولة برئيسها ودبلوماسيتها وعلاقاتها، التي كانوا يدعون بقوتها ومدى تأثيرها على الأفارقة وكل من لهم علاقة بالملف". وكانت دولة الغابون من الدول الأفريقية والعربية التي استفادت من مسح مديونيتها لدى الجزائر، بموجب قرار أصدره الرئيس بوتفليقة في العام 2012، أثار حينها انتقادات واسعة، وتأكدت حسب بعض الرياضيين، نتائجها بعدم جدوى وفعالية القرار في جني ثماره على الصعيد الدبلوماسي، بما أن دولة الغابون التي استفادت من مسح 100 مليون دولار، لم تقدر موقف الجزائر وزاحمتها في استحقاق كان يفترض أن تنسحب منه، لو احترمت أصول الدبلوماسية أو فرضت عليها الجزائر مبادئ الاحترام وتقدير معنى إلغاء المديونية.

اللاعب الكاميروني إيبوسي في تيزي وزو

وفي هذا الشأن يقول حفيظ دراجي في حواره "بعد سريان معلومات حسم القرار لصالح دولة الغابون، كان يتوجب على الجزائر سحب ملف الترشح لحفظ ماء الوجه، أو الضغط على الغابون لسحب ملف ترشحه لصالح الجزائر، بدل الإصرار على ممارسة التضليل والكذب في كل شيء، والعيش على الماضي، وعلى الادعاء بأن الجزائر تحظى بمكانة متميزة في القارة السمراء، وأعلنت شخصيا بأن الغابون سيحصل على شرف تنظيم الدورة المقبلة، ولكن السلطات الجزائرية لم تعر الموضوع أي اهتمام، لأنها منشغلة بالتحايل على الشعب، لكي تستمر وتبقى أطول فترة ممكنة". وسبق للكاتب ومعلق "بين سبورت" أن حصر أسباب الفشل في أعقاب صدور قرار التنظيم في الثامن من أبريل الجاري، في تفشي ظاهرة العنف في الملاعب الجزائرية، مستشهدا بمقتل

بداية الموسم وإصابة الحارس عزالدين دوخة بسلوك مشابه منذ أسابيع بملعب البويرة في مباراة ودية. ورفض السلطات الجزائرية تعويض المغرب في احتضان كأس أمم أفريقيا 2015، وإنقاذ "الكاف" من أزمة كبيرة وقعت فيها، وكادت أن تدفع بها إلى نقل الدورة خارج القارة السمراء.

اختلاط الأوراق

إضافة إلى ما أسماه "عدم احترام السلطات الجزائرية لالتزامات رئيس الاتحاد المحلي محمد روراوة مع أعضاء اللجنة التنفيذية لـ"الكاف"، الذين كانوا قد اتفقوا على منح الكامرون دورة 2019، وكوت ديفوار 2021، وغينيا 2023، على أن تمنح للجزائر دورة 2017، ولكن الجزائر أخلطت الأوراق بترشحها لمنافسة الكامرون وكوت ديفوار". وفي هذا الشأن قال في حواره مع "العرب" إن أعضاء (الكاف) "سبق لهم الاتفاق منذ مدة على توزيع نهائيات كأس أمم أفريقيا 2019 و2021 و2023 على كل من الكامرون وكوت ديفوار وغينيا، على أن تنال الجزائر شرف تنظيم نهائيات 2017، لكن موقف السلطات الجزائرية كان مترددا، ففي البداية قيل بأن الجزائر لن تخلف ليبيا وليست مستعدة لذلك، الأمر الذي أخلط الأوراق على راوراوة وأعضاء المكتب التنفيذي لـ"الكاف"، وأدى إلى غضبهم من عدم التزام الجزائر بالاتفاق، وبعدها تم تقديم ملف الترشح فيما كان الرئيس الغابوني قد حسم الأمر مع عيسى حياتو منذ مونديال البرازيل".

إلى جانب ما وصفه بـ"تخوّف عيسى حياتو من تصاعد نفوذ محمد روراوة، وإدراكه أن احتضان الجزائر دورة 2017 يصادف إجراء انتخابات رئاسة الكاف، وبالتالي إمكانية ترشح رئيس الاتحاد الجزائري وإطاحته بإمبراطوريته"، علاوة على عدم جاهزية الملاعب الجزائرية مقارنة بنظيرتها في الغابون على غرار ملعب براقي، والصور التي ينقلها التلفزيون أسبوعيا عن أعمال الشغب والعنف وإلقاء الشماريخ في الملاعب. وقال دراجي إن الرئيس الغابوني علي بانغو، استغل الموقف وراح يلتقي حياتو في البرازيل على هامش كأس العالم، ويقدم مساعداته لـ"الكاف" وغينيا الاستوائية لتنظيم كأس أمم أفريقيا الأخيرة، وتمكن من حشد حلفائه الفرنسيين، ودعم أعضاء اللجنة التنفيذية الذين يأتمرون بأوامر حياتو دون غيره.

وتابع "الرئيس الغابوني التقى مجددا حياتو في غينيا الاستوائية لمدة أكثر من ساعتين، والتقاه في باريس، وانتزع منه ضمانات التنظيم في 2017، في وقت كانت السلطات الجزائرية في سبات عميق، على الرغم من التقارير التي كانت تصلها بخصوص كل التحركات، ولكنها لم تتحرك في الوقت المناسب لأنها كانت منشغلة بأمور أخرى، وحتى عندما أبدت رغبتها في الترشح وبدأت في التحرك، طغى عليها عدم الانسجام والتنسيق بين هياكلها، رغم إدراكها حاجتها إلى تنظيم الدورة، من أجل ربح مساحة زمنية من السلم الاجتماعي وإلهاء الناس عن مشاريعها للاستمرار في الحكم". وإن لم يبد المتحدث لوما على التوظيف السياسي للكرة المستديرة، فإن ما يؤرق الكاتب والمعلق الرياضي حفيظ دراجي وقطاع عريض من الجزائريين في مختلف المستويات وهو ما أسماه بـ"الإخفاق السياسي" وقال في هذا الشأن "لا ألوم التوظيف السياسي لكرة القدم بقدر ما ألوم الإخفاق السياسي، لأن الرئيس الغابوني كذلك عينه على انتخابات الرئاسة في بلاده العام المقبل، والسلطة عندنا أثبت فشلها وإخفاقها رغم حاجتها إلى تنظيم هذه التظاهرة، لربح مساحة زمن من السلم الاجتماعي وإلهاء الناس للاستمرار في التحايل علينا".

إخفاق سياسي

خلص دراجي في هذا الشأن إلى قوله لـ"العرب"، "أقول وأكرر بأن الفارق صنعه الرئيس الغابوني الذي كان على تواصل دائم مع أعضاء اللجنة التنفيذية ومع حياتو منذ كأس العالم في البرازيل، واستعان بحلفائه الفرنسيين الذين لديهم مصالح اقتصادية وتجارية كبيرة في الغابون فقدموا دعمهم بكل الطرق والوسائل". وحول سؤال عن ارتدادات الفشل على راهن ومستقبل الكرة الجزائرية رد بالقول "أعتقد بأن التأثير سيكون على السلطة القائمة وعلى معنويات كل الجزائريين، وسيؤثر على سمعة الجزائر التي تراجعت بشكل رهيب حتى على الصعيد القاري، بسبب انعدام روح المسؤولية وعدم تحلي الرسميين بالصدق والأمانة والضمير، أما عن الكرة عندنا فهي تسوء باستمرار لأسباب مختلفة يطول شرحها في هذا المقام". وأبدى المتحدث خشيته من أن يدفع المنتخب الوطني والنوادي الجزائرية ثمن الانتقادات الشديدة التي وجهها الإعلام المحلي والرسميين الجزائريين، لهيئة عيسى حياتو، وقال "عيسى حياتو شخص حقود ولا يغفر ولا يتردد في الانتقام من كل من يسيء له، ولذلك أنا شخصيا أخشى من أن ينعكس ذلك على المنتخب والنوادي الجزائرية في المنافسات القارية المقبلة".

ووصف في حواره التسريبات التي تتحدث عن ملف جزائري تونسي لاحتضان مونديال 2026 بعد الوعود التي قطعها سيب بلاتير خلال حملته الدعائية لانتخابات الفيفا بـ"الكذبة الكبرى يراد منها إلهاء الناس، وأنا على يقين بأن أفريقيا لا يمكنها تنظيم كأس العالم إلا في جنوب أفريقيا أو المغرب، لأنهما البلدان الوحيدان اللذان يملكان المرافق وثقافة التنظيم التي تفتقدها كل الدول الأفريقية الأخرى". وأمام تصاعد الأصوات المنادية بضرورة إصلاح الهيئات الرياضية والكروية تحديدا على الصعيدين القاري والدولي، يرى المتحدث بأن "الإصلاح لا يجب أن يتوقف، وقبل أن ندعو إلى إصلاح غيرنا يجب أن نصلح ذواتنا أولا، ونعمل بالتنسيق في ما بيننا ومع الحكومات والدول وليس مع الأفراد، كما أن يجب أن ندرك بأن لكل تغيير ثمن وجهد يجب أن يبذل، ولا ينفع الكلام الفارغ الذي شبعنا منه".

> كان يتوجب على الجزائر سحب ملف الترشح لحفظ ماء الوجه، أو الضغط على الغابون لسحب ملف ترشحه لصالح الجزائر، بدل الإصرار على ممارسة التضليل هذا ما قاله حفيظ دراجي

وتساءل بشأن حديث وزير الرياضة محمد تهمي، عن تغيير السياسة الرسمية مع الكاف وجهره بضرورة التغيير في الهيئة القارية، "هل كانت لدينا سياسة أصلا حتى نغيرها؟ وهل لدينا القدرة على رفع تحدي من هذا النوع؟ وهل للجزائر الرسمية القدرة اليوم على تغيير الأوضاع في أفريقيا؟ أعتقد بأنه كلام غير مسؤول من طرف ممثل السلطة العمومية، ثم إذا أردت أن تغير شيئا في عالم الكرة الأفريقية، لا يجب أن تعلن ذلك بل تعمل على ذلك في الخفاء، ولا تعلن الحرب بهذا الشكل، حتى تسمح لمنافسك بأخذ كامل احتياطاته".

ووصف دراجي في آخر حواره مع "العرب" واقع الكرة الجزائرية، بـ"المر والتعيس للأسف، ومع ذلك نستمر في الكذب وسياسة الهروب إلى الأمام، حتى فقدنا الثقة في بعضنا البعض وفقد أبناؤنا ثقتهم فينا، مما انعكس على المعنويات والذهنيات وصار الفشل حليفنا نتعايش معه وكأنه قدر محتوم.. واقع الكرة الجزائرية هو من واقع الكثير من القطاعات التي تتخبط في مشاكل عديدة، والأمر يحتاج إلى تغييرات عميقة نبتعد فيها عن سياسة الترقيع .

العين يسعى للاحتفال بلقب الدوري الإماراتي من بوابة الوحدة

منافسة شرسة بين الشباب والوحدة لضمان مكان في دوري أبطال آسيا

يتطلع العين للاحتفال بلقب الدوري الإماراتي للمحترفين لكرة القدم غدا الاثنين، عندما يحل ضيفا علىٰ فريق الوحدة في المرحلة الـ24 من الدوري.

العين يتطلع للتأكيد في مباراة خارج ميدانه

□ **أبوظبي** – يسعىٰ العين للفوز بمباراته ضد فريق الوحدة غدا الاثنين، حتىٰ يحتفل مع جماهيره بلقب الدوري الإماراتي الذي حققه في الجولة الماضية عقب خسارة فريق الجزيرة، أقرب ملاحقيه 2/4 من بني ياس، وفوزه علىٰ فريق اتحاد كلباء برباعية نظيفة، ويعد هذا اللقب هو الـ12 للفريق في تاريخه.. كما أنه الثالث في آخر أربع سنوات.

في المقابل يدخل الوحدة هذه المباراة بحثا عن الفوز في محاولة لانتزاع المركز الثالث من الشباب، ليضمن مكانا في دوري أبطال آسيا الموسم المقبل.

ويمتلك العين 55 نقطة في صدارة جدول الترتيب بفارق عشر نقاط عن الجزيرة، بينما يحتل الوحدة المركز الرابع برصيد 42 نقطة.

ويسعىٰ الجزيرة للثأر من الشارقة حين يحل ضيفا عليه غدا الاثنين أيضا، حيث كان الجزيرة خسر علىٰ أرضه وأمام جماهيره 1/2 في المباراة التي جمعت بينهما في الدور الأول. كما يسعىٰ الجزيرة لإنهاء سلسلة الهزائم الأخيرة بعد خسارته في آخر مباراتين من الوحدة وبني ياس.

في المقابل يسعىٰ الشارقة لتأكيد تفوقه علىٰ الجزيرة هذا الموسم بتحقيق فوز جديد، ويحتل الجزيرة المركز الثاني برصيد 45 نقطة بينما يحتل الشارقة المركز العاشر برصيد 25 نقطة. وتقام غدا أيضا مباراة مثيرة تجمع بين الإمارات وضيفه النصر.

ويحتل الإمارات المركز الـ11 برصيد 24 نقطة، بينما يحتل النصر المركز السابع برصيد 33 نقطة. وتفتتح مباريات هذه الجولة اليوم الأحد، حيث يحل الأهلي ضيفا علىٰ اتحاد كلباء.

ويسعىٰ الأهلي لحصد نقاط المباراة لتحسين مركز في الدوري، بينما يسعىٰ اتحاد كلباء للفوز لترك ذكرى جيدة له في دور المحترفين، بعدما تأكد هبوطه رسميا لدوري الدرجة الأولىٰ.

ويحتل الأهلي المركز السادس برصيد 34 نقطة، بينما يحتل اتحاد كلباء المركز الـ14 والأخير برصيد عشر نقاط. كما يحل عجمان ضيفا علىٰ الوصل، ويسعىٰ الوصل لحصد نقاط المباراة للدخول في المربع الذهبي.

بينما يسعىٰ عجمان لاقتناص نقاط المباراة للإبقاء علىٰ آماله في البقاء بدوري المحترفين خاصة رغم حاجة الفريق لمعجزة للبقاء في الدوري. حيث يحتاج الفريق للفوز في كل مبارياته المقبلة علىٰ أن يخسر فريق الظفرة، الذي يسبقه في الترتيب بفارق تسع نقاط، كافة مبارياته القادمة.

ويحتل الوصل المركز الخامس برصيد 35 نقطة بفارق سبع نقاط عن الشباب والوحدة صاحبي المركز الثالث والرابع علىٰ الترتيب، في المقابل يحتل عجمان المركز الـ13 قبل الأخير، برصيد 14 نقطة.

ويستضيف فريق الشباب نظيره الفجيرة، ويسعىٰ الشباب للفوز بالمباراة للحفاظ علىٰ المركز الثالث المؤهل لدوري أبطال آسيا الموسم المقبل، خاصة وأنه في صراع شرس لحسم هذا المركز مع الوحدة.

ويحتل الشباب المركز الثالث برصيد 42 نقطة بفارق الأهداف عن الوحدة صاحب المركز الرابع، في المقابل يدخل الفجيرة المباراة بحثا عن الثأر من هزيمته في الدور الأول بثلاثية نظيفة. ويحتل الفجيرة المركز التاسع برصيد 29 نقطة.

ويلعب بني ياس مع ضيفه الظفرة، ويسعىٰ الظفرة لتحقيق نتيجة إيجابية في هذه المباراة لضمان بقائه في دور المحترفين وعدم الانتظار للجولتين المقبلتين، حيث يحتل الظفرة المركز الـ12 برصيد 23 نقطة بفارق تسع نقاط عن عجمان صاحب المركز قبل الأخير والذي يصارع الهبوط.

في المقابل يسعىٰ بني ياس لتحقيق نتيجة إيجابية خلال هذه المواجهة للحفاظ علىٰ سجله خاليا من الهزائم، حيث لم يتلق الفريق أيّ هزيمة خلال الجولات الأربع الماضية، وكانت آخر خسارة لبني ياس من الشباب بهدف نظيف في 13 مارس الماضي في الجولة الـ19، ويحتل بني ياس المركز الثامن برصيد 29 نقطة.

> العين ضمن لقبه الـ12 في تاريخه منذ الجولة الماضية بتفوقه على اتحاد كلباء برباعية نظيفة، وهو التتويج الثالث له في آخر أربع سنوات

بين مورينهو وفينغر تاريخ حافل بالتهكم

مراد البرهومي

□ سيعيش اليوم عشاق الدوري الإنكليزي الممتاز، وتحديدا محبي ناديي تشيلسي وأرسنال علىٰ وقع فصل جديد من فصول العلاقة الغريبة والعجيبة بين مدرب تشيلسي البرتغالي جوزيه مورينهو ومدرب أرسنال الفرنسي أرسين فينغر.

الموعد سيكون ضمن مباراة الأسبوع الـ34 من الدوري الممتاز في مباراة قوية وواعدة بين الفريقين، أما الرهان فسيكون مختلفا بين تشيلسي المتصدر والذي يتجاوز ملاحقيه بفارق عشر نقاط والطامح للاقتراب أكثر من اللقب، وأرسنال الذي يريد قلب الطاولة وتقليص الفارق الذي يفصله عن المتصدر.

في المقابل فإن التحدي الأكبر سيكون علىٰ وجه الخصوص بين المدربين الغريمين اللدودين مورينهو وفينغر، وكلاهما سيعمل علىٰ التغلب علىٰ منافسه بقطع النظر عن أهمية النتيجة النهائية للمباراة الحاسمة.

هي مواجهة بين مدربين جمعا بين كل المتناقضات، فلكل مدرب أسلوبه وميزاته وطريقة تفكيره وفلسفته في التدريب، لكنهما يتفقان في شيء واحد وهو حرص كل واحد منهما علىٰ إظهار امتعاضه من الآخر، والبحث عن كل ما يمكن استعماله لنقد المدرب "العدو".

هي قصة انطلقت منذ سنوات وتحديدا سنة 2004، عندما قدم البرتغالي مورينهو إلىٰ إنكلترا من أجل تدريب تشيلسي المتعطش آنذاك إلىٰ الألقاب والبطولات التي غابت لسنوات طويلة للغاية عن الفريق، جاء مورينهو برغبة ملحة من المالك الجديد لتشيلسي الملياردير الروسي أبراموفيتش خاصة بعد تألقه مع نادي بورتو الذي قاده إلىٰ التتويج بلقب دوري أبطال أوروبا سنة 2003، وكان من الطبيعي أن يبحث المدرب البرتغالي عن تحقيق نجاح مماثل مع فريقه الجديد، مستفيدا في ذلك من وجود كتيبة جديدة ورائعة من اللاعبين الجدد.

وفي ذلك الوقت كان أرسنال متألقا في الدوري الممتاز مع المدرب فينغر الذي أعاد الفريق اللندني إلىٰ الواجهة الأوروبية، بعد أن حقق نجاحات كبيرة في الدوري المحلي بوجود نخبة من اللاعبين الرائعين مثل الفرنسي تيري هنري.

قدوم مورينهو يبدو أنه بعثر أوراق فينغر، خاصة وأن المواجهات الأولىٰ بين المدربين كانت ملتهبة ومليئة بالتصريحات النارية، لقد نجح مورينهو في إحداث التفوق وبعثر نسبيا كبرياء فينغر وأرسنال، إذ حقق نتائج إيجابية في أغلب مباريات الفريقين.

وما أثمر هذه "العداوة" بين الرجلين، تلك التصريحات المتوترة من فينغر والردود المتهكمة من مورينهو، ففي موسمه الأول علىٰ رأس تشيلسي لم يفوت مورينهو الفرصة دون الحديث عن وجود مدرب فاشل علىٰ رأس أرسنال، وهو يعني بذلك فينغر الذي قال إن الدوري الإنكليزي في خطر بعد قدوم مدرب لا يعرف من كرة القدم سوى الدفاع المبالغ فيه، بيد أن مورينهو رد بطريقته الخاصة المستفزة دوما قائلا: إن مدرب أرسنال هو عنوان الفشل والتطفل ولا شيء آخر.

وتواصلت التصريحات النارية علىٰ امتداد السنوات التي أشرف خلالها مورينهو علىٰ تدريب تشيلسي، إذ لم تخل أيّ مواجهة من التشنج والتوتر والتهكم المتبادل من المدربين، ولم تهدأ "الحرب" قليلا إلا بعد رحيل مورينهو موفىٰ سنة 2007 عن تشيلسي.

بيد أن مورينهو الذي خاض تجربتين خارج إنكلترا مع إنتر ميلان ثم ريال مدريد عاد سنة 2013 إلىٰ فريقه المحبذ تشيلسي، لتشتعل من جديد تلك "الحرب"، أي حرب التصريحات والاستفزازات مع فينغر الصامد منذ سنوات طويلة للغاية مع أرسنال.

لم يمر الموسم الماضي دون حدوث معارك وصدامات جديدة بين الرجلين، فمورينهو يتهكم دوما علىٰ فينغر وينعته بالمدرب الفاشل، وفينغر يرد بالقول إن مورينهو هو مفسد الكرة الإنكليزية الجميلة.

وما حدث في مباراة الذهاب هذا الموسم، فاق كل التوقعات إذ كادت هذه "الحرب" أن تتحول إلىٰ تشابك بالأيادي، والجميع قد يتذكر ما حدث بين مورينهو وفينغر الذي قام بدفع غريمه قبل أن يتدخل الحكم الرابع لفك الاشتباك.

إن ما يميز هذه العلاقة المتوترة وما يمنح الأفضلية للمدرب البرتغالي، هو أن أرسنال لم يفز أبدا علىٰ تشيلسي في كل المواجهات التي جمعت بين المدربين، ففي 12 مباراة كان السبق دائما لمورينهو، وهو الأمر الذي كان بمثابة الزيت المسكوب علىٰ النار، فلو فاز فينغر في مباراة واحدة، ربما لأمكن له إسكات غريمه الذي يبدو وكأنه يتلذذ باستفزاز فينغر والتهكم عليه.

اليوم إذن قد تبدو الفرصة مواتية أمام مدرب أرسنال للرد علىٰ مورينهو، ففي هذه المواجهة المرتقبة يبدو أرسنال في حال جيدة، خاصة بعد النتائج الطيبة التي حققها مؤخرا وجعلته يقفز إلىٰ المركز الثاني، وفي صورة فوز الأرسنال فإن المدرب الفرنسي قد ينجح في إسكات غريمه الذي مارس في الأيام الأخيرة هوايته المفضلة، وأطلق بعض التصريحات المستفزة، التي تؤكد مرة أخرى أنه يهوى دوما "جلد" فينغر واستفزازه بكل الطرق.

برشلونة يعيش الذكرى الأولى لرحيل فيلانوفا

□ **برشلونة (أسبانيا)** – بعد عام بالتمام والكمال علىٰ رحيله، لا تزال ذكرى تيتو فيلانوفا مدرب برشلونة السابق حية في النادي الشهير الذي لعب فيه المدرب الراحل دورا بارزا خلال أزهىٰ عصوره.

وتوفي فيلانوفا عن 45 عاما في 25 أبريل الماضي، بعد صراع طويل مع السرطان لتنتهي مبكرا مسيرة مدرب خلال قمة العطاء.

واجتذب فيلانوفا إعجاب الكثيرين بسبب حرصه علىٰ الاستمرار في عمله علىٰ رأس الفريق رغم المرض، كما أثار هذا الأمر أيضا حزنا شديدا علىٰ رحيله. وحضر كثيرون من الدوائر الرياضية ومن خارجها، أمس السبت، قداسا تخليدا لذكرى المدرب الراحل في كاتدرائية برشلونة.

وعمل فيلانوفا مساعدا لبيب غواردیولا خلال فترة ذهبية علىٰ رأس الجهاز الفني لبرشلونة، فاز خلالها النادي ببطولة دوري أسبانيا ثلاث مرات إلىٰ جانب الفوز بدوري أبطال أوروبا مرتين ما بين 2008 و2012.

وبينما كان غواردیولا هو الواجهة عمل فيلانوفا بكل جدية خلف الكواليس، عندها لم يقتصر إنجاز برشلونة علىٰ الفوز بالألقاب فقط، بل امتد إلىٰ تقديم كرة جميلة تعتمد علىٰ التمريرات القصيرة عرفت باسم "تيكي تاكا". كما لعب فيلانوفا دورا في التخطيط وساعد في بعض صفقات التعاقد مع اللاعبين.

وتولىٰ فيلانوفا تدريب برشلونة بعد استقالة غواردیولا، وتحت قيادته حقق برشلونة بداية قياسية إذ فاز في 18 من 19 مباراة لعبها، لكن في ديسمبر 2012 تأكدت إصابة فيلانوفا بالسرطان للمرة الثانية، ليتولىٰ المساعد جوردي رورا مهمة الإشراف علىٰ الفريق خلال خضوع فيلانوفا للعلاج.

وفاز برشلونة بالدوري واستقال فيلانوفا نهاية الموسم للتفرغ للعلاج من المرض الذي لم يمهله بعدها كثيرا.وفي فبراير الماضي أطلق برشلونة اسم فيلانوفا علىٰ أحد ملاعبه التدريبية، تخليدا لذكرى الرجل المرتبط بالنادي منذ تخرجه في أكاديمية الناشئين إلىٰ جانب غواردیولا.

وكان نادي برشلونة الأسباني قد أعلن في ديسمبر 2014 إطلاق اسم الراحل تيتو فيلانوفا علىٰ جائزة توماسو مايستريلي لأفضل مدرب أوروبي.

العربية رابع اللغات انتشارا في العالم

اللغة العربية إحدى أهم اللغات في العالم من حيث الانتشار وهو ما أثبتته دراسة ألمانية حديثة بينت أن لغة الضاد تحتل المركز الرابع ضمن قائمة اللغات الأكثر انتشارا في العالم.

ورغم تنوع اللغات واختلافها إلا أنها تظل أداة التخاطب والإبلاغ والاتصال الأولى بين بني البشر، ويمكن تشبيه اللغات بالكائنات الحية إذ تتطور وتتغير وفق ما يشهده العالم من تغيرات.

لغة الضاد تتقدم على العديد من اللغات في العالم من حيث الانتشار وعدد الدول المتحدثة بها

❏ **برلين – أجرى أستاذ علم اللغات بجامعة دوسلدورف الألمانية، أولريخ آمون، دراسة حول انتشار اللغات في العالم ونشرتها صحف أجنبية كالواشنطن بوست. وأظهرت نتائج الدراسة أن هناك 7102 لغة حول العالم، إلا أن ثلثي سكان العالم يتحدثون بـ12 لغة رئيسية فقط، تصدرتها اللغة الصينية بكل لهجاتها كأكثرها انتشارا بـ1.39 مليار متحدث، فيما جاءت اللغة الأوردو-الهندية في المركز الثاني بـ 588 مليون متحدث، متبوعة بالإنكليزية بـ527 مليون شخص، ثم حلت اللغة العربية في المرتبة الرابعة بمجموع 467 مليون متحدث، متفوقة بذلك على الأسبانية والروسية والفرنسية.**

وأظهرت خريطة لغات العالم، في طبعتها الثامنة عشرة، أن اللغة الإنكليزية لغة محادثة في 101 دولة، في حين أن العربية لغة محادثة في 60 دولة، بينما تتحدث 51 دولة اللغة الفرنسية، و33 دولة الصينية، و31 دولة الأسبانية، و29 دولة الفارسية، و18 دولة الألمانية، و16 دولة الروسية، و13 دولة الماليزية، و12 دولة البرتغالية.

ورغم أن عدد اللغات في العالم يتجاوز سبع آلاف لغة، فإن القارة الأوروبية هي أقل القارات من حيث عدد اللغات المستعملة بها حيث يوجد فيها 286 لغة، في حين توجد في آسيا 2301 لغة، و2138 لغة في أفريقيا، بينما يوجد في منطقة المحيط الهادئ 1313 لغة، وفي الأميركيتين 1064 لغة.

هذه النتائج التي توصلت لها دراسة أستاذ علم اللغات أولريخ آمون استغرقت خمسة عشر عاما لتكشف أن نحو ثلثي سكان العالم يتحدثون بحوالي 12 لغة رئيسية، وتوزعت فيها باقي اللغات الأساسية كالتالي الروسية (254 مليون نسمة) والبرتغالية (193 مليوناً) والألمانية (132 مليوناً) واليابانية (123 مليوناً) والفرنسية (118 مليوناً) والإيطالية (67 مليوناً).

وحسب آمون فإن أكثر اللغات طلباً للتعلم هي الإنكليزية حيث يتعلمها 1.5 مليار نسمة، وتليها الفرنسية ويتعلمها 82 مليوناً، ثم الصينية 30 مليوناً فالأسبانية والألمانية ويتعلمها 14.5 مليون نسمة لكل منهما، وتليهما الإيطالية ويتعلمها 8 ملايين واليابانية 3 ملايين.

وفي سياق توزع اللغات عبر العالم كشف تقرير لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة "اليونسكو" فإن هناك العديد من اللغات التي باتت مهددة بالانقراض خاصة منها اللغات الأصلية لمجموعات بشرية معينة، وأن كثيراً من اللغات لا يتحدث بها سوى فئة محدودة من الناس. وأشار التقرير إلى أن هناك 2000 لغة لا يزيد عدد المتحدثين في كل منها على 1000 شخص.

وللغة العربية أهمية قصوى لدى المسلمين، بما أنها لغة كتابهم الديني المقدس القرآن وقد أثّرت بطرق مختلفة في كثير من اللغات الأخرى في العالم نظرا لارتباطها بتاريخ العرب الذين جابوا أغلب أنحاء العالم ما أسهم في انتشارها بشكل واسع. والعربية هي اللغة الرسمية في كل دول الوطن العربي كما أنها إحدى اللغات الرسمية الست في منظمة الأمم المتحدة، ويحتفل باليوم العالمي للغة العربية في 18 ديسمبر من كل عام.

الأولى.. أولى بالإنكليزية أيضا

العرب ويكلي

www.thearabweekly.com

الشمبانزي يتمتع بحقوق الإنسان.. أيضا

❏ **نيويورك** – أقرت محكمة نيويورك الأميركية بأن قرد الشمبانزي يمتلك عددا من الحقوق التي تعتبر سابقا أنها من حقوق الإنسان فقط.

وأصدرت المحكمة حكما يقضي بأن تضمن حريات شخصية لقردي الشمبانزي ليو، وغيركوليس الموجودين في مختبر تجريبي. ووصفت محكمة نيويورك "أسرهما" في المختبر بأنه أمر غير شرعي.

جدير بالذكر أن ليو وغيركوليس يعيشان في مختبر بجامعة ستوني بروك في لونغ أيلاند، ويشاركان بشكل دائم في شتى التجارب البيولوجية والطبية.

وكان مؤسس حركة "مشروع منح حقوق الإنسان لغير الإنسان" ستيفن وايز قد رفع دعوى إلى المحكمة يطلب فيها منح كل من القردين ليو وغيركوليس حريات شخصية.

وأعلن الحقوقي أن أول جلسة للمحكمة في هذه القضية انتهت في مصلحة هذين القردين.

ويحاول وايز وزملاؤه إقناع المحكمة بضرورة ترحيل القردين إلى محمية واقعة في ولاية فلوريدا الأميركية حيث تهيأت لهما ظروف العيش الأمثل في محيطهما الحياتي الطبيعي.

ويصر الحقوقيون على أن هذه القردة تمتلك عقلا يتصف بنوع من الذكاء، ما يجعلها تعي أنفسها كشخصيات قادرة على إظهار عواطف معقدة، لذلك فإنها تستحق ضمان حقوق أساسية لها، بما فيها حق الحرية والمعاملة الإنسانية.

وقررت القاضية بربارا جيف بأن تقدم جامعة ستوني بروك مبررات إبقائها على القردين في الأسر، وفي حال عجزها عن تقديم تلك المبررات سيتم الإفراج عن القردين، علما أن الجلسة القادمة تقرر عقدها في 6 أيار القادم.

يذكر أن محكمة نيويورك هذه كانت قد رفضت في وقت سابق الاعتراف بكون قرد الشمبانزي "تومي" إنسانا.

وكان ستيفن وايز آنذاك يمثل مصالحه في المحكمة.

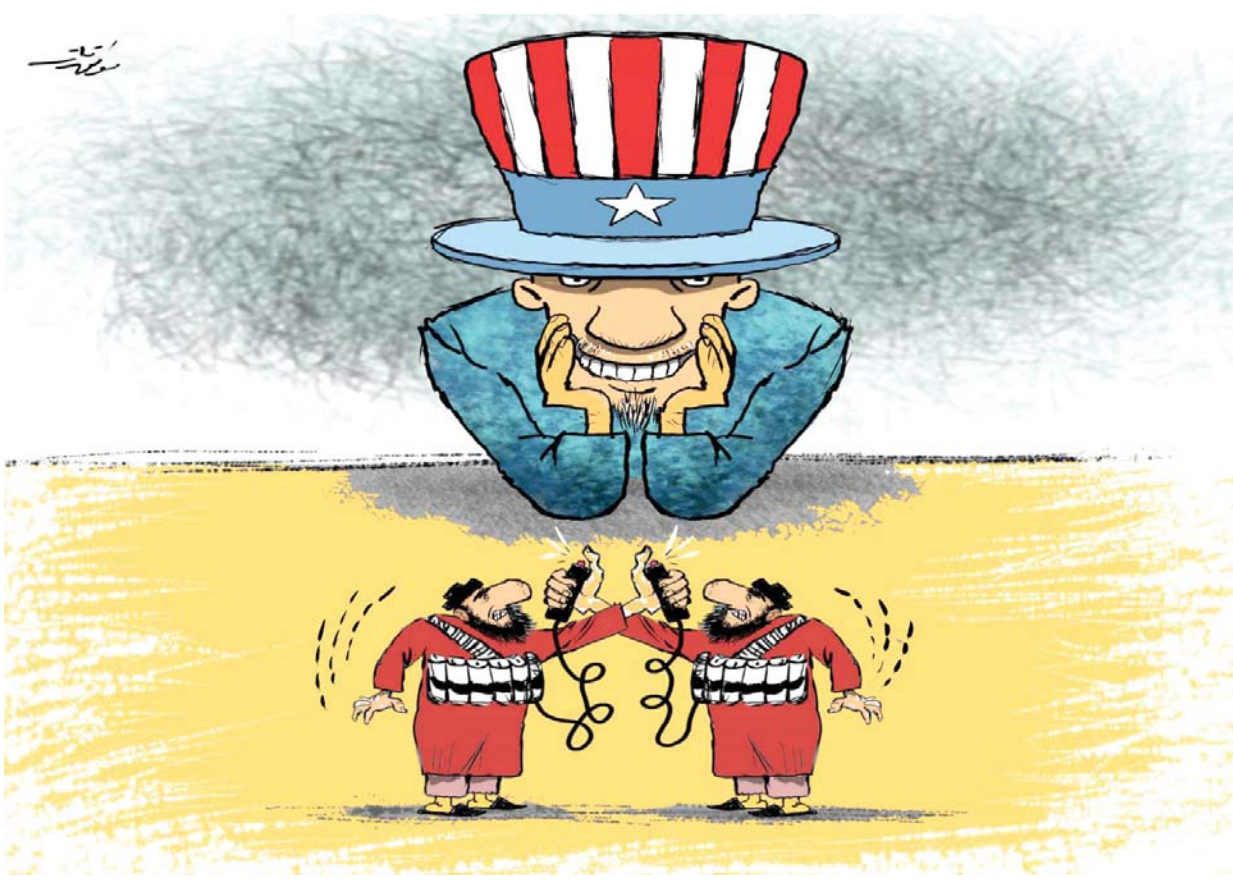

صباح العرب

محمد علي إبراهيم

صباح الخير حرام

❏ **في صغرنا تعلمنا أشياء كثيرة تآكلت بمرور السنوات.. فضائلنا أصبحت رذائل.. إيجابياتنا تحولت إلى سلبيات..**

فقدنا ثقافة الاعتذار وحلت مكانها مفردات البلطجة والصوت العالي.. كراسات المدارس في الستينات تميزت بتعليمات وإرشادات نشأنا عليها مثل "العمل عبادة" و"النظافة من الإيمان" و"لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد".. تبخرت الحسنات واكتسبنا السيئات.. الغريب أن ما تعودنا عليه من كلمات الاحترام للكبير والرأفة بالصغير والابتسامة في وجه الناس كلها خرجت على المعاش.. كنا نقول "آسف" إذا أخطأنا.. والآن استبدلناها بـ"فتّح عينك يا حمار".. حكاية أن العمل شرف وعبادة تحولت هي الأخرى إلى مصطلحات غريبة تعكس حياة المصريين الذين أصبحوا يميلون إلى المكسب السهل.. وهكذا ظهرت تعبيرات "خد الفلوس واجري" أو "سنلعب قرشين حلوين" أو "عندي سبوبة سريعة".. حتى الفنانين استحدثوا كلمة عن اشتراكهم في أعمال صغيرة أو مسلسلات درجة ثانية فيقولون لك عندي "نحتة " و"النحتة" تعني آلاف الجنيهات. أما "الوجبة" فتعني الملايين.. لم تكن هذه كلمات الممثلين العظماء حسين رياض ومحمود المليجي وزكي رستم وفريد شوقي الذين عاشوا وماتوا يتقاضون مئاتهم بالنسبة إلى ما يتقاضاه عادل إمام الآن مثلا "40 مليون جنيه عن المسلسل القادم في رمضان". كان الجسد المصري بخير، سليما من كل الفيروسات الفكرية والبكتيريا العصرية التي لم نكتشف لها علاجا بعد..

ولعل أطرف ما في القاموس المصري من تغييرات ما طرأ على ألفاظ التحية التي اعتدناها ونحن صغار مثل "صباح الخير" أو "نهارك فل" أو "مساء الأنوار".. هذه الألفاظ اللطيفة اختفت بعد وصول الإخوان المسلمين للحكم وحل محلها "السلام عليكم".. فنحن دولة مسلمة ولا ينبغي أن نردد أيّ شيء آخر.. الأسبوع الماضي ذهبت لقضاء أمر ما في إحدى المصالح الحكومية.. الموظف المفروض أن ينهي الإجراءات معي. عصبي وكان عائدا من صلاة الظهر.. بادرته قائلا "صباح الخير".. رماني بنظرة شزرا وقال "قصر.. عايز إيه" وهو تعبير ينم عن أنه ليس لديه وقت ليسمع منك.. ثم فجأة قال لي "أنتم في إجازة اليوم لأنه عيدكم لماذا حضرت".. وقد تخيل أنني من الإخوة الأقباط الذين كانوا يحتفلون بعيدهم يومها.. أجبته يا سيدي أنا مسلم مثلك تماما فقال لماذا لا تقول السلام عليكم إذن.. أنت متعلم في الخارج أو ابن ذوات؟ أدركت ساعتها أن صباح الخير حرام أو مكروه.. خلاص بلاش منها!